

رواية

متر سكتدى الوصال؟

الجوكر والاسطورة 5

ملكة الابداع آية محمد



Norhan Khaled

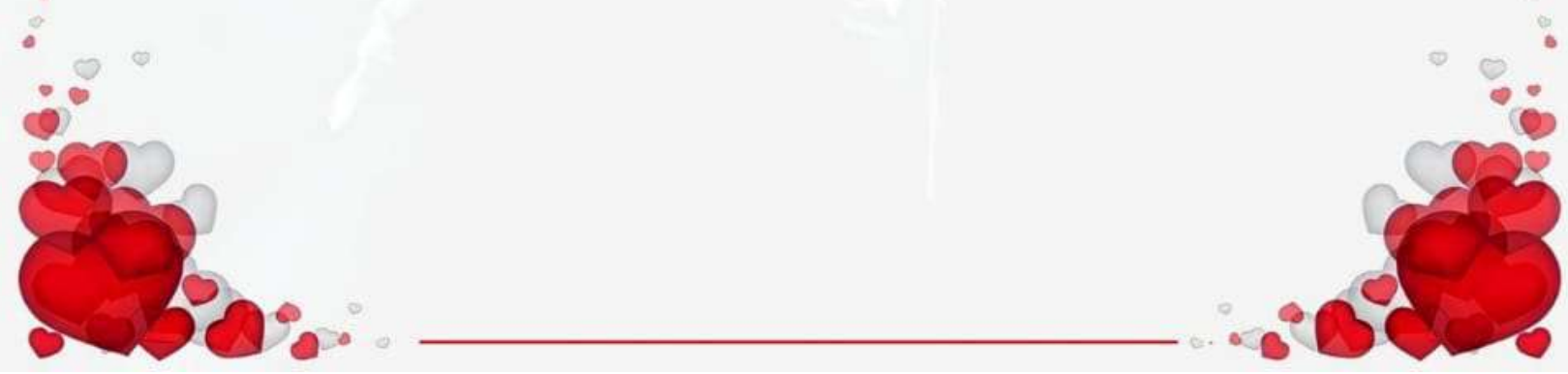
متى يهتدي الوصال

الجوكر والاسطورة

الجزء الخامس

ملكة الإبداع

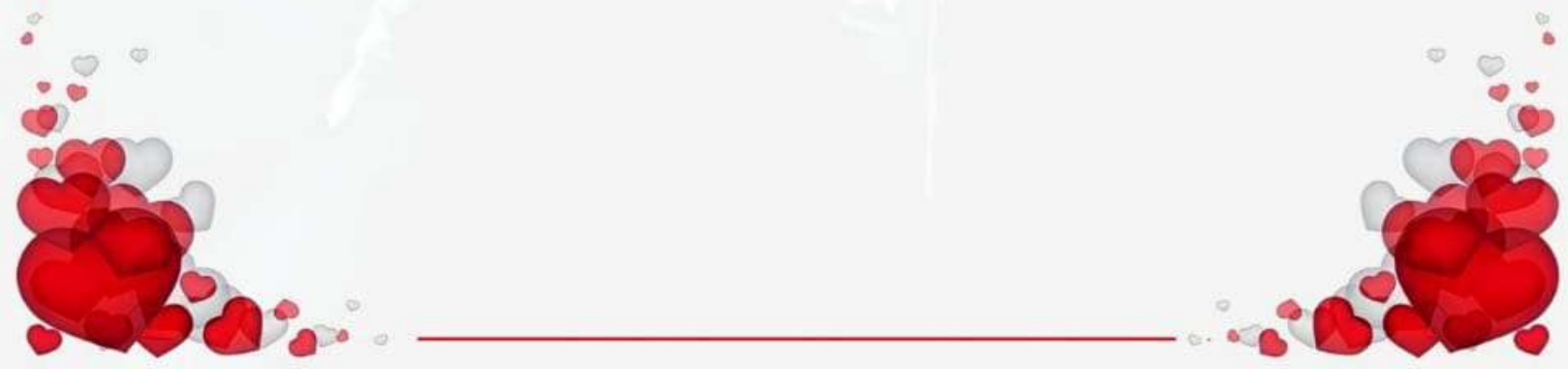
آية محمد رفعت



تصميم الغلاف: نورهان خالد

تعبئة وتنسيق وتحميل الرابط

وغلاف داخلي: ميجو



الفصل الثاني والأربعون...

يترنج الهواء عالياً بين أشجار البتولا الجبلية المنخفضة التي تتخللها بعض أشجار الصنوبر حيث لا توجد الغابات الحقيقية إلا في المناطق الشجرية القليلة، والتي تكثف فيها أشجار الصنوبر أو التنوب، وقفت بفستانها الأزرق بعيداً عن الخيمة السوداء المنصوبة بحرافية فائقة تتأمل الأشجار التي تهتز أوراقها بدلال، ابتسامته ساحرة رسمت على طرفي شفثيها وهي تفرد ذراعيها بالهواء الطلق، للحظة شعرت بالرضا لأنصياعها أخيراً لقرار "رحيم" حينما قرر التخييم على أحد جزر فنلندا، أمتد بصرها للمستنقعات المفتوحة بين الغابات، منها مستنقعات كبيرة للغاية في المناطق المنخفضة بالرغم من أن الغابات تضم أنواعاً قليلة من الأشجار في مدينة فنلندا فهي تختلف كثيراً عن بعضها البعض وقد

تتجاور غابات التنوب مع غابات الصنوبر التي تضيئها الشمس، والتجاويف المستنقعية والصخور السفلية المفتوحة حيث تتسم كثير من الغابات بالرطوبة والتربة الطينية، لذا قد توصف بأنها مستنقعات هذا، وتغطي مختلف أنواع المستنقعات ثلث مساحة فنلندا وتتكون سدس هذه المساحة من أراضٍ طينية ليست فيها أشجار في مدينة "فنلندا"، دقائق مرت ومازالت "حنين" تقف بمحلا تتأمل المكان بإعجاب شديد وخاصة مع انسداد خيوط الشمس بأشعتها الذهبية فتزبد من الجمال جمال، فأمس حينما وصلوا لهذه البقعة بالتحديد كان الليل قد احتجز المكان بظلمته، استدارت برأسها تجاه الخيمة الصفراء المجاورة لهما علها تستكشف إن كانت رفيقتها قد إستيقظت ام مازال النوم يغلبها بهذا المكان الساحر، إسترقت بسمعها لصوت يأتي بالقرب منها فتحركت تجاهه وعينيها تترقب بشوق رؤياه،

لامست بأطراف يدها الحشائش من حولها حتى
وجدته يجلس بجوار إحدى الأشجار، راقبته بنظراتٍ
ماكرة فوجدته يرتشف مشروبه الخاص من زجاجةٍ
بلورية، أنتباها فكرة مشاكسة فأنحنت أرضاً تجمع
بعض الحصى ثم بدأت بحذر تسدد الضربات إليه
قاصدة إرعبه، ضربة تلو الأخرى حتى أنهت حصتها
من الحصى فأنحنت لجمع المزيد ثم انتصبت بوقفاتها
لتعيد ما فعلته من جديد، انزوى حاجبها باستغرابٍ
حينما لم تجده بمحله، فبحثت عنه بلهفةٍ وخوفٍ،
شعرت بقوة غريبة تسحبها للخلف ليظهر من خلفها
الجوكر المزعوم مردداً بسخرية:

_مش هتفكك من حوارات الطفولة دي وتكبري..!
ضمت يدها حول يديه الملتفة على خصرها لتجيبه
بدلال:

_طول ما أنا معاك مش بلاقي نفسي غير طفلة
وبتدور على أبوها في كل مكان...

كلماتها التلقائية منحتة ذكرة عابرة لما فعله
بأبيها، للحظة انقبض قلبه بخوفٍ من أن تتزعزع
العلاقة بينهما حينما تعلم بما حدث، وجدته صامتاً
فأستدارت لتكون تجاهه، حاولت بجهد أن تلف
ذراعيها حول عنقه فرسم الحزن على ملامحها وهي
تجيبه بتذمر:

_مينفعش تقصر شوية؟..

ضيق عينيه ساخراً:

_لو لسانك قصر ممكن..!

ابتعدت عنه بغیظٍ وهو تلوح بيدها:

_أنا لساني مش طويل على فكرة..

حل أزرر قميصه ومازال وجهه يحتفظ بابتسامته

الساخرة:

_ايوه أنت دائماً صح...

لوت شفتيها بغضبٍ ثم تابعتة وهو يتقدم من الشجرة

القريبة منه، فألتقط المقعد الطويل ثم فردة

ليستلقى عليه بعدما ارتدى نظارته السوداء وقبعته
الداكنة، فركت اصابعها بضيقٍ من البرود الذي عاد
يتلبسه من جديد، فتقدمت منه بإرتباكٍ لوحظ
بندائها:

"_مراد..."

قال بعدما أخفى وجهه خلف القبعة:
_ها حابة تضيفي حاجة تانية؟..
هزت رأسها نافية ثم اقتربت منه لتخفض صوتها وهي
تنطق:
_أنا جعانة..

كشف عن وجهه وهو يتساءل باستياء:
_أهو ده اللي كنت عامل حسابه، أن حضرتك
تجوعي ومتلقيش أكل بعد القرار المصيري اللي
أخدتيه...

لعلت شفيتها بتوتر:

_متظلمنيش..

نهض ليقف من امامه بقامته الثابتة:
_ أنتِ اللي ظلمتي نفسك لما اقترحتي على رحيم انه
مياخدش أكل ويتصرف من الطبيعة..
وأشار بيديه تجاه الأشجار:
_ أهو أدينا في الطبيعة الخلابة أتصرفي أنتِ ودوري
على أكل..
سألته بحيرة:
_ أدور على أكل فين؟..
قال في استهزاء:
_ على الأرض أو على الشجر مش مشكلتي..
رددت بغضبٍ شديد:
_ على الشجر!، ليه شايفني قرد!..
حدجها بنظرة قاتمة وهو يجيبها بخبت:
_ ياريت على الأقل لو كنتي قرد كنا ضحينا بيك
وسنجفناكي على سيخ فوق الشوايت وقضينا الليلة..
طاحت به بغضب:

_تسجف مين يا أخ هو حد قالك أنك متجوز

نسناستة..!

كبت ضحكاته بصعوبةٍ وهو يتصنع الجدية، فرغ

كتفيه بعدم مبالاة:

_والله الحل لمشكلاتك مع اللي اتفاقتي معاه مش

معايا..

منحته نظرة أخيرة مغاظة ثم توجهت لخيمته

"رحيم"، وقفت من أمامها حائرة من عدم وجود باب

مرئي تطرقه فيشعر بوجودها، بحثت جوارها عن شيئاً

يساعدها بمهامها الصعب فوجدت جذع صغير ملقي

ارضاً ثم جذبت الوعاء المجاور لها، فطرقت بقوة وهو

تنادي بعصبية:

_أصحو.... أنتوا جايين تناموا وأنا هموت من الجوع

هنا..

وعادت لتكرر كلماتها بإنفعال..

بالداخل..

فتحت عينيها بانزعاج وخاصة على صوت "حنين"
المزعج، الا يكفيها نوم الأرض المؤلم لها ولجنينها،
استندت بجذعها على الأرض ثم استقامت بجلستها
وهي تتفحص الخيمة جيداً، وجدته يرتدي ثيابه
على عجلة من أمره، فألته ذاتها بالتطلع للضراغ حتى
أنتهى، منحها نظرة حنونة ليصاحبها قوله العاشق:
_مفیش صباح احلى من كده..

ابتسامته رقيقة رسمت على وجه "شجن" فأقرب
ليجلس جوارها، رافعاً بأطراف اصابعه خصلات شعرها
التي تغطي عينيها، نظرات عينيه الزيتونية تنجح
بأخترق قلبها كالسهم النافذة بمصاب هدف
المرمى، أحمر وجهها بشدة فابتعدت عنه وهي ترتب
ملابسها من بعض الحشائش المتعلقة بأطرافه، سألتها
ونظراته الجريئة تطوفها:

_نمتي كويس؟..

اجابته بابتسامته هادئة:

_يعني، بحاول أتأقلم..

كاد بأن يتساءل من جديد ولكن قطعه صوت

"حنين" المرتفع للغاية:

"_رحيم يا زيدان..!"

رفعت "شجن" يدها وهي تشير له تجاه الباب بمرح:

_صاحبة المصابيح السوداء اللي احنا فيها بتناديك..

منحها ابتسامة ساحرة ثم خرج ليري ماذا هناك،

عادت لتطرق على الوعاء من جديد وهي تصيح

قائلة:

_رحيم...

وقف لجوارها ويديه بجيب البنطلون القصير الذي

يصل لمنتصف ساقه، فقال بتريث:

_أيه يا "حنين" بتنادي على بيع ترمس مش

سامعك..!

توقعت خروجه من الباب المقابل لعينيها فحينما

استمعت لصوته يأتي من خلفها بمكانٍ يستدعي

الرعب كهذا صرخت فزعاً، ارتسمت بسمته شبه

ساخرة على طرفي شفتيه وهو يخبرها:

_ لا واضح فعلاً أنك مش بتخافي اللي يشوفك

دلوقتي ميشوفكيش إمبراح لما وافقتي اننا نسيب

الاوتيل ونيجي نخيم هنا!

ابتلعت ريقها الجاف بصعوبةٍ بالغةٍ ومحاولةٍ مستميتةٍ

لاستعادة اتزانها فقالت:

_ هي الفكرة جديدة وحلوة وأنا بحب أغامر وكل

حاجة بس ده ميمنعش أن أي فيلم رعب بيبدأ بمكان

زي ده..

حك "رحيم" جبينه بقوةٍ ثم تساءل بملل:

_ بعيداً عن كل الرغي ده بتادينني ليه؟..

تطلعت يسارها ثم لليمين، قائلته بصوتٍ خافت:

_ انت قولت نخيم في مكان جوه فنلندا وأنا وافقتك

صح؟

اجابها بثبات:

_صح..

عادت لتسترسل:

_وأنا علشان أزود اجواء المغامرة قولتلك منخدش
أكل ونأكل من على الجزيرة وأنت وافقتني صح؟..

زفر بملل:

_صح..

استكملت كلماتها بصوتٍ منخفض وكأنها لم
ت حسب ما ستعرض له بقرارها السخيف:

_حيث كده بقى أنا جعانة..

مرريديه ليمسح وجهه عدة مرات وهو يجيبها

بانفعال:

_طيب ولزمتها ايه اللفظة الطويلة دي ما تخلصيني
وتقولي انك جعانة من الأول..

لوت شفتيها بسخط:

_وأنت متعصب ليه دلوقتي ما أخوك بيقولي روعي
للي اتفقتي معاه هو الجوع والعطش فيه اتفاقات؟..

تركها محلها ثم ولج للخيمة ليجذب الحقيبة
المطولة الموضوعية بزواية بعيدة، خرجت "شجن"
من خلفه فرفعت صوتها حينما وجدته يكاد
بالإبتعاد عنها:

"_فريد" رايح فين؟..

أشار لها بابتسامة هادئة لا تتاسب عما ينوي فعله:
_شوية وراجع..

وأكمل طريقه حتى اختفى من امام اعينهم، انتباها
القلق فتطلعت لمن تقف جوارها بشك:
_هو في ايه يا "حنين"؟..

تمتت بضيق:

_مهو لو قولتلك هتشمتي فيا..

ابتسامة غرور رسمت على وجهها فقالت:

_اكيد جوعتي صح..

هزت رأسها في صمت فقالت الاخرى بشماتة:

_أحسن تستاهلي علشان اقولك بلاش نيحي هنا

تقولي لا نروح ومصممة كمان أنا منخدش اكل،
موتي بقى من جوعك وأنا هبقى راضية عنك رضا
تام..

حد جتها بنظرة مطولت عليها تستعطفها:
_يعني ده جزاتي يا "شجن" اني عايزة اخرجك في
مكان جميل زي ده..

صاحت بانفعال:

_هو فين الجمال ده، المكان حلو الصبح وبليل
مخيف بأصوات الحيوانات الغريبة دي، ما أحنا كنا
في الاوتيل ومبسوطين على الأقل كنتي جانب
"مرين" وبتابعي المربية..!

بدا على ملامحها الاقتناع أخيراً، فمررت يدها على
بطنها قائلة بحزن:

_عندك حق انا أتسرعت..

ضحكت وهي تتأمل حالتها المذرية وحركات يدها
المضحكة، فولجت للخيمة ثم عادت تحمل كيس

أبيض صغير، راقبتها "حنين" باهتمام فوجدتها تخرج
أكياس من البسكويت ثم قربتها منها قائلة
بسخرية:

_كنت عاملة حسابك بباكو..

التقطته منها وهي تمرره امام عينيها بغضب:

_وده هيعمل أياه ده بقولك جعانة..!

جذبتة "شجن" منها قائلة بحدة:

_أنا غلطانة أني حببت أساعدك وأنتي السبب في

اللي انت وأحنا فيه من البدايت..

وتركتها وتقدمت بخطاها بين الأعشاب والأشجار

الضخمة، لا تنكر بأن المكان بأكمله آية من

الجمال بصنع الخالق ولكن هناك رهبة بداخلها..

نهض عن المقعد ثم التقط قميصه ليرتديه على

عجلته من أمره حينما وجد "أشجان" تقترب منه، لا

يريد أن يخلها حينما ترأه مستلقي عاري الصدر،

بحثت عن زوجها بملل فأبتسمت براحة حينما وجدت

"مراد" مقابلاً فقالت:

_هو "فريد" مش معاك؟..

يعلم الاجابة لسؤالها ولكنه يعلم ايضاً ان علمت ما
الذي يقدم على فعله ربما ستنتهي رحلتها
بمشاجراتٍ لا حصى لها، لذا قال ببسمته الماكرة:
_هتلقيه بيدور على فاكهة او أي حاجة صالحة
للأكل..

مرأت عليها كذبتة البيضاء فكيف للفواكه أن
تنبت بمناخ غير مستقر بالمرة، إنحنى الجوكر يلمم
متعلقاته ثم اشار لها بجديته:

_تعالى نرجع للخيم علشان متهويش بالمكان ده..
أومات برأسها بخفة فأتبعته حتى وصلت للمكان
المحدد لهما، ابتسم "مراد" وهو يراقب "حنين"
الجالسة أرضاً بانزعاج جعلها كالطفلة الصغيرة،
تعالى ضحكات "شجن" فجلست لجوارها وهي تضع
على قدميها البسكويت فالتقطته "حنين" منها

بوجهاً عابث، تركهما "مراد" ثم حمل الفأس ليتجه
لأحد الأشجار، فكسر عدة فروع صغيرة ثم وضعهما
فوق بعضهما البعض ومن فوقهما سيخ من الحديد
الرفيع، أقتد النيران بالحطب الذي صنعه كما إعتاد
من تجربته المريرة التي قضاها، نهضت "شجن" عن
الأرض واقتربت منه وعينها مسطرة على الشوايت
التي صنعها فقالت باستغراب:

_هو أنت عملت حسابك في حاجة تتشوي..!
كاد بأن يجيبها ولكن سبقته "حنين" قائلة
بضحكةٍ عالية:

_امال "رحيم" رايح يعمل ايه، متقلقيش هيرجع
بالخير كله، يارب يلاقي غزالت بنت ناس ومحترمة..
اظلمت عينيه وهو يحدجها بنظرةٍ قاتلة فابتلعت
باقي كلماتها ولكن قد فات الاوان عن هذا الحديث
الأحمق، بللت "شجن" شفتيها الجافة وهي تسأله
بصدمة:

_قول أن كلامها مش صح..!

أجابها في جدية تامّة:

"_شجن" أحنا في فنلندا مفيش في غزال ولا اي

حيوان صالح للأكل، أنت عارفة حنين..

طرحت سؤالاً آخر مشكك:

_أمال هو رايح يعمل ايه..!

وتركته وسلك الطريق الذي اجتازه "رحيم" منذ
دقائق مبسطة، جز "مراد" على أسنانه بغيظٍ، فأقترَب
منها وهي تتراجع للخلف بارتباكٍ، فأشارت بيدها
لتوقفه حتى يستمع لما ستقدمه من مبرر، تراجعت
حتى التصق ظهرها بفرع الشجرة الغليظة فكادت
بالفرار ليحتجزها بين يديه الصلبة قائلاً من بين
اصطكاك اسنانه:

_أنتِ مش بتعرفي تباعي لسانك ده أبداً..

التقطت انفاسها بصوتٍ مسموع وهي تجيبه بحزنٍ

مصطنع:

_يعني نغش الوليتة..!

قال بنفس حدة لهجته:

_قوليلي على حل واحد أخده معاك..

ابتسمت وهي تحاوط رقبتة بسهولةٍ فأنحناءة جسده

عاونتها ، لتخبره بصوت هامس:

_الحل بسيط أنك تحبني وبس علشان تسام من

لساني..

رغمًا عنه ابتسم على تبدلها السريع ، على الرغم من

كونها قصيرة وبجوار لسانها السليط أصبحت ترى

ذاتها انثى تستخدم أسلحتها وقتما شئت ، وها هي الآن

تطلق محاولاتها الجديدة بالنسبة اليه حينما تحاول

ان تشتت عقله بما فعلته منذ قليل ، نعم تؤثر به

بشكل كبير كونها من عشقها قلبه قلبٍ وقالباً

ولكنه مازال الجوكر الذي يتحكم بذاته بأقصى

درجات تعداها ، وها هو الآن يتنازل ليجعلها تشعر

كونها تمتلك السيطرة الكاملة عليه وعلى قلبه

المستعمر، إحتضنها بقوة والخوف يلمع بعينيه،
فكلما جمعتها لحظرة مخلدة بالعشق يخشى ان تزول
بعد ان يكشف سره، يعلم بأنها لم تتقبل أبيها قط
ولكنها ايضاً لن تتقبل أن زوجها هو قاتل أبيها، شعرت
بتمسكه الكبير بها فنبض قلبه بربكة تعلمها
جيداً، فابتعدت عنه وهي تطالع زرقة عينيه التي
تضاهي جمالاً البحيرات من جوارها، فتساءلت بدموع
لمعت بحدقتها:

_ أنت هتسبني تاني؟..

تطلع لها بدهشة، فسألها بذهول:

_ ليه بتقولي كده؟..

أجابته وقد سقط الدمع على وجهها:

_ أنت لما بتحضني أوي كده بعرف أنك هتسبني

وتمشي زي كل مرة..

عصف قلبه بما قالت، فقرب يديه من وجهها الرقيق

وهو يزيح بأصابعه كل دمة هبطت لتقص معاناتها

مع كل فراق حتم بينهما بظروف عمله الاجباري،
فقال وهو يقربها من صدره عليها تستمع لبوح قلبه
بكلماته المشتاقة:

_قولتلك عمري ما هبعد وأسيبك تاني يا "حنين.."
تمسكت به بقوة وهي تردد بحزن لا يليق بها:
_لو عملتها تاني صدقني ممكن يجرا لي حاجة..
شدد من ضغطه على وجهها الملامس لرقبته وهو
يجيها بألم:

_أنا وجودي بالحياة متوقف عليك أنت فمستحيل
هسمح لحاجة تفرقنا تاني..

ابتسمت بارتياح وأغلقت عينيها، دقائق وما زال كما
هو، يحتضنها بقوة، فتح عينيه بعدما عاد من رحلته
التي عرجت للسماء ليلا مس الأرض قائلاً بصدمته:
_"شجن...!"

ودفعها بعيداً عنه بعدما عاد لحالته المهتاجة ليشير
لها بضيق:

_خليكي فاكرة أن لسانك هيكون السبب في
الخناقة اللي هتحصل بينهم..
لوت فمها باستياء وهي تصيح:
_وأنا مالي يا عم انت..

بحثت عنه كثيراً فكادت بأن تضل طريقها ولكنها
تفاجئت بصوت غريب للغاية فتتابعته حتى وصلت
للبحيرة القريبة منه، تبدلت ملامح وجهها للحدة
حينما وجدته يقف خلف احد الأشجار، مسلطاً سهامه
تجاه حيوان غريب تراه لأول مرة، عينيه تتابعان
حركاته بدقة فشده السهام المثقوبة بداخل القوس
الدائري ثم زفر على مهل ليطلقهما سريعاً فأصابتهما
بالأقدام فأصبح الطائر جريح لا يقوي على الركض،
بخطوات متهدجة اتقرب منهما "رحيم" ثم انحنى
ليخرج السهام التي استهدفت اثنتان من طائر البجعة
الابيض، فاخرج سكينه من الحقيبة التي يحملها ثم

ذبحهما ليضعهما بكيس ابيض، ليغسل يديه جيداً
بالبحيرة القريبة منه ثم استقام ليغادر فصعق حينما
وجدها تقف أمامه، ارتجف جسدها فالحالة التي
تنتابها تستحوذ عليها عند رؤية الدماء، ألقى
بالحقيبة عن يديه وهو يتأفف بضيق:
_ ايه عندك مشكلت مع الحيوانات كمان؟..
خرج صوتها الذي جاهد بالخروج فقالت بعصبية:
_ أنت خلصت قتل في البني آدمين دخلت على
الطيور...!!!!

زفر بضيقٍ مما سيتلاقاه بسماعه، فأسترسلت حديثها
بغضب:

_ أنت مفيش فايدة فيك هتفضل زي ما أنت..
أجابها ساخراً:

_ وأيه اللي عملته المرادي، ثم انك بتأكلي الطيور
المشابهة ليها وبرضو بتتدبح..
صاحت بانفعال:

_بس على الاقل مش بيعذبوهم قبل ما يدبحوهم،
انت مفيش فايده فيك هتفضل "رحيم زيدان" مهما
عملت..

وجد ان الحديث لا ملاذ له مما يستمع له، فقال
بهدوء:

_وده اللي أنا عايزه وعائزاك برضه تتقبله...
ازدردت ريقها الجاف بصعوبة وهي تجاهد للحديث:
_قصدك ايه؟..

اقترب ليقف مقابلها ليحادثها بجديّة:
_قصدي أنك لازم تتقابليني زي ما أنا وزى ما برضه
تقابلتك بكل ما فيك، تقبلت خوفك مني
ورغبتك في اني ارجع لشخصي اللي مبقاش ليه
وجود جوايا، لازم تتقابليني كرحيم زيدان زي ما
شايفاني...

_كبرتم الموضوع يا شباب..

صوت "حنين" فصل بينهما، فتطلعوا إليها بوقتٍ

واحد ، اقتربت منهما قائلة بابتسامته تصل من الأذن
للأخرى:

_ده نوع بط يا حبيبتي زي اللي بنأكله في البيت
بس هو الظاهر له طريقة معينة علشان نمسكه صح
وهو أدري مننا..

كبت "رحيم" ضحكة كادت بأن تنفلت منه على
حديثها الأرعن ، فعنفته حنين بنظراتها ، فانتصب
بوقفته باتزان ، ثم اخذ يراقب ما سيحدث بينهما ،
النظرات المتعصبة كانت تقذفها عينيها وكأنها
باتت رفيقة لها ، فتركتهما وعادت وهي تردد بكلمة
واحدة تحذيرية:

_خليك بعيد عني أمن ليا ولا بني..
وتخفت من امام أعينهما فسحب "رحيم" نظراته لمن
تضع يدها بمنتصف خصرها وتراقبها وهي تبتعد ،
فحينما لاحظت "حنين" نظراته لها قالت بابتسامته
سمجة:

_هرمونات، هرمونات هات البط وتعالى متركزش
معاها هي هتفضل كده ال 8 شهور الجايين..
منحها نظرة صارمة فحملت الاكياس قائلت بمرح:
_خلاص هشيل أنا..

التقطه "رحيم" منها ثم خطى لجوارها قائلاً:
_بدأت أقتنع أن قرارنا غلط..

أجابته باستهزاء:

_فين حب المغامرات؟..

منحها نظرة قاتمة ثم اسرع بخطاه حتى وصل
للخيمة..

بقصر "طلعت زيدان.."

أمسك بيديه حتى نهض عن الفراش، فعاونه
بالاقتراب من الشرفة ليتابع ما يحدث بالحديقة
بابتسامة فرح تشق وجهه، ربت "آدم" على يديه وهو
يقول:

_متقلقش كلهم بقوا أيد واحدة زي ما تمنيت..

هز رأسه ببطء ثم قال:

_الحمد لله، حصل أخيراً بس بعد مجهود كبير..

ثم أشار له بتعبٍ استحوذ عليه من وقفته التي لم

تتعد الدقائق فما زال مريض بعد:

_رجعني السرير يا ابني مش قادر اقف..

إحتمل على ذراع ابن شقيقته حتى أعاده للفراش،

جلس على طرفه فأنحنى ليعاونه على التمدد، طرقات

على باب الغرفة جعلتهم ينتبهوا لمروان الذي ولج

لداخل موجهاً حديثه لأدم بمرح:

_الساعة بقت 2معاد ورديتك خلصت يا مستر

أمريكا..

ابتسم وهو يجذب حقيبتة عمله ثم قبل يد "طلعت"

قائلاً:

_مش عايز اي حاجة مني..

أجابه في حنو:

_لا يا حبيبي..

غادر على الفور، فولج "مروان" ليقرب مقعده من
الفراش ثم تابع ساعته حتى حان موعد الدواء
فسانده حتى تناول الحبوب الطبية ببضعة قطرات
من المياه، البسمة الصغيرة لم تنقطع عن وجه
"طلعت زيدان" وهو يراهم يتبادلون معاً للاطمئنان
على حالته والاشراف عليه بذاتهم بعيداً عن الخدم،
يرى الآن ما تمكن الحب من زرعه في نفوسهم، كان
يظن أن رهبتهم منه وخوفهم سيجعلهم طوع أمره
ولكن ما لم يتمكن الخوف من صنعه فعله الحب
وهو في وقتٍ لا يعهده بالقوة..

بالأسفل...

جلسوا جميعاً لتناول طعام الإفطار، فأنضم لهما
"مروان" بعد ان غفل "طلعت" بعد تناول الادوية التي
تحتوي على كمية من المخدر، فجلس على المقعد

المجاور لأخيه الأكبر، مازحه "فارس" قائلاً بمرح
حينما اقتربت "يارا" منهما بصحبة "سلمى" و"ريم":
_ها النتيجة بانث ولا لسه؟.

أجابة متعجباً:

_هي في نتيجة بتبان بعد الامتحان باسبوع..!

تعالت ضحكاته وهو يغمز له بخبت:

_تلاقيك مستانيها اكر من أي وقت لأجل الحبيب
يرضى عنك والقلوب تتصافى..

بمجرد جلوس "يارا" على المقعد المقابل له باستحياءٍ
تملكها حينما استمعت لما قاله فارس تأكد من
دنائته، فجذب كوب المياه الموضوع وكاد بأن
يلقيه عليه، وسرعان ما انتبه لصوت سليم الصارم:
_أحنا موجودين على فكرة..

تركه عن يديه وهو يتوعد له بغیظٍ، فسحب "سليم"
نظراته تجاه "فارس" قائلاً بحذم:
_كل وفكك من شغل العيال ده..

أوماً برأسه بخفتٍ وعينيه تتابع شرارة نظرات مروان
الذي سحبهما ليتطلع لآخيه الصامت طوال الفترة
الماضية، لا يعلم ما به ولكنه مازال يبذل قصارى
جهده لمعرفة ماذا هناك، فابذل آخر محاولاته
حينما دنا منه ليهمس:

_أنت كويس يا "ريان"؟..

عاد من شروده حينما تخلل صوت أخيه مسمعه، فرسم
بسمته مصطنعة وهو يجيبه:

_معرفش انت شاغل دماغك بيا ليه انا الحمد لله
كويس..

ثم اشار له:

_هطلع اريح شوية كمل أكلك..

وتركه وغادر والاخير يراقبه بعدم اقتناع، حتى
سلطت نظراته على "جان" الذي قال:

_مفيش حاجة تستدعي القلق..

هز رأسه بخفتٍ ولكنه يشعر بان ثمة أمراً ما يخفيه

عنه..

جلس لجواره بعدما ثبت البجعة جيداً على السيخ
الرفيع بعد عملية من التنظيف استغرقت عشرون
دقيقة، جلس "رحيم" لجواره في سكونٍ دام لدقائق
مبسطة فقرر "مراد" كسرهما قائلاً بسخرية:
_ اتمنى رحلة الصيد العظيمة تكون عجبتك
وراجع مبسوط..

منحه نظرة جانبية مغلظة، فقال ببرود:
_ دي ريحة شماتة ولا ريحة البجعة..
تعالى ضحكاته الرجولية فأكد له بغرور:
_ قولتلك سبلي الطالعة دي وأنت مرضتش فبالتالي
النتيجة مرضية..

جز على شفتيه بأسنانه وهو يخبره بضيق:
_ ناقص أنا فوبيا الدم دي ما كفايا اللي أنا فيه..
استدار "مراد" برأسه تجاه خيمة "شجن" ثم عاد

ليتطلع اليه قائلاً بثبات:

_متقلقش أنا وحنين هنظبطلك الدنيا، اسمع يا

سيدي..

صعد غرفته وهو يجاهد الانهاك الذي يهاجمه، بآله مشغول بما حدث بأبيه وبما سيحدث حينما يعلم أشقائه بالأمر وخاصةً بأنه قتل على يد "مراد" يخشى أن تتفكك العائلة من جديد حينما يكشف هذا الأمر، فتح باب غرفته وعينيه تبحثان عنها، فحينما تشتد به الاوجاع يبحث عنها ليبوح عما يضيق به صدره، بحث عنها بالغرفة وصوته يعلو باسمها:
" _سارة... "

لم يجدها بالجناح بأكمله فطرق عدة طرقات على باب حمام غرفة النوم قائلاً بقلق:
_حبيبتي أنتِ جوه؟....

انقبض قلبه حينما لم يستمع لصوتها، فتح الباب

فتحولت نظرات "ريان" لصدمة كبيرة حينما وجدها
تفترش الأرض بإهمال، اسرع إليها والخوف يبتلعه
بخوفه المظلم فقربها لصدره وهو يناديها بهلع:
"_____ارة...!"

فتحت عينيها بنوم وهي تناديها باستغراب لعدم سماع
صوتها الثرثار:
"_____حين..!"

وجدت الخيمة فارغة فتعجبت لعدم شعورها بها وهي
تخرج من الخيمة، نهضت "شجن" ثم احكمت
حجابها جيداً وخرجت لتبحث عنها بخوفٍ وخاصة
عند غروب الشمس بمظهرها الفتاك الذي انساها
خوفها رؤية هذا المشهد الألهي المبدع، سلطت
نظراتها على التوت الأحمر الذي يزين بالحشائش
شكل القلب ليتبعها سهم مطول، انحنت لتلتقط بعض
التوت والابتسامته الحالمة تزين وجهها، اتبعت السهم

وهي تحمل التوت بين يديها بفرحةٍ، وحينما ازداد عن
طاقة حملها جلست على العشب وأخذت تزين به أسم
تكتبه بحبٍ، فقرأه من يقف خلفها بتعجبٍ:
"-زين...!"

الفصل الثالث والأربعون...

راقبها وهي ترتب التوت بعنايةٍ فائقةٍ حتى انتهت من
كتابة الاسم الذي دونه، قرأ من خلفها بصوتٍ
مسموع:

"زين"، ويا ترى من حقي أسالك مين زين ده؟..
رفعت عينيها مقابله وهي تتصنع استيائها الشديد
منه، فحاولت النهوض جاهدة ان لا تحتاج لمعاونة
يديه الممدودة اليها، وقفت "شجن" مقابله وهي تلتهم
التوت الشهي بتلذذٍ أثار غضبه فقال بحدة:
_سألتك سؤال جاوبيني!..
قالت وهي تلوك أحداهن:

_ده الاسم المناسب اللي اختارته لابني..
ضيق زيتونية عينيه بضيقٍ عالٍ سببه صريحاً:
_هو مش المفروض نختار الاسم ده مع بعض ولا
خلاص بقيتي تاخدي قرارات لوحداك!..

توقفت عن مضغ ما بجوفها وهي تجيبه بعنف:
_هو حضرتك فاضي للاختيارات والكلام ده، أنت
شخصية "رحيم زيدان" الشيطانية مسيطرة عليك
ومش مخلياك عايز حاجة في الحياة غير القتل
وبس....

لوهلة ظن بأن اللجام الموسوم على شخص من
ذكرته بالإسم سيوشك على التحرر، وربما ان
التهمة لن يكون بالقليل، الاتزان لم يكن
بالشجاعة الكافية ليتخلى عنه الآن، فقال بنبرة
غامضة:

_وانا قولتلك قبل كده أنك لازم تتقبليني زي ما
أنا..

ردت عليه سريعاً دون أي تفكير:
_يبقى عمري ما هتقبلك كده..
وتركته محله ثم أكملت الطريق المرتبط بقطع
التوت المنثور، قطعت مسافة ليست بقليلة حتى

وجدت ذاتها أمام بحيرة كبيرة للغاية، يشوبها الضوء
الأصفر الذي يحيط بها، وعلى مسافة قريبة منها،
وجدت "حنين" جالسة أرضاً، تزين الطريق بالتوت
الأحمر الموضوع بسلة صغيرة تحملها على كتفها،
احتدت نظرتها عليها فأسرعت بخطاها تجاهها ولكن
سريعاً ما التوت ساقها فانحنت لتتفقد مدى اصابتها
ومن ثم نزعت عنها الحذاء ذو الكعب العالي، ونهضت
لتستقيم بوقفاتها بخرج تخفى سريعاً حينما وجدت
ذاتها بمفردها بهذا المكان الذي أصبح مخيفاً لمجرد
بقائها بمفردها، أسرعت للبقعة التي رأت بها "حنين"
منذ قليل فنادت بها بصوت مرتعش:

"_حنين..!"

تسلل لمسماعها أصوات مخيفة للدببة التي تعيش
على جزر فنلندا، فنبش الخوف بقلبها كالقط
الجائع، تراجعت للخلف بخوف شديد وهي تكرر
ندائها بصوت منخفض:

"_حنين"، أنتِ فين؟..

وحينما لم تجد أي رداً، طرح عقلها بفكرة منطقية
لحداً ما فبدأت بتتابع حبات التوت المصفوفة خلف
بعضها بانتظامٍ، لم يكن امامها خياراً أفضل من ذلك
فحتى أنها أرادت العودة بالطريق الذي سالكته عليها
تجد "رحيم" ولكن الطرقات من امامها متشابهة
فيصعب عليها تحديد أي طريق سالكته للوصول لهذا
وخاصة بعدما أزالته بذاتها التوت المرشد لها برحلتها
العجيبة، واحدة تلو الأخرى تتابعها حتى وصلت
لمكان غريب يطوف به (القش) الأصفر من جميع
الاتجاهات، وقضت محلها تتأمل به بارتباكٍ، تتمنى من
صمام قلبها أن يظهر أمامها كالمعتاد اليه حينما
تتعرض هي للسوء تراه كالحصن، بسمته ألم لاحت
على شفتيها فحينما يلامسها الأمان فيكون يوجوده
هو، ربما هي كلمة مبسطة لم تعدها من قبل، حتى
وإن كانت تعيش بمنزل جمعها منذ الصغر بأخيها

الوحيد، لطالما كانت هناك حلقة مفقودة، فقدت
بغيا به عنها، منذ أن فرقهما القدر مرتين، مرة حينما
اختار الدفاع عنها وعن شرفها ليزج به داخل السجن،
معتقل مظلّم إبتلعه هو؛ ولكنها هي من كانت تتألم
أكثر منه، وعانت مرة أخرى حينما نُقل إليها خبر
موته فكسر آخر آمالها باللقاء به، نعم كانت
تترقب خروجه حتى وإن كان لأعوام لا حصى لها
ولكنها بالنهاية كانت تنتظر على أمل لقاء عينيه
الزيتونية المميزة، تمت وترقبت ونهاية كل ذلك
حطام قلبها، الذي رغد بأنكسار جديد، عادت
لتعاني من جديد من ظلمٍ موجوع حينما تسلسل من
يدعى "رحيم زيدان" عالمها، رأت قهراً لا يوصف
ببضع سطور ولا بكلمات العالم بأكمله، لتستيقظ
على حقيقة مؤلمة بأنه هو نفسه ذات الشخص الذي
قضت عمرها بأكمله بانتظاره!، ربما كانت رحلتها
طويلة ولكنها بنهاية الامر تقبلته ولكن بداخلها

ما زالت تراه "فريد"، لا تنكر بأن حالة من التوتر
تسيطر عليها حينما تشعر بأنه من المحتمل ان يعود
لما كان عليه من قبل لذا تريد سماعه كل دقيقة
يعترف بأنه فريد، محبوب الطفولة وعاشقها الابدي
ويعهد لها بأنه لن يعود لشخص "رحيم" أبداً...

_شايف الحماس اللي كان عندك من شوية قل..
صوته الرخيم كسر حاجز صمتها الذي دفعها
لتفكير مطول بين حوائط ذكريات الماضي الذي
لم يتركها الا حينما يذكرها بالمحاسن والمآسي
اللاتي اختبارتها، ارتسمت بسمته صغيرة على وجهها
لوجوده لجوارها ولكن سريعاً ما أخفتها خلف وجهها
الجامد فقالت بغرور وهي تتجه لداخل هذا الوكر
العجيب:

_مقلش ولا حاجة بالعكس أنا حايّة استكشف
المكان الجميل ده..

ولجت للداخل وهي تهدأ دقائق قلبها الراقصة على

لحن من معزوفة قصتهما الخالدة فاستدارت برأسها
للتفقد، شهقت بدهشة حينما وجدته خلفها،
تعمقت نظراتها بعينه جعلت جسدها يقشعر برهبة
فقالت بقوة مصطنعة:

_جاي ورايا ليه؟..

رفع حاجبيه بسخرية:

_لو هتعرفي تكوني مرتاحة من غير وجودي انا
ممکن ارجع عادي..

وتركها وتباطئ بخطواته المتجهة للخروج، تدفقت
الذكريات تباعاً وكأنها عدوتها الوحيدة، أخبرته
كثيراً بأنها تكره رحيله وان كان مجبراً على
ذلك، ذكريات ما تعرضت له بالسوء في كل مرة
ابتعدت هي عنها هاجمتها فأسرعت خلفه وهي
تتمسك بجاكيته الأسود بقوة قائلت بخوف انتقل
إليه بأصابعها المرتجفة المشددة على يديه:

متسبنيش لوحدي بالمكان دا...

بسمت غرور تلقىها اجابة منه، فتطلع ليدها التي
ما زالت تتشبث به ثم استدار "رحيم" ببطء شديد
تجاهها، فراها تتطلع إليه بنظرات سبق أن رآها من
قبل، لا يعلم أن كانت تستلذ العناد والتحد أمامه أم
أن هناك شيئاً آخر مجهول لا يعلمه؟، لا ينكر بأن
خطرة "حنين" حققت غير المتوقع بالنسبة إليه
ولكن تمسكها به كان حلم لن يضعه على لائحة
أحلامه الثمينية، مزق الرعد صفحات السماء بقسوة
لتصاحبه دمعات المطر القاسية لتتساقط بعضها على
سفح هذا المخيم الضئيل، فسقطت بعضاً منها عليهم،
لامست القطرات وجهه المنصدم لعلها ببرودتها تجعله
يستعيد وعيه، تحرك تلقائياً للخارج ليرى إن كانت
المياه ستتسبب بأنهيأ هذا المكان المصنوع من
حزمات (القش) الضعيفة، شعرت "شجن" بشيئاً خافت
يتحرك لجوارها، فصرخت برعب جلي وهي تركض
إليه بخوف:

"_رحيم..."

إحتضنته بقوة وهي تشير تجاه تلك الحية التي
تتحرك تجاه أقدامها، تركزت نظراته عليها وكأنه
فاقد لحواسه الكامنة، لم يلاحظ شيئاً سوى قربها
منه، إسمه الذي تردد بقوة من صوتها المعسول،
إقتناعها بأنه أمانها،.أشارت له بصراخ على الحية
المتحركة فنقل نظراته عنها بصعوبة ليتطلع
للشيء الالكتروني المتحرك تجاهه بنظرة ساخرة،
رفع يديه ليحتضن وجهها قائلاً بلهجته المتزنة:
_إهدي...

وضعت يدها على يديه بصراخ:

_أهدى إزاي هنموت..

لاحت على وجهه بسمته شبه ساخرة ليخفي من خلفها
خبثه التام فقال بحزن مصطنع:

_الظاهر كذا...

ثم ألقى نظرة متفحصة على المكان ليسألها بمكر:

_طيب مفيش عندك حاجة حابة تقوليها قبل ما
نموت يعني حاجة نختم بيها الليلة المرعبة دي
حتى نقابل الموت بفرحة بدل الحزن اللي مقابلنا في
كل حتة دا، ده انا لحد الان مسمعتش منك كلمة
تخليني اتفاءل..

وزعت نظراتها عليه وعلى الأفعى المتحركة قائلة
بأرتباك:

_أنا بأ.....

تركزت عينيها على الأفعى بتوتر ف جذب وجهها تجاه
قائلاً بأنفاس متقطعة:

_أنتِ أيه يا "شجن"؟..

أجابته بأرتباك:

_بأحبك...

ابتسم وهو يخبرها بمكر:

_بتحبي أي حد فينا فريد ولا رحيم..

قالت بخوف وهي تتمسك به:

_الأتين، هو ده وقته بس..

دق قلبه بعنف وكأنه إستمع لما تمنى سماعه،
تشكلت بسمته على وجهه وعينية تتعمق بنظرات
عينها..

خلف كومة من القش الموضوع بأحدى الزوايا..
فشل "مراد" بالتحكم بها وخاصة حينما قضمت يديه
المقيدة لضمها بأسنانها فتخلى عن تقيده لحركاتها
لتخرج من خلف كومة القش تصرخ بجنون:
_أخييراً يا شيخته حرام عليك..

وتطلعت لرحيم قائلة بغرور:

_مش قولتلك أنا اللي هجيب معاها من الآخر..
تطلعت لها شجن بصدمته وخاصة حينما لمحت جهاز
التحكم باللعبة بين يدها، منح "رحيم" "مراد" نظرة
غاضبة عن تخليه عن مهامه برجع "حنين" فرفع
يديه بأستسلام:

_مش دي اللي ممكن أتحكم فيها وفي تصرفاتها،

أني أسف..

نقلت شجن نظراتها على رحيم الذي رفع كتفيه
بأشارة خبيثة تعني انقلاب لعبتها عليها، فكيف وان
كان اعترافها وثاق لا ينضى، تعالت ضحكات الجميع
فصرخت بهم بعصية:

_أنا مش عارفتة أيه لزمته كل ده، وبعدين يا حنين
انتي المفروض معايا وبتساعديني ولا معاه..
أجابتها بمرح:

_أنا الحق، والحق يقول ان الراجل اتمرط وانا بحب
اساعد في قصص الحب الجميلة دي...
ربع "مراد" يديه أمام صدره وهو يجيبها بسخرية:
_وأيه تاني يا روح قلبي كمل كمل أنا سامعك..
طاف وجهها مئة لون فقالت بدلال:

_محبش اي حاجة في الكون غيرك، شوف لو
هشحت كده برضه مش عايزة غيرك أنت..
جز على اسنانه بضيق من طريققتها المضحكة التي

لا ترغب بتركها، صرخت "شجن" بفرع حينما اهتزت
أكوام القش من حولهما لتسقط جميعها فوق
رؤوسهم....

بقصر "طلعت زيدان.."

أوصل "مروان" الطيبية للأسفل بعدما قدم لها مال
وفيراً مقابل بشرتها العظيمة اليهما بقدوم حفيد
جديد لعائلتها الصغيرة، بينما بالأعلى كان يجلس
"ريان" لجوار الفراش الذي يحمل زوجته الفاقدة عن
الوعي وملامح الحزن تسيطر على وجهه بخطوط
عريضة، تحرك رأسها يساراً ويميناً بوجع ففتحت
عينها وهي تهمس بألم:

_آه...

فتحت "سارة" عينها لتبدأ باستعادة وعيها بالكامل،
فأختطف لقطات سريعة لمن حولها، وحينما وجدت
"ريان" يجلس شارد جوار فراشها همست بإرهاق:

"ري_ان."

لم يستمع اليها فرفعت صوتها قليلاً حتى انتبه اليها
فنهض ليجلس جوارها على الفراش وهو يحتضن يدها

بين يديه بقلق:

_بقيتي أحسن؟.

أجابته ويديه تفرك جبينها بوجع:

_الحمد لله، انا معرفش أيه اللي حصلي فجأة لقيت
الدنيا بتلف فيا ورجلي مش شيلاني، هي الدكتورة
قالت عندي أيه؟..

طالعها بعينه المهمومة، فاختصر جملة بمشاعر
غامضة:

_أنتي حامل يا "سارة".

الفرحة من المفترض أن تخيم عليها قبل أن تشمله
ولكنها انطفئت حينما وجدته يتحدث هكذا،
فتساءلت بقلق:

_ليه حاستر انك مش فرحان!..

نقل نظراته عنها للضراغ والكلمات لم تجد المخرج
المناسب، جمود تعابيره اوحى لها بأفكار مؤلمة
فقالت بصدر مقبوض:

"ريان" أنت مش بترد عليا ليه؟..

حمد الله في صمام ذاته حينما طرق على باب الغرفة
فابتعد عنها وهو يردد بثبات:
_ ادخل..

ولجت "ريم" للداخل بصحبة الفتيات، فترك مساحته
لهن بأن غادر الجناح بأكمله، جلست "سلمى" لجوارها
وهي تهناها بابتسامته عذباء:

_ الف مليون مبروك يا روح قلبي..

بالكد رسمت بسمته مخادعة وهي تجيبها، فقالت
"ريم" بفرحة:

_ ربنا يكملك على خير ويقومك بالف سلامة
ونفرح بالبيبي الصغير كده.

أجابتها "سارة" بهدوء:

_ونفرح بیکِ أنتِ کمانِ یا ریمتہ...

رددت بتمنی:

_یــــارب..

لکمتها "منتہ" باستہزاء:

_مستعجلتہ علی آیہ، عیشی حیاتک الاول

برومانسیتہا ومغامراتہا وبعدین اتربطی بعیلین ثلاثہ

یاختی بلی ہم..

تعالیٰ ضحکاتہن، فتدخلت سما بالحدیث:

_سیبک منها یا ریم ہی مدورها مع سی "فارس"

وجایتہ تدینا مواعظ..

أشارت لها بغضب:

_أنا معرفش انا هفضل احترمک لحد امته بس یلا

هانت وتتجوزي وارتاح منک للأبد..

لوت شفتیہا بسخط:

_ده بعدک انا قاعدة علی قلبک..

حاولت فاطمتہ فض النزاع المتبادل بینہما فقالت

بمرح:

_ ما خلاص ياما منك ليها انتوا كل ما نتجمع كده
تقفشوا في خناق بعض ده احنا بنشوف بعض من
السنة للسنة..

أجابتها "سلمى" بتأييد:

_ اه والله يا فطوم قوليلهم..

فتح الباب فجأة وأشرأبت "نغم" بعنقها من خلفه قائلة
بمشاكسة:

_ القعدة الحلوة دي ناقصها مين؟..

أجابتها "ريم" وهي تسرع لاحضانها:

_ أنتِ طبعاً..

صرخت وهي تحاول ألتقاط انفاسها أسفل كتل القش
الضخمة، فرفعت رأسها مرة واحدة وحينما ادركت
زمام الامور وجدت مراد من يمسك بها من تلباب
فستانها المكور من اسفلها، سحبت الهواء لريثتها وهي

تهمس بصعوبة:

_الحمد لله لسه عايشين..

أنفخت "شجن" ثيابها وهي تردد بغضب:

_معرفش أنا المفروض هعمل أيه معاكى يا حنين بعد

كل المصايب السوداء اللي بتعملها دي..

ازدادت الامطار في مناخر فنلندا الغير مستقر، وكلاً

منهما يحاول الاحتماء بأي شيئاً قريب، ابتلت ثيابها

وهي لا تدرك بماذا تحتمي، جذبها ل صدره وهو يرفع

جاكيتة كي لا تطولها الامطار، سكن جسدها

وخفق قلبها بشراسة، فحاصرها رحيمة بكلماته:

_زمان أستحملتلك علشان حالتك النفسية ودلوقتي

مضطر استحملك علشان هرمونات الحمل المتقلبة،

بس يا ترى بعد كده هيكون في سبب وحجة

ليكي برضه..

ضحكت وهي تجيبه على استحياء:

_هو مش المفروض انك تفضل عمرك كله تحبني

وتستحملني..

تطلع لعينيها وصمته يقتص بمشاعره الفياضت، المياه
تتناثر على خصلات شعرخ بقوة جعلتها تتناسب على
عينية ببطء فمنحته جمالاً، تمنى لو قضي العمر
بأكمله يتطلع لها، عاد من سماء حبها على صوت
اصطدام ودفعته يد قوية، فانتبه لمراد الذي دفعه
بعيداً عن فرع الشجرة الذي سقط من شدة الهواء
الذي رافق مياه المطر بترحاب، استدار مراد في مقابله
ليلقي بكلماته المندفعة:

_لو خلاصت رومانسيات وأمورك بقت تمام ياريت
نتحرك بسرعة علشان الوضع ميظمنش..
استقام بوقفته وهو يتفحص حجم الضرر الذي سيقع
عليهما ان لم يتمكنوا من العودة للخيم في الحال
ولكن لسوء الحظ ان السيارات تعطلت عن العمل فجأة
فلم يكن هناك حل آخر سوى ان يتحرك كلا
منهما،

فتقدموا جوار بعضهم البعض لأكثر من ساعة
كاملة ولم يتمكنوا من العودة لمكان المخيم،
فزفر "مراد" بغضب وهو يوجه حديثه لها:
__عجبك كدا أدينا تايهين على الجزيرة بسببك..
رمقته "حنين" بنظرة مطولت وبسمت حماس:
_دا بدل ما تشكرني على الأجواء الرومانسية اللي أنا
كنت السبب فيها دي..
حك "رحيم" طرف ذقنه الصفراء النابتة ليحجب
بسمته عن تلك الحمقاء ليشير لها متصطنعاً الثبات:
_"حنين" متتوقعيش رحلة رومانسية على جزيرة فيها
أخطر حيوانات بالعالم...
ختم حديث رحيم صوت عواء مريب جعلها تتخبئ
خلف مراد بخوفٍ بينما إبتلعت "شجن" ريقها برعباً
حقيقي وهي تتوهم بأن موتها قادم لا محالة، إستدار
"مراد" تجاهها قائلاً بسخرية:

__راح فين التفائل والطاقة الإيجابية اللي

عندك؟!..

أجابته بصوت يكاد يكون مسموع:
_ كان هدفي والله أقرب المسافات بين أخوك والبت
شجن..

رمقتها "شجن" بنظرة نارية ليبتسم رحيم مردداً
بلهجة ساخرة:

_ بشكرك لرقّة قلبك الجميل بس للأسف مفيش
حد فينا هياحق يشوف دنيا عشان يفكر في صلاح
متبادل..

وضعت يدها حول خصرها بغضب:
_ تصدق أنا غلطانه أني عطلت فرامل العربية عشان
نمشي في الجو الجميل ده وتقدر تتكلم معاها
براحتك..

كبت رحيم ضحكاته بصعوبة ليشير لها بالاستدارة
لتجد أمامها الجوكر بملامح تجعله أشد خطورة
ليضغط علي أسنانه بغضب مميت:

_بقي أنتِ اللي عطلتي فرام العربية؟...

أشارت له برجفة وبسمة بلهاء تخالفها:

_كان هدفي الخير لكل وعهد الله إيش عرفني أن

كل دا هيحصل...!!

مرريديه بين خصلات شعره بغيظ ليشير له رحيم

ببسمة هادئة:

_خلاص يا مراد اللي حصل حصل، لو فضلنا نتناقش

بالموضوع أكثر من كدا هنبقي وجبة شهية

للسكان الجمال اللي هنا..

تمسكت "حنين" به برجفة تسري بأنحاء جسدها:

_أوعى اللي عملته يخليك تسيبني للضباع

والدينا صورات تأكلني عيب تنتقم بالطريقة البشعة

دي يرضيك أبويا مياقيش جسم يدفنه...!!

إحتضن الجوكر وجهه ليردد بعدم تصديق:

_الصبر وطاقته تحمل للبلاء اللي إبتليت به يارب..

تابعت "شجن" حوارهم بصمت رغم خوفها الشديد من

سماع هذة الأصوات، طوف "رحيم" المكان بعيناه
بتفحص ليشير لمراد بأحد فروع الأشجار فعليهم
تساق فروعها حتي الصباح، حمل "مراد" "حنين"
ليضعها علي أحد الفروع لتكمل صعوداً للأعلي
ليصعد هو خلفها بانتظار "رحيم" الذي تطلع لشجن
مطولاً، فركت أصابعها بخوفاً أكثر من سماعها
للأصوات تقترب، وقفت أمامه بملامح غاضبة تحاولت
لصدمة حينما إنحني "رحيم" ليشير لها علي قدميه
لتصعد فوقهما، ومن ثم جذبها "مراد" للأعلي لتكمل
طريقها خاف "حنين"، صعد "رحيم" لينضم لهم فقال
الجوكر بسخرية:

_مش هتفكك من حوار قيس اللي عايش فيه دا..

تطلع له بذهول وهو يجاوبه:

_قيس يعني الرومانسية مش عجبك بقي أسلوبه في

أيه؟!..

أجابه مراد ببسمة ساخرة:

_في فرق بين قيس وروميو يا خفيف قيس مات قبل ما
يتجوز حبيبته لكن روميو من يومها وهو مقطع
السمكة وديها..

وتعالت ضحكاته بسخرية فدفعه رحيه ارضاً بغضب،
وهو يحذره:

_مش هيبقى أنت والهرمونات، خليك بعيد عني
الفترة دي احسنلك وأحسنلي...

تساق الغصن مرة أخرى ببراعةٍ وحرافيةٍ وهو يغمز له
بخبت:

_فكك، خلينا نشوف هنقضي الليلة ازاى على
الشجر وفي الثلج ده!!

رفع عينيه للأعلى وهو يجيبه بمكر:

_لا دي عليا...!

الفصل الرابع والأربعون...

بجوار احدى البحيرات وخاصة الأشجار العملاقة التي
تحدها من كل صوب كانت تتناغم قطرات المطر
بدلال لتغرق أوراق الأشجار فتساقط بعض النقاط
بانتظام لتبلل فروعها العملاقة، وعلى أحد الجذوع
كان يجلس بأستقامة متكئاً بظهره على جسد
الشجرة، عينيه تختلس النظر لمن تفرك يدها
ببرودة شديدة، جسدها يرتجف بقوة جراء هذا الجو
السقيع الذي تواجهها دون أي مأوى، إلتوى فمه
بابتسامة ساحرة وهو يدنو منها مردداً:
_أعرف واحدة زمان كانت بتعشق البرد والمطرة
والوقتي شايفها قاعدة قدامي زي الكتكوت
المبلول..

استدارت "شجن" برأسها تجاهه، لتلوح بيدها في
سخط:

_أديك قولتها زمان! ، وبعدين هو ده مطرده تلج
وسبحان الله الجو من ساعتين تلاته كان صيف فجأة
اتحول لشتا...!

خلع معطفه الأسود ثم لفه حول جسدها جيداً
وعينيه تهيمان بالتطلع بها ، قائلاً بكلماتٍ بطيئة:
_قربي مني...

زاد تأثرها بكلماته ومغزى نظراته ، شعرت بدفٍ
يجتاح بشرتها قبل ان يصل لجسدها البارد ، لا تعلم
لما يخفق قلبها بتوترٍ فأن كان حاوط جسدها بعض
الحرارة فما زالت رائحته تحيطها ، أحكم "رحيم" غلق
أزرار المعطف من حولها ليجيبها بالهجته الساكنة:
_شكلك فقدتي جو مغامرات الطفولة ولا
نستيه؟...

بمجرد الحديث عن هذا الجزء الغير مستحب من
ذكريات الطفولة دفنها بذكريات زوج أمها البغيض ،
فربما يمتلك الصغير عدد من الذكريات المبهجة

على عكسها قضت طفولتها في تعاستٍ قاسية،
شرودها جعله يلتمس ما الذي أصابها، تلقائياً مال
بجسده تجاهها ليضمها لصدره بقوة، وأصابعه يمررها
برفقٍ على طول ذراعيها وهو يهددها بكلماتٍ
مختارة:

_كله عدى وانتهى، وطول ما أنا جانبك مش هسمح
لأي شيء في الدنيا انه يأذيك..

تمسكت به وهي تجيبه بصوتها الخافت:
_كانت أصعب فترة قضتها في حياتي وأنا بلوم نفسي
الف مرة اني كنت السبب في حبستك، كنت
عايشة على امل أنك هترجع وبقوي نفسي بأني
هشوفك تاني، بس حتى الامل ده اخدوه مني لما
قولولي أنك مت..

والتقطت انفاسها بتثاقلٍ وهي تستكمل باقي
كلماتها:

_وبعد كل ده أتعرض لظلم كبير وكنت بانتظر

وجودك جنبي علشان تنصرني من اللي ظلمني زي ما
اتعودت وأتفاجئ إن اللي بستنى أتحامى فيه هو نفسه
اللي ظلمني..!

رفع وجهها إليه وهو يزيح دمعاتها برفق، ونظراته
تحمل عتاب ذنب قد اقتطفه بالماضي:
_ كل ده فات وعدى احنا في النهارده اللي انا جانبك
فيه يا "شجن"..

أغلقت عينيها باستسلامٍ لنومٍ مريحٍ بأحضانها، احضان
القاسي الذي ذابت قلعتة حينما عاد القلب ليخفق
بخضيان إليها..

فرک بيديه جبينه وهو يحاول التغلب على
انفعالاته، فطاف عقله فكرة مجنونة بأن ينهض عن
محلّه فتسقط من تستند عليه أرضاً وحينها ربما
سيخلص من ذات اللسان السليط، إستكملت "حنين"
باقي محاضراتها التي لن تكف عن الخوض بها

مستدلتة على ما قالت باحداث أحد أفلام الرعب:
_بس يا سيدي والبنتين والولدان طلعوا على الشجرة
الكبيرة علشان يستخبوا من اكلين لحوم البشر اللي
هما ثلاثرة، اتنين بكرش وواحد مسلوع كده، المهم
طلعوا على الشجرة ولقوا فوق مكان زي البيت الصغير
كده تقريباً مكان للحارس وأقعدوا يطلبوا النجدة
بالاجهزة القديمة اللي كانت فوق ولا حد حس
بيهم، راحوا الوحوش التلاته مولعين في الشجرة
والابطال نطوا على شجرة تانية وآآ....
كفت عن الحديث حينما كمم "مراد" فمها ليشير
لها بأصابعه بتحذير:
_أحنا في مكان مفهوش ادوية للصدا فأمسكي
لسانك لحسن وربي أرميكي من هنا والوحوش
تأكلك وأرتاح من لسانك السليط ده للأبد.
برقت بعينيها بصدمة وهي تتساءل بلهجة أقرب
للجدية:

_هيجياك قلب كده ترميني لأكلين لحوم البشر يا
مراد؟..

ردد بعدم تصديق:

_لا اله الا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين...
انسدت دمعته من عينيها والاخر يحاول استيعاب ما
يحدث، وخاصة حينما قالت:

_انا عارفت انك لما بتسافر بترجع شخص قاسي
ومنعهم الضمير..

زفر في ملل:

_كأنك بتبالغي حبتين..

عبثت بملامح وجهها وهي تجيبه بغضب:

_الحق عليا انا بحكيالك فيلم اكشن بحيث تصرفش
شوية بدل الأجواء المنيلتة اللي احنا فيها دي..
اجابها ساخطاً:

_ومين السبب في الاجواء دي مش حضرتك...

كادت بأن تجيبه من جديد فقبل يدها وهو يدنو

منها قائلاً بانزعاجٍ شديد:

_حقك عليا أنا غلطان بس ارحميني لوجه الله..

ابتسمت في انتشاء ثم اقتربت برأسها منه لتهمس

بخبت:

_ماشي بس شوف أنا احن منك ازاي ومش هزقك من

هنا لأكلين لحوم البشر..!

ابتسامته ساخرة تشككت على شفثيه وهو يجيبها:

_مش هتفرق، اتقاتلنا مع كل الأجناس مجتش عليهم

يعني...

مددت رأسها على قدميه وهي تخبره بابتسامته سلبت

قلبه:

_احكي إحكي الليل طويل..

شماها بنظرة سريعة قبل ان يخبرها بمنطقية:

_والطول ده مش استغلال للنوم ولا ايه؟..

اتكأت بمعصمها حتى استقامت بمجلسها لتردد

بصوتٍ منخفض:

_انت عايز تنام وتسبني قاعدة لوحدي افكر

الضربة هتجيلي منين..!

خرج عن طور تحكماته ليهذي بعصبية:

_حنيـن أنا ابتديت افقد اعصابي..

_الخناق في الوقت والمكان ده مش كويس

للوضعية اللي احنا فيها، ياريت تفضوا الخناق الجميل

ده لما نرجع الخيم..

كان صوت الاسطورة قاطعاً للمشاجرة المتبادلة بين

كلاً منهما، وزعت حنين نظراتها بين زرقته عينيه

وبين المسافة بينهما وبين الأرض فاستندت بظهرها

على جسد الشجرة وراحت تجلس في صمت عميق،

ابتسم "مراد" وهو يراقبها بمكر، ثقل رأسها جعلها

تسترخي للخلف فأسرع تجاهها ليضع يديه أسفل

رأسها ثم قربها اليه وحينما تأكد من غفلتها طبع

قبلة عميقة وهو يهمس بعشق:

_مجنونة بس بعشقك..

اتاه ردها رغم عينيها المغلقة وابتسامتها تزين وجهها:
_وأنا كمان بحبك على فكرة..

شدد من لف ذراعيه حولها وابتسامته لا تفارقه...

حينما ضاقت به الدنيا وشعر بأن الهواء لم يعد يتسع
صدره خرج لشرفته عل همومه تتبخر بالهواء فتخف
عنه أثقال الحياة، لمست رقيقة على كتفيه جعلته
ينتبه لمن تقف من خلفه، استدار ليكون في
مقابلها، ليقرأ بوضوح دمعاتها الشاكية له عذابها
الساكن تجاه تصرفاته الغير مقبولة جراء تلقي
خبراً كذلك، وقفت "سارة" مقابله تتطالعه باهتمام
علها تفهم ما الذي يدور بداخل رأسه، وحينما فشلت
اطلقت سؤالاتها على الفور:

_أنا ليه حاسته انك مش فرحان بالحمل؟..

طال صمته وبداخله ألف آه، كيف يجيبها بما اعتاد
كبته خلف جدار رجولته الشامخة، ورغم صلابته

ولكنه يشعر بأنه بحاجةٍ ماسةٍ للحديث ولكنه لم
يعتاد عن البوح عن هذا الجزء المؤلم من حياته
بالتحديد...

توقعت أن يوبخها عما قالتله؛ ولكن صمته أكد
ظنونها، إختنق صوتها وهي تسأله بصوتٍ مرتفع:
_أنت مش بترد ليه يا "ريان..!"

فرد ذراعيه على السور الحديدي الذي يلتف بشرفته،
وجسده يهتز بحركاتٍ عنيفةٍ، شهقات بكائها
كسرت الحالة الغريبة التي تسيطر عليه، كادت
بالمغادرة؛ ولكنها توقفت حينما استمعت لصوته
الذي انطلق كالسهم النافذة:

_كنت طفل صغير لما ماما ماتت، مكنتش قادر
أستوعب يعني أيه مسؤولية، كنت فاكراً أنها هتكون
مناصفة بيني وبين أبويا اللي المفروض انه أب، بس
للاسف رمى كل حاجة عليا وأنا طفل صغير عندي
حوالي ١٢ سنة..

قالها بابتسامته تحمل وجع عالم باكملة، لمعت
الدموع بعين "سارة" فاقتربت لتقف جواره وكلتا
أذنيها تستمع اليه، استرسل كلماته بوجع:
_مكنش شايف غير نزواته وبس، كل يوم مع واحدة
ست شكل وكلهم من دور عياله وأنا مضطر اداري
وأغطي عليه علشان شكله قدام إياد ومروان، كنت
خايف يقلدوه في اي حاجة وأبسط كلامهم إن
باباهم بيعمل كده..

وتطلع لها بعمق وهو يؤكد لها جرحه المغوار:
_فضلت طول عمري بداري عنهم وساخته حتى بعد
ما اتقتل مقدرتش أقولهم علشان ميعرفوش بالقذارة
اللي كان بيعملها..

كانت مفاجأة صادمة له بمقتله، فلم تعد تعلم على
اي وجع شعر به وتبكي هي عليه، استدار بجسده
مقابلها وهو يستطرد بنظرات من الخوف:
_خايف اكون صورة له في يوم من الايام خايف

أكون الأب السيء لتي في بطنك يا "سارة..
رفعت يدها لتضعها على خديه وهي تهز رأسها قائلة
بنفي:

_لا انت مش زيه وعمرك ما هتكون كده يا
ريان.."

بالعادة هي من تختبئ بأحضانه والآن هي من تخبئه
بأحضانها، مؤكدة له بأن ما بهاجمه مجرد هواجس،
فريان مختلف كلياً عما يسمى بأبيه، حاوطها
بذراعيه وقلبه ينبض بعنف جراء ما واجهه بالفترة
الاخيرة من ضغوطات نفسية حادة...

أعاد وضع سلاحه خلف خصره بحرص بعدما انتهى من
تنظيفه كلياً، ثم أكمل ارتداء بذلته الخاصة التي
تحمل شعار قصور عائلة "زيدان"، فتح باب الغرفة
لتطل برأسها من خلفه لتخاطبه بضيق:
_برضه مصمم تنزل..

أجابها "حازم" بابتسامته بشوشت:

_ مضطربا روحيا، خلاص الاجازة اللي الباشا كان
مدهاني لشهر العسل خلصت ولازم أنزل والا هيعلقني،
أنت متعرفيش "رحيم زيدان" وقوانينه واللي يخالفها..
وقفت "ريحانة" لجواره وهي تعدل من جرفاته الاسود
قائلة باستغراب:

_ غامض ومش مفهوم..!

أكد على ما قالتة:

_ وعمره ما هيتفهم، أنا شغال معاه عمر بحاله
ومقدرتش افهم طباعه، ساعات بحسه مفترى
وميعرفش الرحمة وساعات تانية بحسه شخص
مختلف حنين وميعرفش غير سمات ولاد الاصول
علشان كده بقولك صعب حد يفهمه..
ابتسمت بدلال وهي تهمس على استحياء:
_ طيب متتاخرش بليل انت قولت هنخرج ولا نسيت..
جذب المفاتيح من خلفها ثم وداعها بابتسامته:

_ لا متقلقيش مش هنسى، يلا سلامو عليكم..

رددت في عشق وهي تتابعه يغادر:

_وعليكم السلام..

وغادر من صان عرضها ومنحها فرصة جديدة للحياة
مجدداً، فحالفها الحظ حينما تشبثت بها واستغلتها
جيداً..

اندفعت الشمس بسماء يومها الجديد فأنسدلت
بخيوطها الذهبية لتغطي العالم بأكمله بدفئها
المعتدل بشتاءٍ قارصٍ على شمالٍ فنلندا، فحينما
توارى الصباح هبطوا سوياً للأسفل، فعادوا للخيم
باطمئنانٍ، كان عليهما جمع الحطب لأشعال نار
هادئةٍ للتدفئة مما حتم عليهم بكسر أحد فروع
الاشجار، فوقف "مراد" يتأمل المساحات الخضراء من
حولهم بأنبهارٍ بعدما وقع اختيار "رحيم" على بقعةٍ
معينة فقال ببسمةٍ إعجاب:

اختيارك للمكان رائع بجد وأفضل شيء أن محدش
من العيلة جيه معانا.

وقف "رحيم" لجواره قائلاً بنبرة غامضة:
المكان فعلاً مميز وخاصة للمهتة الشاقة اللي
هنقوم بيها وأهو هنكون بنعوض التدريب
إستدار إليه بصدمته:

نعم، تدريب ايه إحنا المفروض بنعوض شهر العسل
، فلو حضرتك شايف انه الوقت المناسب فأنا لا..
إبتسم "رحيم" وهو يشير له بمكر:
بالعكس الوقت والمكان مناسب جداً وأنت متعود
تجمع حطب ولا ايه؟..

جذب الفأس ليناوله له فانتشاله "مراد" بغضب يغلي
بعروقه فلوح به بسخرية وهو يقترب منه:
ودا عايز بيه عاهة مستديمة ولا أيه بالضبط..
إبتسم بخبث وهو يجذب الفأس الآخر مشيراً بعينه
على الأشجار التي تطوفهم فرمقه الآخر بنظرة

غاضبه ليتمتمه بضيق:

_معرفش حبك أيه في قطع الاشجار..!

تعاليت بسمته ليلكم الفأس بأحد الأشجار بقوة قائلاً
بمكر:

_أنك تضيع المكان الهادئ دا من إيدك جنون
وخصوصاً لو هتتدرب مع شخص بنفس مستواك..
إبتسم الجوكر بمكر ثم اقترب من أحد الأشجار
ليرفع فأسه على حافتها ساخراً بقوله:
_أنا مش مسؤول لو حد شافنا بننتهك حقوق البيئـة
هعترف عليك..

تعاليت ضحكاتهم سوياً والآخر يجيبه بمشاكسة:
_طول عمرك أصيل...

تعاليت ضحكات الآخر ليبدأ التحدي فيما بينهما
لتمر الساعات طويلاً زفر بعدهما "مراد" غضباً بعدما
ألقى بفأسه أرضاً:

_لا بقولك أيه أنا جاي هنا أحب مش جاي يطلع

عيني، لو حابب تكمل عمالك البطولي دا كمل
لوحدك..

خلع "رحيم" قميصه ثم سدد بفأسه الضربات بقوة
ليتمكن من إسقاطها فقال دون أن يستدير له:
_ لا جايين نتعارك ونبات على الشجرزي القروء،
وبعدين الجبن مش من طباع الجوكر ولا المعلومة
اللي وصلتني غلط..!

رمقه بنظرة حاده فاقترب منه بعدما ثبت "رحيم"
فأسه بطرف أحد الفروع المتحررة، رفع "مراد" قدميه
ليركل الفأس بغضب أطاح بها أرضاً فأبتسم "رحيم"
وهو بتراقبها تجثو أرضاً:

_ _ فكرة برضو..

تساءل بدهشة:

_ هو انت لسه متخيل أنا هنقضها هنا وأسيب

مراتي..!!

وجذب قميصه ليجفف قطرات العرق التي تتوسط

صدره العاري قائلاً بثبات:

_أكيد

ألقى بالفأس أرضاً مشيراً له بسخرية:

_مع نفسك بقي وليك عندي أبلغ أشجان انك قايم

بعمل بطولي مستعجل..

وتركه وكاد بالرحيل فكبت بسمته بصعوبة وهو

يردد:

_أبقي فكري لما أنزل مصر أحنفك لقبك من

الداخلية..

أجابه وهو يكمل طريقه دون التطلع اليه.:

_لو هيبعدي عن حبيبتك كل الوقت هشطبه

بنفسي..

إكتفى بسمته مأكرة ليغمز له هو الآخر فاستدار

"مراد" للخلف بأستغراب لما يتطلع له "رحيم" ليجدها

تقف من خلفه وبسمتها ترسم على وجهها بأكملها ،

تراقبه بهيامٍ وعشق يطرب له السمع، مر "رحيم" من

جواره ليهمس بمكر:

_عد الجمایل..

وغمز له بخبث ليلتقط قميصه الملقى أرضاً ثم توجه
هو الآخر للبحث عن معشوقته..

ظلت بالخارج طويلاً، تنتظر ان تسمح لها السكرتيرة
بالولوج، رغم إخبارها مسبقاً بأنها زوجته، وصلت
"فاطمة" لذروة غضبها وهي تنتظر لساعة كاملة
حتى سمحت لها بالدخول، فتحت باب مكتبه حتى
أن رآته صاحت به بانفعال:

_أنت ازاى تسيبهم يقعدوني برة كل ده..!

نهض "يامن" عن مكتبه وهو يجيبها بهدوء:

_معلي يا فاطمة انا اللي طلبت منها كده لان كان
عندي اجتماع مهم، ما انتي عارفت ان بابا بعد وفاة
هنا الله يرحمها مبقاش ينزل الشغل وسايب كل
حاجة فوق دماغي..

سئمت حجه المتكررة بنفس ذات الكلمات، فقالت
تلقائياً دون أي تمهيد:

_طيب تمام، المفروض أنا متفقين أنا النهاردة
هننزل نجيب الفستان لان خلاص مفيش وقت..
خلع نظارته البيضاء عن وجهه وهو يبحث عن كلمات
لائقة عما يود قوله، فقال:

_صدقيني معنديش وقت فلو ممكن تأخدي حد من
بنات عمك..

رمقته بنظرة مطولتة ثم جذبت حقيبتها بعصبية
بالغة لتترك المكتب بأكمله دون أن ينبس فمها
بكلمة واحدة، لا تعلم لما تشعر بتغيره الغريب
فربما ان علمت بأن الزواج مجرد معاناة لشيئاً غامض
لتمنت البقاء هكذا، بعيداً عن قفص الاتهام...!!!

أغلقت النوت الصغير بعدما دونت ملاحظاتها الناجحة
تجاه حالة "فطيمة"، ثم اغلقت الضوء، وداثرتها

برفق، فمنذ ان اتى بها "رحيم" الى هنا وهي تحسن
معاملاتها حرصاً بأن تسترد عافيتها أولاً ثم اتزانها
الصحي، عادت "يارا" لغرفة مكتبها لترتاح قليلاً بعد
يومها الشاق، فالقت بثقل جسدها على الكرسي
المريح، واغلقت عينيها قليلاً ومن ثم فتحتهما على
مصراعيهما حينما استمعت لآخر صوت توقعت
سماعه:

_ممکن تفهميني مش بتردي ليه على مكالماتي...!!
رددت بصدمته وعدم تصديق لرؤياه:
"_علي...!!!"

الفصل الخامس والأربعون....

آخر شيء توقعته أن يترك عمله ويسافر إليها، كانت
تظن بتجاهلها لمكالماته بأنه سيفكر جدياً بخطوة
الزفاف؛ ولكن قدومه لها ليس بصالح ما تريد،
استقامت "يارا" بوقفتها وهي تتحكم بانفعالات
وجهها بحرافية، فطرحت سؤالها في استغراب:
_ أنت رجعت مصر أمته؟..

درس كل تعبيراتها بصمتٍ وهدوء، توترها الملحوظ
الذي تحاول أخفائه خلف صلابتها الزائفة، اقترب
منها بقامته الطويلة حتى جلس على المقعد المقابل
لمكتبها، جلست هي الأخرى وهي تنتظر إجابة
سؤالها، إلى أن كسر الصمت قائلاً بصوتٍ رخيم:
_ لسه من شوية، يمكن لو كنتي لسه على تواصل
معايا كنت قدرتي تعرفي ده..

عبثت بقلمها بارتباك، وهي تختار الكلمات

المناسبة التي قد تخرجها من هذا المأزق، فقالت:
_أنا انشغلت الفترة الاخيرة بالعيادة والمرضى، أنت
أكثر واحد عارف شغلنا صعب اد أيه..!
شملتها نظرات عينيه البنية وهو يختبر شعوراً غريباً،
ختمه بقوله الغامض:
_اتغيرتي يا "يارا.."

انزعجت من طريقة تحليله لانفعالاتها فقالت بضيق
شديد:

_مش هتبطل تتعامل معايا على اني مريضة، شغل
الدكاترة النفسية ده بنعمله على المرضى بس يا
دكتور..!

خوفها من ان يفضح أمرها كان كالكتاب المفتوح
بالنسبة اليه ورغم ذلك حافظ على اتزانهِ وهو
يجيبها بابتسامةٍ غير متكلفة:

_أنا بتعامل معاكِ عادي يا "يارا..."

ثم قال بغموضٍ وأصابعه تلهو باللافتة الصغيرة التي

تحمل أسمائها أمام مكتبها:

_وبعدين أنتِ ليه منفعلة كده، أنتِ مش مرحبة

بزيارة خطيبك ولا أيه..!

بللت شفتيها بلعابها حينما ذكرها بهذا الجزء الذي
تمنت نسيانه يومٍ ما، نعم هي تدين له بكل شيء،
فكان لها خير العون طوال فترة دراستها، كان خير
الصديق الذي لم يتأخر عنها قط، حتى حينما
تخرجت من الجامعة وجدت عملاً بانتظارها بمرتب
مجزي في احد المشافي التابعة إليه، فحينما صرح
لها بحبه وجدت ذاتها سعيدة بأن اليوم المرغوب في
سد فاتورة جمايله المتعددة قد اتى وبالفعل تمت
الخطبة ومن ثم التهمت بعملها ثم قررت الهبوط لمصر
حينما أرادها "رحيم" بأن تتابع حالة "شجن" عن قرب
وحينها حدث ما لم يكن بالحسبان، فقد خفق قلبها
عشقٍ لشخصٍ كان لها النجاة من موت محتوم عليها،
وحينها وجدت دقائق قلبها تناجيه بصمتٍ، حاولت

وأرادت الابتعاد كونها منسوبة للآخر ولكن قلبها
كان يقترب خلست ورغماً عنها..

لم تكف عينيه عن دراسة كل فعلاً صغير ترتكبه
من امامه، فقوس شفتيه العريضة وهو يباغتها بسؤال
آخر ونظراته المهمة تسبر اغوراها:

_قوليلي يا "يارا"، عملي ايه في موضوع "مروان"؟..
ابتلعت ريقها الجاف بصعوبة، فجلت أحبالها الصوتية
وهي تسعى للثبات:
_تقصد أيه..!

اجابها بخبث ومازالت أصابعه تلهو بالقرب من يديه:
_يعني كنت قولتيلي ان "مراد" طلب منك تمثلي
عليه الحب لحد ما تقدري تغيريه ودورك هينتهى لما
شهادته تبان..

ثم استكمل كلماته وهو يتطلع للعيادة من حوله
بنظرة مستنكرة:

_بس اللي شايفه غير كده، انا شايف أنه بيتقرب

منك بكافة الطرق وأنتي سماحله بده بدايته من
كلامه اللطيف لحد العيادة الجميلة دي..
نهضت عن مقعدها لترطم الطاولة من أمامها بعصبية
بالغة:

_قصداك ايه يا "علي..!"

وقف هو الآخر مقابله والابتسامه الماكرة مازالت
مرسومة على وجهه ذو البشرة الداكنة:
_مقصديش حاجة يا "يارا"، قولتلك اني حاسس
انك مش سعيدة بوجودي وفعلاً حاسس ده، عموماً انا
كنت نازل علشان نحدد معاد فراحنا أحنا بقالنا
3سنين مخطوبين يا "يارا" وماما مش بتبطل زن وأنتي
عارفة كده كويس..

تحجرت الكلمات على لسانها، فلم تعد تجد ما
يناسبها للحديث، طرقات على باب مكتبها فصلت
الامر العالق من بينهما، ليدلف بعدها من لم تحبذ
وجوده مطلقاً بهذا الوقت بالتحديد، ولج "مروان"

للدخل وهو يتساءل بمرح:

_فاضية ولا اجيلك وقت ثاني يا دكتور..!
كانت بحالة لا تحسد عليها، تحرر لسانها ناطقاً
ببطء:

_تعالى يا "مروان"، مفيش حد غريب...
اقترب حتى وقف قبالة الشخص الغامض الذي يرمقه
باهتمام، فركت "يارا" أصابعها حتى كادت
باقتلاعهما فكيف ستعرف حبيبها على زوجها
المستقبلي!!!، بصعوبة بالغة قالت في ترددٍ صريح:
_ده دكتور "علي" صديقي وكان معايا في نفس
الجامعة ومدير المستشفى اللي كنت بشتغل فيها بره
مصر...

رفع "مروان" يديه بابتسامة لطيفة:

_تشرفنا..

حده بنظرة مستكينة، توزعت بين وجهه ويديه
الممدودة ليضعها أخيراً بيديه وهو يستكمل على

باقي كلماتها عن قصد:

_وخطيبها..

صدمت كبيرة أفكت به، فسرعان ما تحولت

ابتسامته لتكشيرة عظيمة وهو يردد بدهشة:

_أيه..!

ثم نقل نظراته ليارا التي فركت جبينها بقسوةٍ عليها

تكبت ما يدور بداخلها، فعنفت الأخير قائلةً بحدة:

"_علي" ممكن من فضلك تخرج وبعدين هكلمك

ونتقابل..

رمقها بنظرةٍ قاتمةٍ، أطلبه بالخروج وتركها مع

رجلٍ آخر!، نظرات رجائها جعلته يرضخ لرغباتها،

فساط نظراته عليهما تباعاً قبل أن يغلق جاكيت

بذلته بحدةٍ متعمداً فتح الباب بقوةٍ أفرعتها، وما أن

غادر الغرفة حتى أخفضت نظراتها أرضاً في محاولته

بائسةٍ لتخفي عينيها عنه، لم تقوى على مواجهته

والآخر يسألها بصوتٍ غاضبٍ للغاية:

_أيهِ الكلام الي بيقوله ده!، أنتِ كنتِ بتخدعيني
يا "يارا"؟..._

جلست على المقعد القريب منها حينما شعرت بعدم
اتزانها فقالت بتوتر:

مكنتش قادرة أواجهك صدقني..

لم يكن يستوعب ما يستمع إليه، ظن بأنها ستنكر
ذلك بل ستخبره بأنها مجرد مزحة فحسب؛ ولكن
صمتها، بكائها، جعله على يقين بأنها الحقيقة،
خرج عن هدوئه الذي اتسم به رغماً عنه من شدة
الصدمة، فجذبها عنوةً لتقف من أمامه وهو يسألها
بصراخ عاصف:

فاهميني بتقولي أيهِ ومين الحيوان ده؟!!..

أغلقت عينيها بقهر وهي تجيبه بصوتها الباكي:
_أنا مكنتش اعرف اني هحبك وتهعلق بيك كده،
انا كنت فاكرة أني هساعدك تتغير وتكون شخص
تاني وأرجع لحياتي من تاني بس من غصب عني

لقيتني بحبك وبتعلق بيك وعلاقتي بعلي اتوترت
لحد ما بقت منعدمت..

صدمات متتالية يتلاقاها واحدة تلو الأخرى وعقله
يرفض تصديقها، ضغط على معصمها المحصور بين
أصابع يديه الخشنة وهو يردد في عدم تصديق:
_ أنتِ بتقولِي أيه؟..

كفت عن الحديث واستمرت هي بالبكاء، حرريدها
ثم استدار بجسده للاتجاه الاخر عله يتمكن من
تقبل ما استمع اليه، ليستدير مجدداً حينما توازن
كلماتها بهدوءٍ، فباغتها بسؤالٍ اخر:
_ مين اللي طلب منك تغيرني! ، وليه دخلتي حياتي
من الأول..

تراجعت للخلف تلقائياً حينما اقترب هو منها، ارتجفت
شفتيها رعب لما ستلاقاه، حاوط الحائط بيديه
وأسنانه تصدر صوتٍ مخيف:
_ انطقي..

اجابته بدموع:

"_مراد" طلب مني كده..

ابتسامته ساخرة رسمت على جانبي شفتيه، فابتعد
عنها ونظراته الحانقة تطلق شرارها دون أي رافته بها،
فأن كان يمقته مرة أصبح يكرهه ألف مرة، ساقته
قدميه للخروج فقال دون أن يستدير لها:

_براشو عليك بجد، عمر ما حد عرف يخدعني
ويكسرني زي ما عملتي..

وخرج على الفور علها لا ترى غيمته الحزن التي طافت
به، اسرعت "يارا" خلف وهي تترقبه بدموع، كانت
تريد الحديث، توضيح علاقتها بعلي ولكنه لم
يمنحها الفرصة فيكفي ما استمع اليه...

غادر للأسفل بغيط حينما طالبتة بذلك، فأخرج
مفاتيح سيارته من جيب جاكيتته ثم ضغط على الزر
المتوسط لها لتعمل الكترونياً، واصل التقدم للوصول

إلى باب القيادة ولكنه توقف فجأة محله حينما
استمع لصوت ملائكي يدندن من حوله بكلماتٍ
اخترقت محجر القلب وكأنها لامست ما مربّه، على
الصوت بكلماته الحزينة، المناجيتة بنبرت من
الآسى..

«من لي سواك فأنت عمري، نبض قلبي والحبيب...!
إن سال دمعى ما وجدت غير عينك الطبيب..
كيف تتركني وحيداً تائهاً أمضي غريب..!
وجميع الخلق حوالى وأنت عن عيني تغيب؟...
أنا من قلبي المجروح، عن كل الحب ابوح، حبك
قمرأ اهواه وسر البسمة للروح....
يا مؤنس الروح تمهل في دربك نحو السماء...
ضع كفك المبتل دمعاً فوق رأسي والرجاء..
أبكي والقلب عليل، ما متى ستعود إلينا فأرسل
لعيوني الدليل..»...!

انهمر الدمع من عينيها مع كل حرف دندنته مع

عزفها لمقطوعتها المفضلة باستخدام البيانو،
توقفت "فطيمة" عن الغناء وقلبها يئن بوجع لا مثيل
إليه، فأرتمت برأسها على جسد البيانو تنهار في
صمت..

اتبع الصوت كمن تلاقى سحراً فاتبعه كالمسحور،
كلماتها وصدق مناجتها أفتكت بقلبه المجروح هو
الآخر، ساقيه قدميه لغرفة بنهاية الطابق الأول من
عيادة "يارا"، ليجد فتاة ترتدي فستان أسود قاتم،
تعزف على البيانو بأنامل من ذهب، انتباه الفضول
لرؤية وجهها؛ ولكنه يقف خلفها بالتحديد، التمس
من عذوبة صوتها وصدق احساسها بأنها مثله تعاني من
وجع الحبيب المهاجر، وحينما رآها تبكي هكذا
أراد بداخله وبشدة أن يعلم ما الذي اصاب تلك الفتاة
ليجعلها هاشة هكذا، تمنى بالدقائق المبسطة التي
قضاها على باب غرفتها ان تستدير ليرى وجهها
ولكنه سرعان ما استعاد ثباته فغادر سريعاً لسيارته،

لا يعلم بان القدر ساقه لعتبة بابها قصداً وبأنه
سيربطهما رباط غامض عن قريب...

خرت قواها فسقطت أرضاً تبكي بقهر، فعقلها يفكر
بالمنطق فأختار الرجل الذي ساندتها بمركزه وماله
وصداقته وقلبها أختار الرجل الذي خفق عشق له
واهتاج شوق لقربه، جذبت "يارا" هاتفها ثم طلبت
احد الارقام لترقعه على آذنيها وما ان استمعت لصوته
حتى رددت بدموع:
" _مراد..."

بقصر "طلعت زيدان..
تحسنت صحته كلياً مما اتاح له فرصة العشاء لجوار
عائلته ولأول مرة، ترأس المائدة وهو يوزع نظراته
يميناً ويساراً بين الوجوه، الابتسامات داعبت قلبه قبل
أن ترسم على شفتيه، شعر بلمسة رقيقة على يديه

فتحولت نظراته للجانب الايمن فوجد " نجلاء"
تتمسك بيديه والابتسامه المشرقة تزين وجهها
حينما قالت:

_حمد لله على السلامة يا حبيبي..
اتسعت بسمته وهو يتأملها بنظرة عميقة كشفت
جزء من الماضي المؤلم فقارنه بحاضره المرتبط
بوجودها لجواره، قطع المجلس صوت "يوسف" الذي
ولج للتو قائلاً بعبث:

_أيه التهريج ده ازاي تبدوا من غيرنا..
وضعت "نغم" الأكياس عن يدها وهي تشارك زوجها
الحديث:

_مش قولتلك مش هيستنونا يا "يوسف" وانت برضه
مصمم تقف تجيب بسبوستر...!!!
تعاليت ضحكات "آدم" فجذب المقعد المجاور له وهو
يشير له بالاقتراب ثم تساءل في اهتمام غريب:
_بالقشطر ولا سادة؟..

جلس لجواره وهو يجيبه بغمزةٍ مرحّة:

_ لا بقشطرة ومكسرات يا خفيف..

تعالت الضحكات سوياً، فانتبه يوسف لصوتٍ طلعت

الوقور:

_ مبروك الفرع الجديد يا يوسف..

تعجب ببدأ الامر لمعرفته بأمر الفرع المنشأ حديثاً

لمطعمه فلم يعلن عنه بعد ولكنه اجابه بسعادة:

_ الله يبارك فيك يا عمي، انت السبب في الخير ده

كله والله..

رفع اصابه وهو يشير له بنفي لما قيل:

_ لا تعبك واجتهادك السبب، انت من الشباب اللي

بقوا قلّة اليومين دول، انا بفرح بنجاحك اكتر من

اي حد من الموجودين لانك عملت نفسك

بنفسك..

سعد لرأيه به، رغم أن لولاه لم يكن سيحقق شيئاً..

ابتسم "جان" وهو يشارك معهما الحديث قائلاً

بمكر:

_ابسط يا عم "طلعت زيدان" بنفسه بيثني عليك..
ألتقط "إياد" بملعقته قطعة اللحم الشهي وهو يضيف:
_دي مبتحصلش كتير يا "يوسف" بخرنفسك يا
حبيبي الشباب هنا هيحبوك الارض...
أضاف "فارس" بمشاكسة:
_الارض بس، أنا لوحدي عيني توديك اللومان..
قال "آدم" هو الآخر:
_في مصر دي...!!

سادت الاجواء الضحكات العائلية التي تخترق اسوار
عائلات "زيدان" لأول مرة، حتى الفتيات اشتركن
بالحديث المرح فيما بينهما، على عكس "سليم"،
فكان يرقب "ريان" الشادر، بالفترة الماضية يشعر
وكأنه فقد ذاته لذا وبدون أي تردد ارسل له برسالة
نصية بان يجتمع به بعد العشاء لأمرأ عاجل..

استمع جيداً لما قالتها، وصمته خير برهان لما يدور
بخلده تجاه "مروان"، فكافتا الطرق الذي يسلكها
تنسد أمامه، خرج صوته المتزن أخيراً:
_اهدي يا "يارا"، متقلقيش انا هرجع مصر على أول
طياره...

وأغلق هاتفه بعينين تشعان بالغموض فعلى ما يبدو
بأن أسرار الماضي حان وقتها لتكشف الآن بما يضاف
مقتل أبيه ووالد "حنين" يعلم بأنه لم يرتكب خطأ
مطلقاً، بل فخراً له بأنه قتل هؤلاء اللعناء ولكنه
عليه خوض حرب من نوع خاص، ستحتمه للوقوف
أمام عائلته، فبداخلة يخشى أن تضيع جهود "رحيم"
وجهوده هباءاً لما ارتكبه ولكنه سيسعى لتقوية
العلاقات مما عليه ان يخوض، ولكن تلك الخطوة لن
يخطوها بمفردها، وقف قبالة نصفه الآخر، الداعم
القوي له ليتحرر لسانه ناطقاً بثبات:
_لازم نرجع مصر وحالاً....

فتح "رحيم" عينيه في مللٍ وقد تسنى له المخفي وراء
طلبه الغامض، ولكنه عليه أن يسعى هو الآخر لتبقى
الروابط متينة وراء الأعصار الذي سيهاجم عائلته...

الفصل السادس والأربعون..

كالبائس لم يجد مكان مريح يطبطب على جرحه العميق، قضى ساعات في سيارته دون أن يحدد وجهته، صدمته ليس بذاك الملقب بالجوكر فهو يعلم جيداً إنه لم يحبه يوماً ليفعل الآن؛ ولكن جرحه عميق تجاه ما فعلته به، كان يظنها عشقه مثلما عشقها، كيف استطاعت أن تخدعه، إن كانت تمكنت من خداعه فعينها لم تخدعه يوماً، حبه يتراقص بحدقتيها كلما تقابلت النظرات فيما بينهما، فربما لم يتمكن من احتضانها معنوياً ولكن نظرة تساوي ألف عناق يروي اشتياق قصته حكم عليها القظر بفجعة لم تكن بالحسبان، أغلق "مروان" عينيه بقوة وبداخلة صراع عاصف بين الغضب والسخط تجاه هذا الشخص الذي استعبد حياته، عصر قبضة يديه بعصبية اعتادت تملكه منذ البداية،

لا يود أن يعلم دافعه وراء ما فعله، حرك مقود
السيارة ثم تحرك عائداً للقصر والشر يتغمده بردائه
المخيف....

رفعت أصابعها المرتجفة تمسح دمعاتها خشية من أن
يراها طارق باب غرفتها، ثم استقامت بجلستها وهي
تجاهد لثبات نبرة صوتها:
_أدخل..

ولجت زوجة أخيها للداخل، فجلست لجوارها على
الفرش ونظراتها الفضولية تكاد تنفذ إليها، راقبت
كل حركة صغيرة تصدرها حتى باغتتها بسؤالها
الصريح:

_مالك يا "فاطمة"، من ساعة ما رجعتي من الاتليه
وأنت قافلت على نفسك ومبتخرجيش..
انكمشت بجلستها وقد انفلتت دمعاتها وكأنها ترغب
في البوح عما يحزنها، اقتربت "سلمى" منها بلهفة،

فتساءلت باستغراب:

_انتي اتخانقتي مع "يامن" وأنتي بتجيبني الضستان ولا
أيه..!

أتاها ردها ساخراً:

_هو فاضي يجي معايا من الأساس علشان نتخانق،
وكل ما أكلمه يقولي مشغول في الشغل..

اجابتها بوجه مبتسم:

_بقى هو ده اللي مزعلك ومخليكي تعيطي كده أنا
افتكرت في حاجه كبيرة..

حدجتها بنظرة مستنكرة لتقليلها لما أخبرتها به،
الا يكفي كونه لا يعيرها أي إهتمام وخاصة بأن لم
يتبقى على زفافهما سوى أيام معدودة، استرسلت
"سلمى" حديثها ومازالت البسملة مرسومة على وجهها
البشوش:

_يا "فاطمة" يا حبيبتي، أي عريس معاد فرحه بيقترب
بیشوف اولوياته علشان يكون فاضي لشهر العسل

ولعروسته، بلاش تزعلي نفسك على أتفه الاسباب
وافرحي كده بزمتهك ده شكل عروسته فرحها
كمان كام يوم؟!..

عبست من تحليها الشبه منطقي واجابتها محتجته:
_بقي كده ماشي يا "سلمى.."

تعالت ضحكاتها وهي تعلق بلطافه لتدخل البهجة
اليها:

_ياختي أحنا مش فاضين للهلل ده ورانا شوبنج
للركب واستعدادات للحفلة وانتي شاغلة نفسك
بأيه، يلا نامي وارتاحي وبكره تجهزي نفسك علشان
هننزل مع البنات كلنا ونجيب اللي ناقص..
ثم نهضت عن الفراش وهي تتكأ على الكومود
لتغلق المصباح الصغير المعلق جوارها وهي تلوح لها
بمرح:

_تصبحي على خير يا عروسته..

أومات برأسها وقلبها قد طاف به شعور مقبض جراء

كلمتها الاخيرة، لا تعلم أخجل من العلاقة الجديدة
التي ستجمعها بيا من أم توتر محتوم بعدما انشغل
عنها بوقت كهذا فتخشى أن ينشغل عنها عمراً
بأكمله..!

بغرفة "ريان.."

استمع اليه بحرص شديد وخاصة حينما علم بمقتل
"عمران" والوزير على يد "مراد" والمخاوف التي تهاجم
"ريان" تجاه حمل زوجته، انصت جيداً لأكثر من
نصف ساعة حتى انتهى "ريان" مما يحمله من أعباء
ثقيلة يحملها بمفرده ، تنهد "سليم" ببطء وهو يبحث
عن كلمات مناسبة تلامس جرحه المكشوف فقال
بثبات:

_بص يا "ريان" أنا عارف أنت بتفكر في آيه بس
صدقني الخوف اللي جواك نحيه ابنك اللي جاي
في السكتة ده مالكش حق فيه، انت طول عمرك

شایل مسؤولیتہ اخواتک وزی ما قدرت تکنون أب
وسند لیهم هتکون سند لابنک وأب عظیم..
ضم قبضتہ یدیه القابضتہ علی أطرافِ النافذة وهو
یطیح بما یجول بداخله بعصیتہ بالغتہ:
_کنت مجبور أکون لیهم أب یا "سليم"، والأب
بیحاطط علی عیاله وبیحاول یمنعهم عن أي شيء
ممکن یدمر حیاتهم وخبر زی الی قولتاهولک ده
ممکن یدمرهم ویدمر کل الی أنت ورحیم عملتوه
عشان العیلة دي..

ثم تنهد بألم:

_أما بخصوص ابني فمش عارف اذا کان لسه عندي
رصید حنان ادهوله ولا لأ...

رفع یدیه علی کتفیه وهو یخبره بجديتہ:

_أنت مرتبک لانک هتکون أب لأول مرة بس
صدقني هتجبه أكثر من نفسك..

ثم استقام بوقفته بعدما وضع یدیه بجیب بنطاله

الاسود الداكن ليستطرد بهدوء:

_أما اللي عمله "مراد" فأولاً ده شغله يا "ريان"، ثانياً
والد "حنين" كان باين من الاول انه شمال، مكنش
هدفه انه يحمي بنته والكلام ده كان هدفه ان
مفيش لغط وشوشرة تكشف الستار على أفعاله
الوسخة بس اللي مش قادر أصدقه أن "عمران" هو
اللي كان بيساعده طول الفترة اللي فاتت..
ارتسمت بسمته ساخرة على وجهه وهو يخبره:
_لا صدق والله أعلم هنعرف عنه ايه تاني..
والتقط كوب المياه الموضوع على الطاولة القريبة
منه ليبل ريقه الجاف، قبل أن ينطق:
_أنا مش زعلان أن "مراد" قتل ابويا أنا كنت متوقع
نهاية للطريق اللي اختاره..

كان يظن أن أخيه الأكبر هو الشخص المناسب
ليشاركه ما حدث معه، ليشكو له ألم الحب المرير
الذي عاهد بأن لا يزور قلبه حتى ولو كانت مرتته

الثانية، فحينما كانت تزيد بها الحياة بالمتاعب
والآلام كان يلجأ إليه؛ ولكن حظه العسير أرسله في
هذا الوقت الغير مرحب به لسماع تلك الكلمات
التي كادت بأن تصيبه بالصم، شعر لو هلت بأن جميع
المصائب تقوده لشخص واحد، شخص إن كان
بالماضي يمقته مرة فاليوم يمقته ألف مرة، أغلق
"مروان" الباب بهدوء خشية من ان يشعر به أحداً ثم
تسل للخارج، أراد الاحتفاظ بهذا الجزء الذي استمع
اليه لتو، شرارة عينيه اقتادها نيران ستحرق مملكة
"زيدان" بأكملها، أصبح كفيف عن الرؤية، لا يرى
أمامه الا شعاع الانتقام المضيء بلهيب أحمر
مخيف...!

بالأسفل..

زفر "آدم" بملل وهو يلقي على مسمعا للمرة العاشرة ما
سيفعله بخطتها:

_ خلاص يا "ريم" حفظنا والله، هنشغل "سليم" بكرة
طول اليوم ومش هنخليه يحس باللي بتحضره ها
لسه في آيه تاني..!

حدجته "سما" بغيط، فقالت وهي تلوك حبة من
العنب:

_ قولتلك يا "ريم" بلاش تستعيني بسيد أمريكا
لحسن شايف نفسه مصدقتنيش..
أجابتها "ريم" بحزن مصطنع:

_ ما انا مش عارفت هقول لمين بس فوزعت المهمات
بالتساوي عليكم..
رد "فارس" بضيق:

_ يعني انتي مختارة انه يوزعه ويلبخه طول النهار
وللاستاذ "جان" مختارله يشتري بدلة اخر موديل وأنا
مدبساني في تزين المطعم والليلة كلها، مكنش
عيد ميلاد ده..!

تعالى ضحكات "جان" بصوته الرجولي، ليقطع ما

قال:

_هي اختارتك للكبيرة يا ابو الفوارس خليك
قدها بقى وبعدين انت عارف فرح فاطمة بعد يومين
ومشغول في الترتيبات..!

أضاف "يوسف" بابتسامته هادئة:

_متقلقش يا "فارس" هبقى أطلع ازين معاك بس
اياكش حد من اللي الطقم ميشوفنيش فوق هبقى
مسخرة..

تعالى الضحكات معاً، فقررت "نغم" اخبارهما بما
تخفيه "ريم" والسبب الحقيقي خلف الاحتفال
المفاجئ:

_الاحتفال مش سببه عيد ميلاد سليم بس..
ثم بترت كلماتها بضحكة تسليية، هامسة بصوت
منخفض:

_أقول ولا تقولي انتي يا ريمت..

تلون وجهها بخجل، فتساءلت منة باهتمام:

_أنتوا هتتعارموا قولوا وخلصوا..

كادت نغم بالحديث فقابلت نظرات ريم المتوعدة،
فأشارت بيدها على بطنها بمرح ليفهم الشباب ما تود
قوله، أسرع "ريم" خلفها بغضبٍ ومن خلفهم الفتيات
بمباركتهم الحارة..

غفلت على ذراعيه وطفلته لجواره، عينيه تتشبع
بالنظراتِ الى صغيرته تارة وإليها تارة أخرى، لا يعلم
لما ينبض قلبه بعنفٍ حينما تختم العين برؤياها..!
تلقائياً يبتسم في ابتهاجٍ ونشوة غريبة وكان
النظرات تنفذ إلى القلب، انحنى برأسه ليطبع قبلته
مطولته على جبينها وهو يهمس بخوف يحاربه لأول
مرة:

_مش هسمح لأي شيء يدمر علاقتنا...

لجوارهما كانت تتأمله خلسته والبسمة الحالمة تزين

شفتيها، لم تمتلك الجراءة يوماً لتتطلع إليه مثلما
تأمله الآن، لا تعلم بأنه يغلق عينيه عمداً لتستمر
هي بتأمله، اقتربت منه "شجن" وهي تراقبه جيداً،
ثم مالت برأسها على صدره، تستمع دقات قلبه برجفة
سرت بجسدها فشعرت بنبض جنينها وكأنه يتعرف
على صوت دقات أبيه، أغلقت عينيه بقوة وهي تنعش
ذاتها برائحة البرفيوم الخاصة به، وفجأة تصلب
جسدها حينما شعرت بحركة ذراعيه تتطوق
خصرها بقوة وتملك فلم تجد ما تفعله سوى
الاختباء حرجاً مما كانت تفعله وخاصة حينما
همس بأذنيها:

ـعمل نفسي نائم كل يوم..

ابتعدت عنه وهي تدفعه بعيداً عنها، فتمسك بيدها
ثم أجبرها على البقاء بداخل احضانه ليغمز وهو
يردد بخبت:

ـمستحيل هتخرجي بسهولة، لأن ده مكانك

الطبيعي، لسه عندك اعتراض..!

اشرق وجهها ببسمتٍ رقيقةٍ فأغلقت عينيها بارتياح
على صدره حتى وصلت الطائرة مطار القاهرة الدولي
لتعلن عن وصول الطائرة الخاصة للجوكر والاسطورة
لمواجهة مصير غامض وحرب سيخوضها كلاهما
بجانب الآخر...

الفصل السابع والأربعون...

اختارت الجلوس في ركنٍ مظلم بعيداً عن ضوء القمر
الذي يتسلل لشرفة غرفتها، اختارت العتمة المشابهة
لما يغمس قلبها من وجع حجمة يزداد عن طاقتها،
تعلم بأن الاحاسيس التي تضاربه رغماً عنه،
فالمواجهة بينهما ساعدتها على معرفة ما يدور
بداخله، التقطت اذنيها صوت الأقدام التي تقترب من
غرفتها، فأسرعت للفرار لتتصنع النوم لعدم رغبتها
في مواجهته وخاصة الآن، فهي تنتظر وصول "مراد"
كما أخبرها، فتح الباب بحرصٍ على الا يصدر أي
صوتٍ قد يوقظها أو يشعر به أحداً، ثم تسلل هذا
العاشق المجروح ليقف على عتبة غرفتها، ربما
بالماض لم يمتلك هذه الجرأة ليفعلها؛ ولكنه الآن
مزق كل الخيوط الحمراء التي قد تبعده عنها، ليتها
ترى حالته الغريبة، ليتها ترى عينيه المظلمة وكأن

شعلت الفرح المضيئة قد انطفأت للأبد، ردد "مروان"

بصوت منخفض ولكنه كان مسموع لها:

_أنتِ ليا أنا ومش هتكوني لغيري..

ثم غادر على الفور من أمامها، خشية من أن يفعل ما لا

يحمد عليه، غادر وترك الدموع تتناثر من عينيها

المستيقظة فما أن تأكدت من مغادرته حتى جلست

على فراشها تضم ركبته لجسدها بقوة والدمع

ينسدل تبعاً على وجهها الرقيق..!

النوم راحة لخالي البال، أما هو فأصبح عدوه

المتنافر، مازال الخوف يعتمر به خشية من أن لم

يتمكن من حب ابنه الذي تحمله برحمها، إتكا

"ريان" على الوسادة وهو يراقب زوجته الغافلة لجواره

بارهاقٍ بادي على جسدها الهزيل، تحولت نظراته

لبطنها؛ وكأنها ستنفذ لداخلها ليرى ملامح هذا

الجنين، رفع أصابعه ليقربه منها ببطءٍ شديد حتى

لامس موضع جنينه فشعر بقشعريرة تهز جسده
وكأنه يستسلم لهذه الموجة الغامضة من المشاعر
اللطيفة التي غمرته، قريبا "ريان" إليه ثم تمدد
ليستند برأسه على كتفيها ويديه تتحسس بطنها
برفق، فأخذ يهمس بصوتٍ منخفض لابنه عليه يغفر
له عدم الترحاب به..

"_حين...!!"

استيقظت بانزعاج حينما استمعت لصوته المنادي
أكثر من مرةٍ وحينما كانت تتجاهله عمداً
لتستكمل نومها كان يرفع صوته الغاضب عليها تفرع
من نومتها الهنيئة، فتحت عينيها فوجدته لجوارها،
فقالت بابتسامةٍ صغيرة وهي تفرد ذراعيها بالهواء:
_بتصحيني ليه وصلنا..!

بسمته ساخرةٍ رسمت على طرفي شفثيه وهو يتابع
حركاتها الطفولية، فقال وهو يلف الغطاء الثقيل

حول ابنته الصغيرة:

_لو عجاك الطيارة ريحي فيها ولم تزهقي أنتِ
عارفتِ طريق الرجوع كويس..
وتركها تستشاط غضباً ثم لحق "برحيم" و"شجن"،
جحظت عينيها في صدمته وهي تردد ما قيل دون
وعي:

_أبات في الطيارة نهار اسود ده مستبيع بقا..
فنهضت عن مقعدها المريح ثم ركضت خلفه رافعة
صوتها الغاضب:

_أصدق انك تعملها ما أنت خلاص بنتك شرفت
الدنيا معتش فيه اللي تخاف عليه..
استدار "رحيم" خلفه ليري ماذا يحدث على درج
الطائرة فوجد "حنين" قد بدأت حملته هجومها
المعتاد على أخيه، توقفت "شجن" عن هبوط الدرج
ثم استدارت لتتابع ما يحدث باهتمام شديد وخاصة
أن ما تتحدث به حنين هي توابع لظاهرة ستخوضها

هي فيما بعد ، وقف "مراد" على أول الدرج وهو يزفر
بمائل من مشاجراتهم العلني أمام الحرس وأخيه
وزوجته ، فقال بتذمر:

_ هو أنا اتجوزتك علشان تخلفيلي يا بنتي! ، فكك
من أحداث الفيلم الهندي اللي عايشاه ده.

أجابته بعدم وقفت مقابله ، لتشير بأصابعها بغضب:
_ يعني أفهم ايه من كلمتك دي ، لما تاخذ البت
وتقولي اما تفوقي أنت عارفة الطريق..!

فرك جبينه بألم ، فأشار للمربية التي تقف من
خلفها قائلاً بثبات وحزم:

_ خديها ، السواق تحت هيوصلك للقصر علشان الجو
برد عليها.

أومات برأسها بوقار لهيبته المخيف ، ثم هبطت تجاه
السيارة التابعة له ، بعدما تخطت "رحيم" و"شجن"
التي ترسم خطوط جديدة ففتخيل كونها محل
"حنين" و"رحيم" بمحل "مراد" ، وما ان تحركت

السيارة لتتابعها سيارة حرس "مراد زيدان" ولم يتبقى
سوى "حازم" بانتظارهم اتباعاً لأوامره، هنا تحدث
بضيق شديد بعدما قطع المسافة بينهما ليصبح
امامها بلى مضر:

_ أنتِ عايزة ايه دلوقتي يا "حنين"، هنا عاملت
مشاكل وبره مصر عاملت مشاكل نفسي مرة أشوفك
هادية وطبيعية وتفكيرك منطقي..!
تمسكت بحافة الدرج وهي تحدجه بنظراتٍ قاتلة،
لتستكمل موجتها الحارة المندفعة:
_ شوفت بتقرب مني ازاي، عايز ترقني من هنا علشان
اموت وترتاح مني ومن زني..
أجابها بابستامةٍ ساخرة:

_ أه، ده أنتِ عارفتِ انك زنانة بقي..
وقفت مقابله فارتطمت بصدرة كالكرة لتعود
لمحلها مجدداً ولم يغير الامر شيئاً من حدة صوتها:
_ "مراد" يا زيدان متغيرش الموضوع..

خلع "رحيم" جاكيتته ثم القاه لحازم بضيقٍ شديد،
ليشير لشجن بأن تتنحي ليصعد الدرج بعدما كان
على وشك الصعود للسيارة، وقف اسفلهما بقليل ثم
قال:

_مجبالكمش سطور وسلاح ونفض الليلة دي..!
نقلت نظرات الجوكر الغاضبة إليه، فتركهما
وتوجه بالهبوط قائلاً بملل لأخيه:
_هاتها..

أسرعت خلفه تتابعه بعدما صعد إحدى السيارات
ليقود بذاته مغادراً من أمام عينيها بينما العاصفة
المسيطرة عليها لم تهدأ بعد، رفعت صوتها وهي
تنحني على حافة الدرج عله يستمع إليها:
_أيه هاتها دي، كيس جوافه أنا..!

اشتد غيظها حينما لم تجد رداً منه فاستدارت لتجد
"رحيم" من امامها يحدجها بنظرات قاتلة، تكاد
تفتك بها، حكّت جبينها وهي تشير له بارتباكٍ

وخوف جعلها تتلعثم:

_يعني يرضيك اللي قاله وعمله، ده آآ... ركب
عربيته وشحن بنته في عربية وخلع وبيقولك هاتها
وكأني بطيخة قرعة أو آآ..

ثم لعقت شفتيها لصمته ونظراته الساكنة فقالت
بخوف:

_هنروح ازاي يا باشا..!

منحها نظرة أخيرة قاتلة وهو يتجاهل حديثها
المتكرر، ثم هبط بغرور لسيارة "حازم" فجلس
لجواره، اخفى "حازم" ابتسامته بصعوبة وهو يفتح
باب السيارة في استقبال "شجن" و"حنين"، ثم جلس
ليتحرك بهما للقصر...

بالخلف..

تطلعت لها "شجن" بارتباك فقالت بصوتٍ ظنته غير
مسموع لمن يتابعها بالمرآة:

_الكلام اللي كنت بتقوليه من شوية ده صح..!

انزوى حاجب "حنين" وهي تسألها باندھاش:

_كلام ايه ده؟..

ابتلعت ريقها بتوتر، وهي تجيبها:

_ان "مراد" اتغير بعد الولادة وكده..!

تأملتها لوهلة وهي تحاول إلتماس جديتها، فأنفجرت

ضاحكة لتشير لها بعدم تصديق:

_أنت مش معقولة يا شجن، طيبة وبتصدقني أي حاجة

بسرعة..

سألها باستغراب:

_تقصدي ايه؟..

عدلت من حجابها وهي تجيبها بتسليّة واضحة:

_بصي أنا طبع في دمي اتخانق مع "مراد" على أي سبب

وأي حاجة، هتقولي تافهة أو مجنونة هقولك عارفة

وبحاول بس والله أنا بعشق اتخانق معاه وأنكشه..

لوت شفيتها في سخطٍ عظيم فتعالت ضحكات

"حنين" وهي تتابع انفعالاتها الغريبة، ثم قالت

بصعوبةٍ للتحكم بضحكاتها:

_أعملك ايه ما أنتِ اللي حزمتِ نكد ماشية على
الأرض وأنا فرفوشة والكمية بينا مستحيل تظبط
وأهو مراد كده، حازم زيادة عن اللزوم وطبعه جادي
اوي وأنا كده مش هعرف أتأقلم معاه فبصنع جو
خاص بيا أنا..

قالت كلماتها بكل فخر، فردت عليها "شجن"

بسخرية:

_جو ليكي بالخناق كل دقيقه..

هزت رأسها بتأكيدٍ، فابتسمت "شجن" رغماً عنها وهي
ترى لهجتها المغرورة وكأنها تصنع انجاز عظيم...

وصلت السيارة القصر فهبطت "حنين" أولاً لتسرع
للدخل باحثة عن رضيعتها، فتح "رحيم" باب السيارة
فهبطت "شجن" بخطواتٍ متكاسلة، وكأنها لا تود

الصعود رغم تأخر الوقت للغاية، ولم يتبقى على
الصباح سوى ساعات قليلة، وقفت أمام باب القصر
الداخلي تتأمله بتشتت وحينما هم بالاقتراب منها
قالت وعينيها تتحاشى التطلع له:

_ممكن أقعد شوية في الحديقة؟..

رفع ساعة يديه اليه وهو يجيبها باتزان:

_مش شايفه ان الوقت متأخر شوية وأنت اكيد
راجعة تعبانة من السفر..

هزت رأسها بالنفي، فأشار بيديه بهدوء، تحركت
"شجن" تجاه الأرجوحة البيضاء التي تتوسط زهور
الاوركيد فجلست عليها ثم استندت برأسها على
حبالها المصنوعة بالحديد المطلي باللون الأبيض،
انعشها الهواء بصورة ملحوظة، فأغلقت عينيها تستمع
بالأجواء المثيرة ورائحة الهواء النقي الذي يسبق
الفجر قبل سطوعه، لوت قدميها ارضاً بألمٍ لارتدائها
حذاءها ذو الكعب المرتفع لأكثر من سبع ساعات

سفرها ، فتعجبت حينما تخلل الهواء بين أصابع
قدميها ، فتحت عينيها لتجده ينحني أمامها ويحرر
حذاءها برفق ، كاد بأن يخلع عنها حذاءها الآخر
فنهضت سريعاً وتراجعت للخلف قائلة بذهول:
_ أيه اللي بتعمله ده ، مينفعش توطي كده..!
فهم مقصدها وهي توزع نظراتها بالحيقة من خلفها
خشية من يراه أحداً هكذا ، ظل "رحيم" بمحله
وابتسامته الصغيرة ترسم على شفثيه بحرافية ،
فجذب معصمها برفق ثم ارغمها على الجلوس مجدداً
ليستكمل خلع الحذاء الآخر وهو يقول دون التطلع
لوجهها:

_ مفيش حاجة تهمني أد راحتك يا "شجن.."
شعرت بأن ريقها قد جف من فرط التوتر ، جسدها
تسري به حرارة لا تعرف مصدرها بمجلسها هذا ، جلس
لجوارها ويديه تتمسك بيدها ، وجوده لجوارها
يجعلها مرتبكة أكثر مما هي عليه ، تفضل كل مرة

بتحديد اي نوع يختاره حينما يتودد اليها، أخوف من
هيئته أم هو من يجعل كل تلك الامور مهلكة
أمامها، تراه شخص حينما يكون لجواره، وشخص آخر
حينما يحضر مجلسه بشراً، حاد الطباع هو أم يشبه
الأوركيد في تعامله، قاسي حينما يتحدث وحنون
بنظراته اليها، سحبت نظراتها الجريئة تجاهه بخجل
فتصنعت تتطلعها للأزهار من حولها، ابتسم "رحيم"
وهو يربع يديه أمام صدره ثم بقدميه دفع الأرجوحة
برفق ليجعلها تهتز، تفاجئ بها وهي تتحدث
بارتباك..

_ أنت كنت سامعني وأنا بتكلم مع "حنين..!"

اجابها في ثقة:

_ سامعك وبراقبك في أي مكان اكون معاك في أو
مش معاك في..

ابتسمت وهي تتطلع له لتجيبه بسخرية:

_ تقصد بتتجسس بالكاميرات..

توقف عن هز الأرجوحة وقرب وجهه منها حتى صار

مقابلها ليخبرها بغرور:

_مسمهاش بتجسس، قولتلك ألف مرة انتي

تخصيني..

ظلت العينين في عناقٍ طويل، ليزيد هو من القرب،

هامساً أمام وجهها:

_واللي يقربك أحرقه حي..!

أنتعش قلبها بنبضاتٍ زادت من الشوقِ اليه، فتمنت لو

احتضنها بتملكٍ يشابه قوة حديثه الهائم بالغزل

الصريح إليها..

بحثت عنه بالأرجاء فجذبها الضوء القادم من

المطبخ، أسرعته بخطاها اليه، فاستندت بجسدها

على البراد وهي تتابعه يعد مشروبه المفضل حتى في

هذا الوقت المتأخر.

_لو تطلعي أوضتك يبقى أفضل.. فزعت "حنين"

للافاية حينما استمعت للصوت الذي خاطبها دون أن
يستدير، فكانت تظن بأنه لا يشعر بوجودها وخاصة
بتحركه بأريحية كبيرة، اقتربت منه وهو يخرج
الليمون المثلج ليضعه بكأس النعناع الفرش، وقضت
من أمامه وهي تجاهد برسم دور الحزينة:
_مشيت من غيري..!

استند بيديه على رخام المطبخ وهو يرتشف بتلذذ
عجيب، فخاطبته بغيظ:
_بكلامك أنا على فكرة..

وضع الكأس بقوة جعلت صوته يضج، ثم وقف
قبالتها وهو يجيبها بنفس نبرتها:
_وأنا مطمئنة على فكرة..

ابتسمت وهي تتأمله عن قرب لتبدأ رحلتها الخبيثة
في الانتقام، فغمزت بعينيها:
_أنت عارف أنا نفسي في إيه؟..

خائنه افكاره، فتعمق بعينيها وقد تسنى له دور

برائتها الزائف، فلف ذراعيه حول خصرها وهو

يخبرها بصوته المنخفض:

_لا عرفيني أنتِ..

خطفت نظرة سريعة اليه ثم قالت بضحكة انتصار

لما توصلت اليه من نتائج مبهرة:

_في أواملي من أيدك الحلوة..

اعتدل بوقفته وقد تحولت نظراته لهلاك،

فاستطردت ببراءة مصطنعة:

_بطني خللت من اكل الطيارة اللي شبه مستشفى

العزل ده..!

تراجع للخلف وهو يستكمل محتويات كوبه

الموضوع، ليجيبها ببرود:

_اعمليه لنفسك..

رمقته بنظرة متعصبة، فتحركت تجاه البراد لتخرج

البيض ومحتويات ما ستصنعه قائلته بضيق:

_مش محتاجة منك مساعدة انا هعرف أعمل لنفسي

تصيرة..

ثم تقدمت لتتصنع اشعالها للشعلة عله يتحرك
ويمنعها، فهو يعلم بأنها لا تعلم بامور الطبخ وغيره من
وصفات سهلة للغاية، تابع "مراد" ارتشاف مشروبه
ببرود، فأخرجت "حنين" هاتفها ثم بحثت على
اليوتيوب عن وصفتها، ثم شرعت في تنفيذها، تناست
تماماً امر الملعقة حينما افترض بها أن تتذوق ما
أعدت عليها تستكشف ان كان الملح مضبوط،
فغمست اصابعها بالمقلاة ثم اسرعت بوضعه بضمها
وهي تصرخ بألم شديد، أسرع إليها ليجذبها تجاه
صنوبر المياه قائلاً بضجر:

_ غبية ومجنونة..!

غسل أصابعها بالمياه جيداً ثم اشار لها بغضب:
_ اطلعي بره يا حنين بدل ما وربي أرتكب جريمة
قتل هنا ومش هلوم حد غير حظي التعيس اللي
وقعني معاك..!

ابتسمت وهي ترد عليه بمشاكسة:

_حظك وقعك مع واحدة مجنونة ولسانها سليط

والدنيا كلها بتجري وراها علشان تقتلها، وبعد ما

خلاص الدنيا ضحككتها وتهعيش بسلام تقرر هي

اللي تقتلك بسكتة قلبية عنيفة.

توقعت ان يشاركها الضحك ولكنها وجدته متجه

الملاح، يرمقها بنظرات باردة كادت بأن تبتلع عنقها،

فجذبت إحدى ثمار التفاح الموضوعة لجوارها، ثم

أسرعت بالخروج قائلة ببعض الخوف:

_هستاك برة متتاخرش لحسن هموت من الجوع..

ألقي المنشقة الورقية عن يديه بغضب وهو يتطلع

للفوضى العارمة التي تسببت بها لصنع وجبة من

الطعام وان كانت فاشلة، حرك رأسه يساراً ويميناً

وهو يردد بيأس:

_مفيش فايدة..!

لملم ما صنعتته ثم وقف يصنع لها البيض المخفوق مع

قطع السجق الشهى...

بالخارج..

غفلت بين احضانه على الحشائش الخضراء وسط
حقبته الزهور العطرة، أغلقت عينيها بامان تلتمسه
بوجوده، تعلم بأنه سيكون حمى لها وسيحرص بأن
يجعلها غير مرئية للجميع في الصباح، توج ضوء
القمر عاشقين تتوسط أجسادهما الزهور والاشجار،
يدها في أحضان يديه واليد الاخرى تتمسك
بقميصه بعدما لف جاكيتته الاسود عليها ، غفلوا
سويًا من شدة الارهاق بعد رحلة شاقّة، ولم يعد
بموسعهما الشعور بشيء سوى صوت الأنفاس..

انتهى "مراد" من تحضير صينية مثالية لها، فخرج
اليها ليقف محله بدهشة اشرفت على شفثيه ابتسامته
عاشقة، حينما وجدها غافلة على الارىكة وفمها

مفتوح على آخره بقطع متباقيته من ثمرة التفاح التي
تتمسك بها بين يديها، وضع الصينية عن يديه على
الطاولة، ثم اقترب منها وهو يمسد بيديه على
كتفها:

"_حنين..!"

تأكد من غفلتها الشبه محالّة استيقاظها منها،
فجذب ثمرة التفاح من يديها بابتسامة تتسع كلما
وجدتها تتمسك بها، ثم حملها برفق ليصعد بها
الدرج للأعلى، ليضعها على فراشها بهدوء ثم دأثرها
بغطاءٍ ثقيلٍ عليه يحفظها من البرودة، ثم تمدد
لجوارها وعينيه لا ترى سوى وجهها القريب منه..

غيمته الليل تزيد من وجع العاشق المجروح، فلا
يتمكن من اتخاذه مأوى لآوجاعه، حتى "فاطمة"
فقد نالت نصيبها من كأسه المرير، حاولت ان تغلق
عينيهما وتغفل بنومها عليه تتمكن من الاستيقاظ

باكراً لتحضير لزفافها ولكنها لم تتمكن، مازال
يهاجمها هواجس تزيد من انقباض صدرها تجاه تغير
"يامن" الملحوظ، استرقت اذنيها صوت رنين هاتفها
الذي انقطع بعد ثانية واحدة من الرن، اعتدلت
بفراشها ثم شعلت الضوء والتقطت هاتفها لتجده هو،
اعادت الاتصال به والدموع تهبط كالشلال من عينيه
فحتى الاتصال بها لم يكاف نفسه عناء طلبها برنة
كاملة، اتاها صوته المتعجب:.

_كنت فاكرك نايمت!.

قالت بحزنٍ بادي بلهجتها:

_مش جايلي نوم..

=اقدر أعرف ليه..!

ازاحت دموع عينيهما والتزمت الصمت فقال بحزن:

_زعلانه لاني مقدرتش انزل معاكي نشري

الضستان..!

صمتها اجابة صريحة لكافة اسئلته فاسند رأسه

على مقعد سيارته وهو يخبرها بهدوء:

_عارف اني مقصر معاكِ، بس صدقيني يا حبيبتي
غصب عني، أنا لسه نازل من المكتب حالا وحتى
لسه متحركتش بعربيتي، كنت عايز اكلمك
الاول ورجعت في كلامي خفت تكوني نايمه..
المبرر لموقفٍ يؤثر بالطرف الاخر أحياناً يداوي
جرحه، فيعود لسعادته من جديد، وهكذا ما حدث
لها، سعدت كونه يعلم بتقصيره معها، اعتذاره لها
احتضنها بوقتٍ كهذا، تحرك لسانها ناطقاً بلهفة:
_في الشارع بالوقت ده، طيب ارجع البيت ونتكلم..
ابتسم وهو يجيبها:

_قولتلك مكنتش هقدر ارجع من غير ما اسمع
صوتك، لما مشيتي من المكتب وانتي زعلانه زعلت
على زعلك بس مكنتش اقدر اسيب الشغل في
الوقت ده صدقيني..

ازاحت دمعاتها وهي تجيبه براحة:

_وأنا مش زعلانة يا "يامن" بس يارب متأخرش كده
بعد الجواز..

أجابها مهازحاً:

_نعم، ده انا بعمل كل ده علشان متنقلش من البيت
وافضى لسفريّة لندن..

تساءلت باستغراب:

_أنت مسافر!

رد بمشاكسة:

_وأنت قبلي يا هانم هو شهر العسل بيبقى من طرف
واحد ولا ايه..

رسمت البسمّة على وجهها وتسالت الفرحّة لأعماق
القلب، لتتابع حديثها معه حتى وصل للمنزل وغلبه
النوم، عوضها بتلك المكالمات عن شقاء يومها
المحزن ولكن ترى بماذا سيعوضها عما سيتسبب لها
بعد الزواج من ألمٍ عاصف؟!..

اشرقت شمس يومٍ جديدٍ ، حيث عبق الهواء رائحة
القهوة التي صنعتها "نجلاء" ثم وزعتها على المائدة
لتصبح جاهزة باستقبالهم ، هبط "طلعت زيدان"
للأسفل ، فابتسم حينما رآها ترتب الطاولة العريضة
بأصنافٍ متعددة من الجبن ، غازلها بكلماته
المعسولة وهو يجلس على مقعدها:
_تسلم أيدك على الجمال ده..

طبطبت بيدها على كتفيه وهي تخبره بحب:
_الف هنا يا حبيبي..

هبط "مراد" ورحيم هو الآخر، ثم لحق به "جان"
و"ريان"، و"سليم" الذي زفر بضيقٍ من تصرفات آدم
الغريبة، فمنذ الصباح وهو يتبعه كظله لا يعلم
بأنه مكلف بالأمر من قبل زوجته، جلس الشباب على
سفرة الطعام، دون الفتيات بأكملهم وكأنهن تحالضن
على مساعدة بعضهن في هذا اليوم، فبعضهن تقاسمن
ما بين معاونة "فاطمة" و"سما" لتلاحق زفافهن تباعاً،

والاخرى يعاونون "ريم" لما تعده لزوجها، لم يتواجد
بالقصر سوى "شجن" و"يارا" و"حنين" التي هبطت
للاسفل مؤخراً..

ارسل "مراد" برسالة نصية ليارا يخبرها بها بالمكان
الذي سيقابلها به خلال ساعة بعد أن ينتهي من
الطعام حتى يتحدث باريحية بعيداً عن القصر..
وضعت "نجلاء" طبق ضخم في منتصف الطاولة وهي
تقول بابتسامة فخر:

_أحلى فطير من صنع ايدي..

أجابتها شجن بتأكيد على كلماتها:

_احسن واحدة بتعمل فطير وعن تجربة..

التقطت حنين احداهن وهي تتناولها بلهفة:

_الله عليكى يا نوجة تحفة بجد تسلم

ايدك..

التقطت نجلاء واحدة لتضعها أمام مراد واخرى امام

رحيم والشباب قائلة بحنان:

_الف هنا يا حبيبتي..

وزع طلعت النظرات فيما بينهما ثم تساءل باستغراب:

_أمال فين "فارس" و"مروان"؟..

اجابه ريان على الفور:

_فارس مع يوسف في مشوار، ومروان معرفش راح فين..

اتاه الرد من خلفه:

_أنا هنا..

استدار الجميع تجاهه وخاصة "يارا"، كانت نظراتها مرتبكة ما بين التطلع اليه او اخفاء عينيها بعيداً عنه خجلاً مما فعلته، تركزت نظرات "مروان" على الجوكر الذي يراقبه ببرود، وثبات فتاك، فجلس في مقابلته وقد طالت نظراته عليه، لوهلة شعر "ريان" بأنه يعلم بأمر ابيه، فنظراته صوب مراد غير طبيعية بالمرّة، دق هاتف القصر بصوت طرب آذان من خطط للانتقام من الجوكر المزعوم بالقوة والسلطة، اراد أن يسلب حياته أولاً قبل أن يثأر منه،

أجاب احد الخدم ثم وضع السماعة على الطاولة
الصغيرة المستديرة، ثم اقترب منهما ليقول وعينيه
ارضاً:

_مكالمة لحضرتك يا "حنين" هانم..

قالت باستغراب وهي تلوک طعامها:

_مكالمة علشاني أنا..!

ثم نهضت لتتقرب من الهاتف، التقطت اذنيها كلمات

المتصل بملامح انقبضت بتعجب وصدمة كبيرة،

لفتت انتباه الجميع حينما تساءلت بصراخ:

_اعلام وراثة آيه اللي بتكلم عنه ، لأ مستحيل أنت

بتقول أيه..!

الفصل الثامن والأربعون...

كلماتٍ من صخرٍ أصابتها بألمٍ غير محتمل، لم
يستوعب عقلها بعد خبر وفاة والدها لتتلاقى الخبر
الذي يليه كونه قتل وعلى يد من؟
زوجها!، ليتها لم تعلم تلك الحقيقة، ليتها لم تجيب
على الهاتف من الأساس، فأن كانت المشاعر القابضة
بداخل صدرها بالاختيار لكنت اختارت البكاء
علها تشعر بالارتياح، ولكنها ما زالت تتمسك
بسماعة الهاتف بيدٍ مرتجفة وعينيها مسطّرة لمن
يقف على مسافةٍ منها، مهامه الشاقة منحتة القدرة
على قراءة لغة العيون، وخاصة زوجته، تمكن "مراد"
من استنتاج ما عرفته من تلك المكالمة التي
أفسدت تعابير وجهها بصورة ملحوظة، نهض عن
مقعده ثم اقترب منها ببطءٍ، وكأنما يهيئ ذاته لما
سيحدث فيما بعد، وقف مقابلها وهو يجاهد بثباتٍ

لهجته:

_أنتِ كويستِ يا "حنين"؟.

وضعت الهاتف عن يدها وهي تتأمل به بصمتٍ، نظراتٍ
قوية، مشككة فيما استمعت إليه لتو، لا يعقل أن
يكون زوجها القاتل، ليتها ماتت قبل أن تسمع لتلك
الحقيقة، كيف يقف أمامها ويتساءل عن حالها؟!!
بالكد تحرك لسانها ناطقاً:

_أنتِ اللي قتلت بابا؟..

كان يعلم أن تلك الحقيقة ستكشف ذات يومٍ
ولكنه لم يكن مستعداً لذلك، وخاصة بعد أن
تلاشت المسافات بينهما، أمسك "مراد" بيدها وهو
يتماسك بذاته في محضر الجميع، فقال بثبات:
_خلينا نتكلم فوق.

كانت تنتظر اجابة ينفي بها ما طرحته على
مسمعه، ولكن رغبته بأن ينفرد بها يؤكد صدق ما
استمعت إليه، انتشلت ذراعيها من بين معصمه وهي

تعيد سؤالها مجدداً بانفعال:

_جاوبني على سؤالي وهنا..

نهض "طلعت" عن مقعده، ليهم بالاقتراب منهما وهو

يتساءل باستغراب:

_في أيه يا بنتي..!

انسابت الدموع من عينيها فكان عالمها المعزول

حجبها عن جميع من حولها فحتى سؤال طلعت لم

تستمع اليه، لم تكن ترى شيئاً سواه هو، فتحرك

لسانها ناطقاً:

_ليه عملت كده! ، أنت نهيت اللي بينا باللي

عملته..!

ثم ازاحت دموعها وهي تجاهد لاستكمال كلماتها

الثقيلة:

_ازاي مقدرتش أخذ بالي من نظراتك ووعدك ليه

من آخر مقابلة تمت بينا، كنت عبيطة وفاكرة

انك مستحيل تقتله لأنه مهما عمل فهو أبويا..!

فركت جبينها بقوة كادت بتفتت رأسها وهي تردد
في صدمتها:

_أنا مش قادرة أصدق أنك عملت كده، أكيد في
حاجة غلط..

تابع ما قالت حتى انتهت من حديثها، فقال بثبات
يخفي من خلفه حزنه على ما أصابها:

_عملت كده لأنه يستحق..

جحظت عينيها بصدمتها، لتصريحه المباشر فكانت
تود سماع انكار لما نسب اليه أو تبرير لما دفعه
لذلك؛ ولكن ثباته واتزان لهجته باخبارها تلك
الكلمات جعل غضبها يزداد أضعافاً، فتحركت
خطوتين وهي تخبره بغضب:

_أنا لا يمكن أفضل هنا معاك ثانية واحدة..
وتركته محله ثم ركضت لغرفة ابنتها بالاعلى،
لحقت بها "شجن" على الفور، انتقلت نظرات "مراد"
تلقائياً على "مروان"، الذي يتناول طعامه ببرود

شديد، اقترب "مراد" من الطاولة، فانحنى بجسده
تجاه أحد المقاعد ليحده بنظرة مطولة تشعل
العواصف بداخل حدقتيه المظلمة، نهض "رحيم"
عن مقعده ليقترب منه سريعاً، مشيراً له بيديه بهدوء:
_ اطلع شوف "حنين.."

شدد من قبضته على مقدمة المقعد الذي كاد بأن
يسقط أرضاً من فرط الضغط عليه، بقيت
نظرات "رحيم" تراقب ردود أفعاله وهو يعلم ما يدور
بداخله تجاه "مروان"، فدفعه للخلف وهو يعيد ما قاله
من جديد:

"_ حنين" أهم..!

بصعوبةٍ بالغة سحب النظرات التي تحاوطه ثم صعد
خلفها وبداخله يتوعد اليه بالكثير، صاح "طلعت"
بعصبيةٍ بالغة:

_ ما حد يفهمني ايه اللي بيحصل هنا ده؟!

أجابه "مروان" وهو يلوك قطعة من الجبن بتلذذ:

_هو أنت متعرفش أن "مراد" قتل أبويا ووالد "حنين" يا
عمي ولا أيه؟..

صدم كثيراً، فردد بعدم استيعاب:

_أيه؟!..

اندهش "سليم" من معرفته لحقيقة الأمر فخمن بأنه
وراء المكالمات التي تلقاها "حنين" من دقائق، رده
على "طلعت زيدان" كان بمثابة اعتراف بأنه خلف ما
حدث بين الجوكر وزوجته منذ قليل، غلت الدماء
بعروق أخيه، فنهض عن مقعده ثم أسرع ليقف أمامه
مباشرة فنهض "مروان" هو الآخر ليكون مقابله، فقال
"ريان:"

_أنت اللي ورا المكالمات دي؟..

شرارة عينيه زفت جوابه اليه، رفع يديه الصلبة
ليهوى بصفعة قوية على وجهه وهو يصيح بانفعال:
_أنت عمرك ما هتتغير أبداً وتبطل تاخد قرارات من
غير ما ترجعلي!..

أتاه رداً قاسي لم يتوقعه منه:

_ولا أنت كمان هتتغير هتفضل ماشي ورا رحيم زي
الربوت يقولك شمال شمال، يمين يمين، تسكت عن
كل حاجة وتتقبل أي حاجة تخصه حتى لو كان
أبوك اللي اتقتل غدر على ايد واحد ميستهلش انه
يتشبه بالانسان..

كاد "ريان" بأن يرد عليه بقسوة ليفق من غفلته،
ولكن صوت "رحيم" صدح بالارجاء ليفصل بينهما:
_عمرک ما هتقدر تفهم أخوک ولا تفهم أي حد
فينا طول ما أنت شايف "مراد" عدوک وميهموش
مصالحتک..

تخلت نظراته عن أخيه ثم تطلع لمن يباغته
بالحديث الصريح عن طبيعة علاقته بمراد، نقلت
نظراته الغاضبة اليه، فأخبره بما يضيق ب صدره:
_لأن دي الحقيقة وعمره ما هيكون قريب أو حتى
صديق، يمكن بالفترة اللي فاتت كنت بحاول اتقبل

ده بس لحد ما كشفت خطته القذرة بعد ما كان
عايز يكسرنى ويوجعنى بعلاقة الحب المزيضة دي.
أغلقت "يارا" عينيها بألمٍ حينما استمعت لما قاله،
ودت لو تلبستها الشجاعة فتخبره بما تود قوله،
فتسللت لتصعد لغرفتها، فتخشبت محلها في صدمةٍ
حينما سد "مروان" طريقها، ثم جذبها لتقف أمامه،
بلعت ريقها بتوترٍ وهي تحاول تحرير ذاتها من بيد
قبضة يديه، ابتسم وهو يتأملها، فردد بسخرية:
_أيه، خايضة أتكلم عن اللي عملتيه..!
تعمقت بعينه المخيضة وهي تبحث عن دفءٍ فقدته
وهو يحارب الشيطان بداخله، فهمست بصوتها

المتوسل:

_سيبني..

ضغط بيديه بقوة ألماتها، فأنغمست أظافره بجلدها،
أغلقت عينيها بوجعٍ والدموع تتاسب بقهرٍ وخاصة
حينما تدخل "طلعت" قائلاً بعصبيةٍ بالغة:

_أنت أيه اللي جراك يا ابني، طايح في الكل
وكان مالکش كبير..!

ابتسم وهو يجيبه بابتسامته مستفزة:

_وأنت الكبير لابنك يا عمي؟، تمام يبقى تسمع
بقى، ابنك طلب من بنت خالته تمثل عليها دور الحب
وهي مخطوبة وهتتجوز من راجل تاني وكل ده علشان
يكسرنى، وبرضه هو نفسه اللي قتل أبويا، ها هتعمل
أيه يا كبير..!

كانت اهانتة صريحة لطلعت زيدان في محضر الجميع
وعلى رأسهم "رحيم"، كاد "مروان" باستكمال
كلماته اللاذعة ولكنه أطيح أرضاً بين الاقدام على
أثر لكمة قوية تلاقها دون أن يشعر بهوية صاحبها
الذي وقف أمام عينيه، فدب الرعب بالقلوب حينما
اصبح مروان في مواجهة من لا يرحم من يتعدى
حدود بيته، كور يديه بغضبٍ مدمر وهو يشير له
بأصبعه:

صوتك مترفعش في بيتي وعلى أبويا ، ولو هتحمدا
ربنا فتحمدہ إني هسيبك تمشي على رجاك علشان
أخوك اللي بتعيب فيه..

تالأت الدموع بعين "طلعت زيدان" فلم يكن يتوقع
أن يقف رحيم كالسد المنيع لأجله هو، ربما أن فعلها
"مراد" لن يتعجب لذلك؛ فبالرغم من الضيق الشديد
الذي استحوذ عليه لقاء حديث مروان المهين إلا أن
موقف "رحيم" الشرس جعله يبتسم في رضا تام...
أسرع "سليم" بالتدخل حينما وجد الأمور تخرج عن
السيطرة، فوضع يديه على كتفي رحيم وهو يذكره
بالعهد المصان قائلاً:

مروان غلط أنا عارف بس هو ميعرفش الحقيقة
علشان خاطري متضخمش الأمور، بلاش نخسر اللي
عملناه طول السنين دي..

جز على أسنانه بضيق شديد ، فأبيضت يديه من شدة
ضغطه عليها ، لذا انسحابه من القاعة برمتها كان

قراراً صائب حتى لا يقتله، أزاح "مروان" الدماء
المنسدلة من فمه بالمنديل الورقي وقد طاح به
الغضب لدرجة قاتلته، ود لو تمكن من قتلها بتلك
اللحظة، استند بجذعيه على الأريكة من خلفه ثم
نهض عن الأرض ليجد "ريان" يقف أمامه كالوحش
المقيد بأغلال نهايتها بيد "طلعت زيدان" الذي يشير
له مراراً بالا يرتكب تصرف خارج عن المحذور،
يكفي ما فعله رحيم به، لذا ترك له زمام الأمور
ليخبره بانكسار قبل مغادرته القاعة:

ـ ياريت كان بأيدي أختار أهلي..!

غضب "مراد" و"رحيم" والعالم بأكمله لم يشكل
فارقاً بالنسبة إليه؛ ولكن كلمات أخيه وحزنه
الناطق به معالم وجهه البائس مزق قلبه لشطر لم
يرغب بالشعور بألمه الخائق، وقف "طلعت" من أمامه
ولجواره نجلاء التي تهدأ من روعه وتسانده بربتها على
كتفيه بخوفٍ على حالته الصحية، تحرر لسانه

ناطقاً عن صفحات الماضي:

_ زمان مكنش في حد بمعزة أبوك عندي، بس
بمقابل الحب ده خدت عدواة وغدر مالوش نهاية،
شوفت حقد كبير على مالي وسلطتي وحببي اللي
مقدرتش أبينه للنور، كان ببضربني في دهري ومن
غير ما أحس وجهلي كفني والحادثه اللي بينت
للكل ان طلعت زيدان انتهى وكل ده وأنا عايش
ومحبوس في سجن أسوء من الموت، سنين وانا عايش
شبه ميت، بسمع منه الاخبار الوحشته بس، اللي
تهزني وتقهرني، وبعد كل الوجد ده كان عايزها
تشوفني وانا مكسور لانه عارف كويس أن السلطه
والنفوذ بالنسبالي عامله ازاى..

صعق مما استمع اليه من معلومات مزلزلت وخاصه
حينما استكمل:

_ومراد اللي أنت بتتكلم عنه ده هو اللي منع حد
يعرفكم بحقيقته..

بلل شفتيه بلعابه وهو يبحث عن مخرج أو حجة

مناسبة تخرجه مما وضع ذاته به فقال:

_حتى لو عمل كل ده ميدلوش الحق انه يقتله..!

هنا تدخلت يارا بالحديث، فقالت بخوف وتردد:

_لو عايز تعرف الاجابة على سؤالك ده، تعالى

معايا...

حدجها بنظرة مطولتة، ساكنت ولكن ما تخفيه

مقبض، دفعه سليم برفق ليشير اليه:

_روح معاها واسمع كل الحقايق قبل ما تواجه مراد

وترمي عليه التهم..

كان يود سد أي حجة سيلجئ لها البعض، لذا اتبعها

وهو يحاول التحكم بانفعالاته، يود بداخله لو أن

يصفعها بقوة على ما ارتكبته بحقه ولكن عليه

التمهل لسماع ما تود اخباره به..

ضمتها لصدرها، تشاركها أحزانها ودموعها تشق

وجنتها، تعلم جيداً ما تشعر به بتلك اللحظة
بالتحديد، نعم كانت تشعر بالضجر وخيبة الامل
حينما ترى "رحيم" يحمل السلاح او يصبوب ناره على
أحداً مهما كانت قوة شره، فماذا أن كان ضحاياه هو
أحد أفراد عائلتها، ربتت بحنان على ظهرها وهي
تهمس بصوت متقطع من البكاء:
_هوني عن نفسك يا "حنين".
ابتعدت عنها، بنظرة حائرة لتسألها بخوف:
_الي بيحصل ده مش حقيقي صح يا شجن!
تعلم ما تمر به، فمستت بيدها على ظهرها بتأثر:
_اسمعيه وأعرفي ليه عمل كده..
تهجمت ملامح وجهها، فرددت بعدم تصديق:
_اسمع أيه! ، أنا مش قادرة أبص حتى في وشه..
ومسحت بأناملها دمعاتها لتسترسل ببسمته الم:
_أنا عارفت أن بابا وحش، ومكنش بيضكر غير في
مصالحته هو بس، وأني كنت آخر اهتماماته بس

بالنهاية هو أبويا ودي الحقيقة اللي مقدرش أغيرها..
وانهمر الدمع من عينيها كشلالٍ شرسٍ ولسانها ينطق
بما لا تود قوله:

_قوليلي ازاي هتقبل الحقيقة البشعة دي؟ ، ازاي
هقدر أكمل معاه وهو اللي قتل أبويا؟ ، ازاي هشوفه
أماني وهو في نظري مجرم؟..!

أغلق هذا المحارب عينيه بوجع يستهدف قلبه
العاشق، لحق بها ليحتضنها بتملكٍ علها تستمع ما
يود اخبارها به، اختبأ ليستمع ما قالت له لشجن فعصف
ما تبقى بداخله، خرج "مراد" على الفور ثم توجه
بسيارته ليلحق بيارا ومروان وبداخله شعاع غامض لا
يفصح عما يجول بداخله أغضب أم هلاك لما فعله..!

استلم "سليم" رسالتاً على هاتفه من "فارس" بضرورة
التوجه لمطعم "يوسف" في التو والحال، تعجب
كثيراً فالعنوان المطروح من أمامه هو بالفعل لأحد

مطاعم "يوسف"؛ ولكنه يتذكر بأن افتتاحه الشهر
القادم، حاول جاهداً ليستكشف حول الامر ولكن
الاخر كان خبيث للغاية، فرضخ لرغبته بنهاية
الامر وتوجه للعنوان المحدد.

بحديقة القصر..

وضعت يدها على يديه الموضوعت على حافة مقعده،
لتطمئه قائلة بالهجتها الحنون:
_متقلقش يا طلعت ان شاء الله الامور هترجع زي
الاول..

أبعد يديه عن خده وهو يشير لها برأسه:
_معتقدش، أنت متعرفيش "مروان" يا "نجلاء"، الواد ده
طول عمره دماغه ناشفت ومش بيسمع غير لنفسه
وبس، يعني مستحيل يقتنع ان ابوه كان كده
بسهولت...

ربتت يدها بهدوء وهي تخبره بلباقة:

_مصيره هيستعوب وهي عرف ليه" مراد" اتصرف كده.
شرد بالفارغ وعقله هائم بأفكار مزدحمة حول
كناية القادم..

صعد خلفها للطابق الأخير من المصححة حيث تحبذ
ان تقطن تلك الفتاة الغامضة بالنسبة اليه، كان
سطح المصححة واسع للغاية، مكشوف دون أي اسوار،
وقف "مروان" خلف "يارا"، يتابع نظرات عينيها بترقب
حتى يفهم ما تود قوله بمجيئه لها بالتحديد،
سلطت نظراتها على "فطيمة" التي تبعد عنها مسافة
ليست بقليلة، وقف يوزع نظراته بينها وبين تلك
الفتاة الغريبة، ليتساءل بعد فترة من الصمت:
_أقدر أفهم جبتيني هنا ليه؟ ، ولا لسه في كدبة
جديدة..!

استدارت "يارا" لتكون بمقابله، مشيرة اليها
بأصابعها:

_جبتک هنا علشان تشوف حقیقتہ باباک بنفسک،
اللي قدامک دي حالتہ من الحالات اللي باباک کان
السبب في اختطافهم وهتک عرضهم ومش بس کده
ده کان بیتأجر بحریتهم وبأجسامهم، کنت عايز
تعرف اللي عملہ هو والوزير علشان يستحق القتل، وأنا
ريحتک، باباک کان قذر بكل ما تحملہ معنی
الكلمة واللي "مراد" عملہ فيه ده فخر ليک
ولأخواتک لان آ...

بترت کلماتها حينما هوى على وجنتها بصفتہ
مداویتہ وصوته ينطلق كالرعد:
_اخرسي، أنتِ أيہ؟!، لسه ليکي عين تقضي
قدامي وتخترعی حجج وأعدا تداري بيها على اعمال
ابن خالتک القدرة..!

تلاأت الدموع بعينيها، وأصابعها تتحسس خديها
المتورم، فرددت بصوتٍ يجاهد للخروج:
_دي الحقیقتہ اللي أنت عمرک ما هتقبلها لان "مراد"

بالذات هو الطرف الثاني ليها.

اقترب منها حتى أصبح مقابلها، ليردد في سخط:
_الحقيقة هي أنك أكبر كدبة دخلت حياتي،
خدعتيني ومثلتي عليا علشان تكسريني زي ما هو
كان عايز..

أشارت له باعتراض، وهي تخبره ببكاء:

_مش صح، أنت لما انقذتني من الموت مكنتش
شايفاك غير ملاك الرحمة اللي أنقذني في أكثر
وقت كنت محتاجة فيه للمساعدة، بس لما اتفاجئت
بيك وباعترافاتك بحبي كنت مرتبكة ومش
عارفة أخذ قرار ما بينك وبين "علي" صديق
الطفولة اللي عمره ما أتخلى عني وأقل رد لكل اللي
بيعمله معايا اني اتجوزه، أخذت قرار اني أصارحك
بكل حاجة بس ساعتها "مراد" منعني لانه شاف أد
أيه أنت اتغيرت وممكن تتغير للأحسن، فطلب مني
اني مقولكش على حاجة لحد ما تمتحن وتنجح

وتكمل طريقك، وأنا كنت فاكرة باللي هعمله
هكون بردلك الجميل بانقادي من الفرق، بس
مكنتش اعرف أن "علي" هيرجع مصر والحقيقة
تتكشف بالطريقة دي، صدقني حاولت كثير
أقولك بس آآ...

حدجها بنظرة قاتلة، كلما تذكر اسم رجل آخر
غيره يشتعل فتيل غيرته وخاصة هذا الذي يدعي
"علي"، اختصر المسافة الامنة فيما بينهما ليخبرها
من بين اصطكاك أسنانه:

_متنطقيش اسمه على لسانك تاني قدامي...
بللت شفتيها بلعابها بخوف، فرددت بتردد:
_أنا مش بأيدي اختيار يا "مروان"، أنت لازم تعرف اني
بآآ.....

بترت كلماتها حينما استمعت لصوته القادم من
خلفهما:

_كنت واثق اني هلاقية معاك هنا وعلشان كده

بتتجاهلي مكالماتي برضه..

ابتعدت عن "مروان" سريعاً وهي تردد بارتباك:

"_علي..!"

أمتقع وجه "مروان" بغضبٍ يكفي عالم باكملة،
أسرع تجاهها حينما وجدها تقف على مسافةٍ قريبة
منه، فجذبها بالقوة لتقف أمامه وكأنه يخبره بما
فعله بأنها تعود إليه هو، فأخبرها بحدة:
_مممكن تظهميني موبيلك ليه مقضول، وليه واقضت
مع البني آدم ده هنا وفي الوقت ده..
بلعت ريقها بتوترٍ وهي تشير بيدها تجاه بقعة بعيدة
عنهما:

_أنا كنت بوريه حالة "فطيمة" لأن آ..

توقفت عن استكمال كلماتها حينما وجدت
المكان فارغ، فعلى ما يبدو أنها غادرت دون أن تشعر
بها لانشغالها بالحديث مع "مروان"، جز على شفتيه
بغضبٍ وهو يردد في سخط:

_أيه " فطيمة" اتبخرت! ، ولا بتدوري على حجة
تانية..

كاد "مروان" أن يخرج عن ثباته بغضبٍ وحشي حينما
رأى طريقته بالتعامل معها ، فقال بهدوءٍ يخفي من
خلفه مكرٍ كبير:

_فعلاً أنت صح مش هنحتاج لحجج علشان نتقابل مرة
واتنين والف..

صعقت مما قاله ، فقالت بدموع:

_أيه اللي بتقوله ده يا "مروان..!"

قال وعينه تقابل نظرات "علي" ببرود:

_الحقيقة اللي لازم يعرفها يا روعي..

خرج عن طور التحكم بأعصابه ، فناوله لكمة
كادت باصابتة فكيه فتفادها "مروان" سريعاً ، ثم
ركله بقدميه ببراعةٍ ، جعلته يسقط أرضاً من فرط
وجعه ، ثم انهال عليه بعددٍ من اللكمات المتفرقة
فكاد بأن يفقد وعيه ، أسرع إليه "يارا" لتخاطبه

في هلع:

_لا يا "مروان"، كفايا..

وجد لجواره فانوس صغير بداخله مصباح، موزع على
السطح المربع بشكل متفرق، فضربه أرضاً ليتحطم
اجزائه الزجاج، فقربها "مروان" من رقبتة بشراسة،
فعاد لواقعه حينما على صوت بكائها مع رجاء ملح
بتركه، وبالفعل ألقى عن يديه قطعة الزجاج ثم
كاد بالتوجه للخروج من هذا المبنى، فتح علي
عينيه بألم، وقد اشتعل فتيل غضبه لما فعله به
الأخير، فاستند بجذعيه لينهض بصعوبة ونيران
الثأر لما فعله تزداد تأجج لذا وبدون أي تفكير
تحرك تجاه مروان الشارد بخطاه نحو الخروج من
الباب الجانبي، فأسرع من خلفه ليدفعه بكل قوته
فانجرف الأخير عن حافة السطح ليسقط عنه،
فتعلقت يديه بحافته وهو يحرك جسدها بانفعال
ومحاولات مستميتة للصعود ولكنه لم يتمكن،

صرخت يارا بصدمته وهي تردد:

"_مروان"، لأ..!

أسرعت إليه فانحنت لتحاول رفع جسده أو حتى جذب يديه ولكنها لم تتمكن من ذلك، فرددت بدموع لا نهاية لها:

_مروان..

أعماه الشيطان بداخله، فجعله يرى حل للمعضلة التي يلاقاها، عليه التخلص من هذا الشاب السمج، لذا تحرك تجاه بقايا الزجاج الملقاة ثم جذب أحدهما واقترب منه بابتسامة واسعة وعينية تتلأأ بشعاع الموت والهلاك، انحنى ليمرر قطعة الزجاج على يديه اليمين، فصرخ بألم شديد، فحرر قبضة يديه عن الحافة، ولما يتبقى سوا يديه اليسرى، كاد بأن يثقبه كذلك غير عابئ بتواسلات "يارا" ولا برجائها بالا يفعل ذلك، ثقل جسده يحتمله على ذراع واحد، والموت سيرحب به بعد دقائق من الآن ان

تخلت أصابعه عن الجسم الصلب المتعلق به، حاولت
"يارا" إيقافه وهي تصرخ ببكاءٍ عاصف:
_لأ يا علي كفايا، هتقتله كده..!
لم تؤثر به كلماتها وكاد بأن يثقب يديه ولكنه
تفاجئ بلكمة قويةٍ اطاحت به أرضاً، وقبل أن
يصارع حنقه وجد يد قويةٍ تتمسك بيديه
بأحكامٍ، بصعوبةٍ بالغةٍ تحركت حدقتيه عن
التطلع لمسافةٍ الأرض المتبقية لملامسة جسده،
ليجد من يقف أمامه ويتمسك به جيداً دون أن يفلت
أصابعه، ليرفعهما مرة واحدة حتى وقف قبالة، لقاء
كذلك سيكون مشدأً فيما بينهما ولكن صدمة
"مروان" بمعاونة "مراد" إليه كانت لا تقص بكتب
التعبير عن الاحاسيس، فنقل نظراته لعلّي، فاقد
الوعي على أثر ما فعله به الجوكر، وكأن حديث
العالم تقلص أمام هذا الموقف، بدى مروان بحيرة لم
يختبرها قط، وخاصة حينما وقف قبالة في سكونٍ

عجيب..

وصل "سليم" للمطعم، فصعد للطابق الثاني مثلما أخبره "جان" و"فارس"، تعجب كثيراً حينما وجد المكان بأكمله مزين بحرافية وتقنية عالية، ببدء الامرظن بأن الزينة مهياة لاحتفال افتتاح المطعم ولكن اسم "سليم" المزين بشموع مختلفة الالوان جعلته على ثقة بأنه مهياً اليه خصيصاً، فتش بعيناه عن أحداً قد يخبره بما يحدث هنا، شعر بأن هناك من يراقبه، فابتسم حينما وجد سهام زرقاء اللون مرسومة على الأرض لتدله على الصندوق الاول، حيث كتب بها بالخط العريض عيد ميلاد سعيد، ابتسم بسخرية من حركات زوجته الطفولية، فتتابعها الى أن وصل لأخر صندوق، فتحه بلهفة الى أن وجد هدية ملفوفة جيداً فكشف عنها ليجدها اختبار الحمل الصغير ذو اللون الابيض البهي، ينير أمامه بخطين

يخبروه ببشرى لقدوم صغير ينير العالم بأكمله..

بالقصر...

بدأت سرعة الجهاز بسرعة منتظمة بالبداية، فرفعها
باصبعيه ليركض بسرعة مهولت كادت بأن تحطم
جهاز الركض خاصته وهو يتذكر ذلك الجزء
الخاص بأهانت أبيه أمام عينيه، السماعات التي
يضعها على أذنيه ألته قليلاً عن العالم الخارجي عن
غرفته الخاصة بجناحه، وقفت هي من خلفه تحتضن
بطنها بألم شديد تناديه مرة وتليها الأخرى، بصعوبة
بالغة تحركت تجاهه، لتضع يدها على جسده
المبتل بعرقه نظير ما يبذله من مجهود مضطرب، شعر
بنسمة خافتة تلامس جسده الساخن، فأبعد
السماعات عن أذنيه وهو يستدير من خلفه ليجدها
تقف جواره تلمس رأسها ويدها الأخرى بطنها
لتردد بصوت خافت قبل أن تفقد وعيها بصورة

مفجعة:

_رحيم...!

سقط جسدها كمن سلب روحها عنها، فأصبحت
كقطعة الجمد الساكنة بين يديه، سكنت
وكانها عاهدته بتعلق نبضات قلبه بقلبها، فشعر
بتوقفه، صمته كان مخيف ليحرره صوت عصف
بأرجاء قصره:

_شجــــن...!

الفصل التاسع والأربعون..

السعادة بالنسبة إليه تختصرها نظرة من عينيها،
لمسة من أصابع يدها الرقيقة، كلمة تخبره بها عن
حالتها كونها على ما يرام، ولكن السعادة التي
منحته الآن بخبر كذلك جعله يشعر بدقات قلبه
التي تنبض بسرعة كبيرة فكادت بتمزق صدره
لتعبر عن العالم الذي خلق بداخله وليد هذه
اللحظة، أطبقت أصابع "سليم" على الاختبار، دليله
القوي بقدوم ما سيشهد على حبهما الخالد، طربت
أذنيه بسماع خطوات منتظمة تقترب منه، فأستدار
ليجدها تقترب منه بفستانها المرصع بمزيج من اللون
الأبيض والأزرق، وقفت "ريم" أمامه بابتسامة صغيرة
تصاحبها دمعة تتراقص بحداقتها، سحب نظراته من
أحضان نظراتها ليتطلع لبطنها بنظرة مطولتة، ابتسم
بعدم تصديق كونها تحمل ثمرة عشقهما، فرفع
يديه مقرباً منها إختبار الحمل وهو يردد بعدم

تصديق:

_ده حقيقة؟..

هزت رأسها بخفضةٍ، فجلت أحبالها الصوتية لتخبره على

استحياء:

_أنا حامل في شهري الثاني وكنت مخبئة عليك

علشان أفاجئك باللحظة دي، وأشوف الضرحة في

عيونك...

لامست أصابعه خديها، فقربها إليه يقتبس من

عبيرها، ابتعد ليستند على جبهتها وهو يهمس

بأنفاس تكاد تحرقها:

_هجه أكثر من نفسي لأنه منك يا "ريم".

ابتسامتها أشرقت على وجهها لتنيره كالشمس

الساطعة التي تنير ليل كحيل، فأن كانت العتمة

استحوذت على عالمه فكانت هي شمسها الساحرة،

تسللت أصوات الموسيقى الهادئة لتمزج عالمهما

بأنشودتها الخاصة، رفع يديه ليقرّبها منها والأخرى

خلف ظهره ليشير لها بحب:

_تسمحيلي؟..

قدمت اليه يدها دون شك، فخطفها كالفارس،
يتحكم بحركاتها بخفة وبراعة، كانت رؤياها
مشوشة من حولها الا من رؤية عينيه، انقطع العالم
من حوله الا من نظراته الجريئة، لتسحبها على مهل
بعالم خاص بهما سوياً، فقضوا الليل بين الشموع
وضوء القمر وخبر حملها بجنين سيقربهما حتى
الموت..

وقف يتطالع بنظرات حائرة، فطالما ظن بأنه يمقته
كثيراً، حتى أنه كان متأكداً إنه إذا رآه على حافة
الموت سيتركه يموت بصد رحب؛ ولكن ماذا حدث
لينقذه من الموت بأخر ثانية..!

نهض "علي" لينفض ثيابه المتسخة بنظرات متعصبة
تستهدف "مراد" الذي تدخل بأخر ثانية لينقذه من

برائثينه، فوقف مقابله وهو يردد بعصبيةٍ بالغت:
_مُسْتَنِيش ليه أخلص عليه، أتعدى حدوده وأنا مش
هرحمه..

كان يظن بأنه سيأيد ما قاله بحماسٍ لمعرفةِ الكره
الذي يكنه "مراد" إليه، ولكنه تفاجأ به يقف أمامه
ويحدجه بنظراتٍ قاتلةٍ، فتحرر صوته الثائر:
_قبل ما تفكر مجرد تفكير إنك تأذيه فكر في
اللي ممكن يحصلك مرتين، لأن الندم مش
هيكفيك وقتها..

جحظت عين "علي" بذهولٍ، فهو يعلم جيداً بتوتر
علاقة "مروان" و"مراد"، فردد باستنكار:
_أنت عايزني أصدق دور الحنية اللي بينكم ده، أنتوا
عمركم ما هتتصافوا لبعض..

أجابه ببسمةٍ هادئةٍ وكأنه لم يستمع للجزء الأخير:
_يمكن بس الأكيد إني مش هسمحك تتجاوز
حدودك مع حد من عيلتي وأنا واقف..

ثم اقترب ليقف مقابله مردداً بهمسٍ ساخر:
_زي ما بيقولوا، أنا وابن عمي على الغريب..
سحب "علي" نظراته المتعلقة بمروان بغیظ، ثم غادر
وهو يتحكم بغضبه بصعوبةٍ بالغة، انشق الدمع
وجهها وهي تتأمل إصابة "مروان" بجانب حاجبيه،
كادت بالاقتراب منه؛ ولكن سرعان ما تبلدت
خطاها حينما أصابها أمر الجوكر:
_السواق في انتظارك تحت يا "يارا..
وقفت بمنتصف المسافة بين محبوبها وابن خالتها،
نظراتها تتعمق بمن يقف أمامها يمنحها نظرة معاتبة،
حزينة، تراجعت بقدميها للخلف ودمعاتها تواسيها
بحنان، فانصاعت اليه لتغادر من المكان بأكمله،
تاركة خفقات قلبها تلاحقها ببطء.
طاف الصمت فيما بينهما، اشراقت شمس اليوم
الجديد كانت كالبشارة اللطيفة، بانجراف علاقة
مروان" بالجوكر وكأنهم على موعد مع فرصة

سترمم الماضي بأكمله، خرج "مروان" عن صمته
أخيراً بكلماتٍ هاجمته منذ الوهلة التي قرربها
انقاذه:

_ليه مسبتهوش يقتلني ويحققلك مرادك..
بسمت صغيرة انجرفت على طرفي شفتيه، فأجابه
بثقة:

_عارف أيه مشكلتك يا "مروان"؟..
حدجه بنظرة ساكنة، فاستطرد الجوكر بهدوء:
_إنك مش شايفني غير عدو ليك، محاولتش تدي
لنفسك فرصة إنك تنسى اللي فات وتبدأ صفحة
جديدة، فاضية من حسابات الماضي بأحداثه..
رد مستنكراً لحديثه الغير منصف من وجهة نظره:
_وأبويا كان من حسابات الماضي برضه..!

أجابه بثبات وكأن ما قاله لم يهز شعرة به:
_"عمران" طول عمره ماشي في طريق وسخ والنهاية
دي كانت المتوقعة، الحقيقة بتفرض نفسها غصب

عنك وعن الكل..

صح كلماته بمفهومه الخاص:

_والنهاية دي مكنتش هتكون من غيرك صح..!
استدار برأسه للجهة الأخرى والابتسامته الساخرة
مرسومة على وجهه، فيبدو بأن طريقه معه شاق
للغاية، عاد لينتصب بوقفته وهو يجيبه بجديته:
_من غيري او بيا، فأنا عمري ما كنت هسمح لحد يهد
العيلة اللي سعيينا كلنا أنها تتوحد ولأول مرة..

ثم تنهد ليستكمل بوجع:

_أنا عشت عمري كله من غير نقطة ضعف، ويمكن
اللي غير تفكيري كده لما بقى ليا عيلة، صحيح
صغيرة بس خلتنى أقدر النعم اللي حواليا وأولها أنتم،
وعمران كان أكبر خطر بيهدد الروابط دي، أنا
أختارت أحارب بشرف، لوحدي ومن غير أي سلاح،
اتحملت الأسوء من الموت لوحدي وأنا سابق "رحيم"
ألف خطوة علشان لو جralي حاجة يكون هو بدالي

ميبقاش انا وهو مع بعض...

وتمهل قليلاً ليدرس تعابير وجه من يستمع إليه ثم

استكمل بحرص:

_أنا عارف أنه مهما كان فهو أبوك، بس صدقني لو

أبويا نفسه كان بيحاول يعمل اللي "عمران" عمله

كان هينال نفس الجزاء وبدون أي تردد، بص

حواليك يا "مروان" وهتشوف بنفسك عوض ربنا في

"ريان" اللي عاش عمره كله بيفكر فيك قبل نفسه

هتعرف أن ربنا عادل..

لمع الدمع بعينه، فخرجت كلماته متقطعة رغم

حدتها:

_بررت قتلک لأبويا علشان الموضوع يعدي، بس مش

هتقدر تبررلي خدعتك ومكرک علشان يارا ترسم

عليها الحب، أیه كنت بتربيني أنا كمان بأني أكمل

تعليمي..

ابتسم براحة وهو يخبره:

_ده اللي هي عارفاه..

انزوى حاجبيه بعدم فهم، فاسترسل ما قاله

بابتسامته الصغيرة موضحاً:

"يارا" طول عمرها وهي بتشوف أي حد بيقدملها
حاجة على أنها جميلة ولازم تترد، واللي "علي" عمله
معاها كانت شايفت الرد المناسب أنها تقبل تتجوز
منه، حاولت أفهمها ان في فرق بين الواجبات والحب
وأنها متسرعهش بس مكنتش بتسمعي، ويمكن
الي كان مهديني وقتها أن مكنش في حد في
حياتها لحد ما أنت ظهرت..

ضيق عينيه بصدمته، فأخبره "مراد" بالجزء الصادم:

_ابتديت لاحظ عليها علامات الحب اللي مكنتش
بشوفها في علاقتها بعلي، اهتمامها بالكلام عنك،
نظراتها، كل تصرفاتها كانت بتأكد ده، ولاني
عارفها أكثر من نفسها كنت واثق انها هتقتل الحب
الي جواها علشان توفي بدين الصداقة، فحببت

أدبها الفرصة الكافية أنها تقرب منك وتعرفك
وفي نفس الوقت هكون بدفعك انك تكمل
تعليمك وتكون إنسان ناجح، ومع الوقت اتأكدت أن
ظنوني كانت صح، ومبقتش تتكلم عن "علي"،
نسيته تماماً..

كاد فمه أن يصل أرضاً من فرط الصدمة، وخاصة
حينما أضاف "مراد":
_اللي عملته كان سببه حالة الارتباك والخوف اللي
هي فيها باتخاذ القرار المناسب غير كده مكنتش
هتكون في الحالة دي.

هوت دمعته خائنة من عينيه القاسية، فأقترب ليقف
جواره وهو يتساءل بصوته المتحشرج:
_أنت عملت كل ده!، وأنا بدل ما أشكرك دمرت
علاقتك بحنين...
ابتسم وهو يجيبه:

_مش منتظر مقابل أكثر من أنك تحافظ على

علاقتك بريان وبالي حواليك أما "حنين" فمتشالش
همها أنا عارف بعمل أيه....

وتركه وكاد بالرحيل، فتوقف حينما استمع لصوته
المتلهف:

"_مراد.."

وقف محله دون أن يستدير، فأسرع تجاهه ليقف من
أمامه وهو يردد بحسرة وبكلماتٍ ثقيلةٍ للغاية:
_سامحني يا "مراد"، على كل ذنب اقترفته في
حقك، الكره عماني عن اللي أنت بتعمله..
ربت على كتفيه بهدوءٍ، وكأنه تقبل اعتذاره،
كاد "مراد" باستكمالٍ طريقته، ولكنه تفاجأ به
يحتضنه في ودٍ ولأول مرة، ربت بيديه على ظهره بقوةٍ
وفرحةٍ تغلغت بداخله لتوضيح الأمور فيما بينهما..

شعرت بأصابعٍ تعبت بخصلاتٍ شعرها، يد تضغط برفقٍ
على يدها، ابتسمت بدلالٍ حينما تسالت رائحته

الخاصة إليها، فتيقنت بأنه لجوارها، فتحت "شجن"
عينها بتثاقل، لتقابل وجهه المنحني مقابها، حرك
إبهامه على خديها برفق وهو يعاتبها:
_ كده تخضيني عليكى بالشكل ده، أنا قلبي كان
هيقف أكثر من مرة وأنت مغمي عليكى ومش
بتتحركى، بس الحمد لله الدكتورة طمنتني
عليكى..

ثم قدم لها الدواء قائلاً بحزم:
_ يلا علشان تأخدي الدواء..
خرج صوتها المتحشرج وهي تجاهد لرسم ابتسامته
مرحة:

_ دكتورة وأدوية أنت لحقت تعمل كل ده أمتى..
أجابها وعينيه تتعمق بالتطلع إليها، فطبع قبلته على
جبينها يصاحبها قوله:

_ أنا متخيلش اللي ممكن اعمله لو شوفتك في
الحالة دي تانى..

ابتسمت بعشقٍ يناديه بطربٍ، فتعلقت عينيها به
بهيامٍ، عاد ليضع كبسولته من الدواء بيدها، فقالت
بضجر:

_مش مستاهلته كل ده، انا بس تعبت شوية من السفر
ومن زعلي على "حنين" اتلهيت عن ادويتي..
رد عليها بصرامته:

_شيلي اي حاجة من دماغك يا "شجن" أنت كده
بتأذي نفسك واللي في بطنك..

انساب الدمع من عينيها وهي تخبره بوجع:
_"حنين" صعبانة عليا أوي، اتخدعت في "مراد"
وكانت فاكراه أمانها، يطلع في النهاية هو اللي قتل
أبوها..!

أجابها في ثبات:

_هي متعرفش حاجة، مراد قبل ما يكون جوزها فهو
ظابط وله حقوق وعليه واجبات تتخطى أي حدود
العلاقات الشخصية..

سألته في ذهول:

_يعني أنت مش شايفه غلط..

تأمل عينيها بصمتٍ مطول، لينهيه بأجابةٍ ثقّة:

_لا مغلطش يا "شجن"، وبكره لما حنين تسمع

بنفسها الحقيقة هتقبل اللي مراد عمله..

ثم دأثرها بالغطاءِ جيداً وهو يشير لها بتحذير:

_مممكن تنامي بقي وتبطلي كلام كثير..

ابتسمت في استسلامٍ تام بداخل أحضانه الدافئة،

فسرعان ما سحبها النوم بردائه الثقيل، مسد يديه

ببطءٍ على خصرها حتى تأكد من إنتظام أنفاسها،

فتسلل بحرصٍ للخارج، ثم توجه ليرى أخيه..

مدد جسده على المقعد، ثم فرد قدميه على الطاولة

من أمامه، يعاد من أمامه المشهد من جديد بتذكر

كلماتها المحطمة لقلبه، عبث يديه بمفتاح الأنارة

المجاورة لمكتبه، فأطفأها ثم عاد ليشغلها من

جديد، التقطت اذنيه صوت لخطوات تقترب منه،

فقال وعينيه تتأمل الفراغ:

_لسه صاحي..!

ظهر "رحيه" من أمامه، فتمدّد على المقعد المقابل

له، قائلاً في ملل

_يفترض إني شريكك في كل حاجة ولا نسيت..!

بسمته ساخرة رسمت على وجه "مراد" الذي باغت

بقول:

_والشريك ده مكتفاش بنصيبه من النكد

هيتقاسم معايا مشاكلي كمان..

تمدّد برأسه على المقعد، ثم أغلق عينيه وهو يجيبه

بشبات:

_قولتلك طريقنا واحد سواء كنت حلف أو عدو..

علت صوت ضحكته الرجولية، فقال "رحيم"

بجدية:

_حنين مش من السهل تتقبل اللي حصل..

هز رأسه مؤكداً له بنبرته المؤلمة:

ولا هتقبل تسامعني فلاسف مفيش قدامي طريقة

تاتية غير اللي قولتها لك..

أوماً "رحيم" برأسه بتفهم، ثم أغلق عينيه بإرهاق تام، مرت أكثر من أربعون دقيقة ليالحق به الجوكر بسبات عميق، فتح الباب بحرص شديد، فدلف "طلعت" للداخل بهدوء حتى وقف أمام المكتب يوزع نظراته بينهما بسعادة ود لو أن يتطلع لهما عهداً كامل عله عوضهما عن حنان الأب المفقود، التقط الغطاء الخفيف من يد الخادم ثم وضعته على ابنائه بحنان..

تمدد "مروان" على الفراش بعينين تتأمل سقف الغرفة بضجر، فأستمع لطرقات خافتة على باب الغرفة، نهض بتكاسل ثم فتح بابه، فصعق حينما وجدها تقف أمامه، تفرك يدها بارتباك وباليدي الأخرى

تحمل صندوق الاسعافات الاولية، فقالت دون النظر
اليه:

_ممکن تسيبني أظهرلك الجرح.
جاس على المقعد باستسلامٍ لِيتركها تفعل ما تشاء
وعينه تتابعها بصمتٍ، ارتجفت أصابعها بارتباكٍ من
نظراته، وخاصةً بملامسة جرحه، نهضت من جواره
فور الانتهاء لتشير له بحزن:

_رصيدك بيخلص عند الكل يا "مروان" ، فوق
لنفسك وكمل حياتك مع البنت اللي تستاهلك..
وغادرت من أمام عينيه تاركته يكاد يغلي من فرط
العصبية التي استهدفتة، فشعر برغبته بأن يلحق بها
بأي مكان ستختاره حتى لا يسمح لذاك اللازم بأن
يقترّب منها..

عبث "مراد" بوجهه بانزعاجٍ حينما جرح وجهه
بأظافرٍ رفيعةٍ للغاية، فتح عينيه بضيقٍ شديد وهو

يحاول حماية وجهه من الضربات المجهولت التي
يتعرض لها، ابتسامته عدم تصديق رسمت على وجهه
وهو يرى آخر من توقع وجودها لجواره بهذا الوقت
بالتحديد، فردد في ذهول:
"ـمرين"، جيتي هنا ازاي؟!..

الفصل الخمسون...

حركت الطفلة يدها بتلقائية، وعينيها مساطرة
للأعلى، تلامست أظافرها الرقيقة مع وجهه، ففتح
عينيه بانزعاج تبدد تدريجياً حينما رأى أميرته
الصغيرة تتمدد على صدره في أريحية تامة، مرر
يديه على جسدها الصغير برفق وهو يتساءل بفرحة:
"ـمرين"، مين جابك هنا..!

إجاباته تشككت على حقلة دائرات صغيرة إفتعلتها
دخان القهوة الساخنة التي يرتشفها من يجلس جواره،
ليجيبه "رحيم" بهدوء تام:

ـالملاك الجميل ده لقيته مع المربية وأنا بلعب
رياضة الصبح فجبته معايا.
اعتدل بجاسته وهو يحملها بحنان، فرد عليه وعينه
مشغولة بتأملها:

ـأحلى صباح في الدنيا كلها..

وضع "رحيم" كوب القهوة على الطاولة المستديرة
القريبة منه، ثم اقترب بجسده تجاهه، فأمسك بيد
الصغيرة بين لائحتي يديه الصلبة، لترسم بسمته
صغيرة على وجهه رغماً عنه، فحك طرف أنفه
ليتساءل بتردد:

_بقولك يا "مراد"، هو كل الأطفال اللي في السن ده
صغيرين اوي كده..!

تأمله "مراد" قليلاً، قبل أن ترتفع صوت ضحكاته
الرجولية، ليحييه بصعوبةٍ بالتحكم بانفعالاته:
_مش عارف بصراحة، يمكن لأنها اول عينته فأن شاء
الله المرات الجاية يكون عندي الخبرة الكافية
اني أجابك.

حدجه بنظرة صلبة، ليسأله بحدة:
_مرات!، هو أنت ناوي على ربع دستة ولا أيه؟..
حمل "مراد"، "مرين" بحنان ثم وضعها على قدم
أخيه، فبدى غير مرحب بالفكرة، رفع "رحيم" يديه

وهو يحاول جاهداً التعامل مع الصغيرة، فعلى ما يبدو
لا يحسن حملها بعد، التتقط "مراد" يديه اليمنى
ليضعها على جسد ابنته وهو يخبره باستحسان بعد ان
ابتعد عن المقعد ليحملها رحيه بمفرده:
_شوقت، الموضوع بسيط.

تأملته من تقف على عتبة باب الغرفة بقلب يرفرف
بسعادة لا مثيل لها، لا تنكر بأنه ولد بداخلها شعور
بالقلق والخوف من تعامل "رحيم" مع صغيرها، نعم
تحسن معها ومع الجميع ولكن طباعه مازالت حادة
وان يكن يبذل اوسع ما بجهد، ابتسمت بسعادة
كبيرة منذ سماعها حديثه مع أخيه إلى ان رآته
يحملها بمفرده ونظرات الحنان تلمع بزيوتونية عينيه،
خشيت بان يلتقطها وهي تراقبه هكذا، رفعت يدها
تطرق باب الغرفة لينتبهوا إليها، استدار كلا منهما
تجاه الباب، فأشار لها "مراد" قائلاً:
_تعالى يا "أشجان.."

دلّفت للداخل بخطواتٍ بطيئةً، وعينيها متعلّقة
برحيم و"مرين" رغباً عنها، فقال ما ان رأها أمامه:
_أيّه اللي خلاكي تقومي من السرير، مش الدكتورة
منبه عليكى أنك ترتاحي..!
أجابته على استحياءٍ من وجود مراد بالغرفة:
_متقلقش انا كويست..

ثم توجهت لتقف مقابل أخيه، قائلّة في ارتباك:
_انا كنت جايتة أتكلّم معاك شويّة يا "مراد"، في
موضوع "حنين"، أنت عارف أنها زي أختي وأنا مش
قادرة أشوفها كده صدقني اللي هي فيه ده صعب
عليّ قبل ما يكون صعب عليها، أنا اتعودت اشوفها
بتضحك على طول أول مرة اشوفها في الحالة اللي
هي فيها دي..

بالرغم من الآلام التي غلّضت قلبه لسماع كلماتها
المعبّرة عن استيائها لشيئاً يخص محبوبته، إلا أنه

قال بحكمةٍ لم تتخلى عنه أبداً:

_مقدر الي أنت فيه يا "أشجان"، بس صدقيني حنين
متعرفش غير نص الحقيقة بس، متعرفش انا ورحيم
والي زينا واجهنا أيه من ورا ابوها، متعرفش هو قتل
كم نفس ولا أتسبب في اغتصاب وبيع كام بنت
وغربتهم عن أهاليهم، انا مش ندمان اني أقتلته لو
رجع بيا الزمن لورا هقتله تاني..

كلماته المختصرة عن ما تسبب به الوزير من جرائم
فاضحة جعلت الصدمة تتعمق بأحتضانها، فتحولت
نظراتها لزوجها فتذكرت كلماته التي اخبرها بها
أمس، لوهلةٍ شعرت بالأرتياح بان ثقتها به لم تهتز
أبداً؛ ولكنها لم تأتي إلى هنا لقضيتها، استجمعت
شجاعته البالية وهي توجه حديثها للجوكر الذي
يتابع تأمل تعابيرها الشاردة بأخيه باهتمام:

_اي واحدة فينا بتتمنى وقت زعلها من شخص غالي

على قلبها أنه ميبعدش حتى لو هي طلبت ده، بتبقى
عائزاه يبرر هو عمل ليه كده حتى لو هينكرده،
فياريت يا "مراد" متسبهاش لوحدها، خليك جانبها..

منحها بسمت صافية، لطالما كان يتعجب من
الكمية الغريبة التي جمعت زوجته المشاكسة
بزوجة أخيه العاقلة، فهي الآن يعلم بأن كلاً منهن
تكمل الأخرى، لم يستاء بتدخلها بما لا يعانها بل
سعد كثيراً بالنصيحة التي قدمتها إليه، حتى
"رحيم" كان يظن دائماً بأن الخوف يملكها أينما
ذهبت، فكان يراها على الدوام بمفردها، لا تحبذ
الاختلاط بالفتيات أو بأحداً من القصر، يراها دائماً
بصحبة والدته أو بصحبة "حنين"، فحتى أعظم
المشاكل لم تتدخل بها فكانت بعيدة كل البعد،
أما الآن فيراها بشكل آخر، وكأنها تزيج كل
الخطوط تدريجياً.

خرج "مراد" عن صمته حينما قال بابتسامته تقدير لها:

_أوعدك ان سوء التفاهم هيتحل وقريب أوي.
منحته ابتسامته صغيرة، ثم اتجهت لرحيم الذي يتابعها بثبات، انحنت قليلاً لتمرر أصابع يدها على وجه "مرين" بابتسامته مشرقة سلبت لب العقل قبل ان يخفق قلبه لها بجنون، حملتها من يديه وهي تشير له بهدوء:

_شكلا جعانة، هجهزها البيبرونته.
وتركتها وغادرت الغرفة وهي تداعب الصغيرة بسعادة واشتياق لحمل صغيرها..
استدار برأسه ليتابع طيفها المغادر للغرفة، فاستفاق على صوت "مراد" الساخر:
_أسطورة، روح فين...!

منحه نظرة غاضبة، فجلس لجواره وهو يخبره بلهجة جادة:

_تفتكر لو ابنك طلع بطباعك دي حد هيجبه..!
اجابه بنفس بصرامته لا تتناسب مع لهجة الآخر:
_لا.

اكتفى الجوكر برسم بسمته صغيرة، ليقول وهو
يرتشف من كوب قهوة "رحيم":
_بقول كده برضه..

احياناً المزح يكون وسيلة للترفيه بين الأصدقاء
ولكن المزح فيما بينهما جادي للغاية حتى انه
يفشل بمنحهما صوت الضحكات المنتظر...!!

بغرفة "حنين" ..

ولجت "نجلاء" للداخل بصينية المشروبات الباردة،
لتقدمها للفتيات بعدما اجتمعن بغرفة "حنين"
ليحاولن اقناعها في المشاركة بطقوس زفاف
"فاطمة"، ناولت "نجلاء" الكوب لفاطمة فرفضت أن
تلتقطه منها، فقالت بضجر:

_أشربي يا بنتي كده ده النهاردة فرحك عايزينك
تفرحي كده..

فهمت مغزى حديثها الماكر، فأجابتها بحزنٍ مصطنع:
_وأفرح ازاي وحنين مش راضية تخرج من أوضتها ولا
راضية أنها حتى تحطلي الميكب..!
قالت "سارة" بمرحٍ بعدما نهضت عن مقعدها لتجلس
جوار "حنين":

_مين ده اللي مش راضية، دي "حنين" ما بتصدق حد
يتجوز علشان تمكيجه مش كده ولا أيه..!
رسمت بسمت صغيرة على وجهها، فقالت "ريم" هي
الأخرى:

_لا أحنا كلنا عايزين نتمكيج يا حنون، عايزين
فرشته شمال وفرشته لمين، ظبطينا كده..
تعاليت الضحكات بينهما، فقالت "سما" باستهزاء:
_أنتي بالذات متتكلميش خالص، بقى بعد ما
ساعدنكي امبارح منشفش حتى حتة جاتو طول

عمرک معضنة..

تداخلت "نعم" بالحديث الساخر:

_قال يعني عبرت أختها اللي سهرت طول الليل تشرف

على عمايل التورتة والحلويات..!

نهضت "ريم" عن الأريكة لتتوسط بيدها خصرها:

_جرى أيه يا ولية منك ليها انتوا سيبتوا مهمتكم

وفوقتولي، إن كان على التورتة والساقع فهناكل في

حفلة البت فاطمة كمان ساعتين..

رددت "فاطمة" بضيق ساخر:

_واطية من يومك..

صاحت "منة" بعصبية:

_يا بنات في الاله من الاكل والشرب أحنا لسه

مجهزناش اللبس وبنضيع وقتنا في الفاضي..

أجابتها "سلمى" بتأكيد:

_اه والله معاك حق، الرجالة بتلبس في دقائق وأحنا

هناخدلنا ساعتين تلاتة علشان نعجب، مش كده ولا

ايه يا نوجت..

اجابتها نجلاء بابتسامتٍ بشوشة:

_انتوا قمرات من غير حاجة يا بنتي..

تساءلت "سارة" باستغرابٍ وهي تتفحص الغرفة:

_محدث شاف "صباح" يا بنات، مش باينته من

الصبح..!

استطردت "نغم" بذهول:

_ولا حتى "اشجان" مش باينته..!

فتح الباب، لتطل من خلفه وهي تجيبها ببسمته

واسعة:

_أنا أهو..

ولجت "أشجان" للداخل، لتضع "مرين" بين يدي

"نجلاء"، ثم اقتربت من "حنين" التي تمسكت بيدها

وهي تسألها بلهفة:

_الدكتورة كانت عندك امبارح ليه..!

لمعت الدموع بعينيها، فعلى الرغم مما تمر به الا أنها

لم تنساها، ربّت على ذراعيها الممدود على يدها
وهي تخبرها في ود:

_مفّيش يا حبيبتي تعبتي بس امبارح بليل شويت.

تساءلت "نغم" في اهتمام:

_ليه يا قلبي، مالك بس..!

اخبرتها بابتسامته صافية:

_مفّيش والله، انا احسن كثير الحمد لله..

ثم تطلعت لحنين قائلة بحزن:

_ايه يا حنون مش هتمكي جيني مع البنات ولا ايه؟..

تعالت ضحكات "حنين"، لتحتضنها بقوة ودموعها

تنسدل باصطحاب ضحكاتها، فعلى الرغم من

استياء "شجن" من مستحضرات التجميل وخاصة حينما

تصر "حنين" في كل مناسبة أن تزينها الا انها

تطالبها بذلك الآن لتخرجها مما هي به، التفت

الفتيات من حولهن ليحتضن بعضهن بمرح، فابتعدت

"حنين" عنهما لتسرع لخزانتها فأخرجت علبة

ضخمة من المكيب ثم وضعتها على السراحة لتشير
لهن بحماس:

_ها مين حابة تحط البوهية الأول..

انفجرت الضحكات فيما بينهما حتى "نجلاء" تمددت
على الفراش من فرط ضحكاتها، لتهمس بعدم
تصديق:

_الله يجازيكي يا "حنين"..

قطعت "حنين" ضحكاتهم حينما قالت في توتر:
_بنات، بصراحة في حاجة كده عايزة أقولها لكم
بس تمسكوا أنفسكم..

رددت "شجن" في خوف:

_حاجة ايه دي..!

عبثت بأصابع يدها وهي تردد بارتباك:

_لما "مراد" رجع من السفر، آآ.. يعني أنا... آآ..

مكنتش عاملة حسابي وكده..

ضيقّت "ريم" عينيها بعدم فهم:

_حد فهم حاجتہ!

أشارت لها "سلمى" نافيتہ، فاستجمعت "حنين" شجاعته
لتنطق بسرعة الصاروخ:

_انا حامل..

صعقت الفتيات، فرددت "منة" في دهشة:

_حامل ازاي يا بنتي، ده بنتك لسه مكملتش
شهور..!

أجابتها بخجل شديد:

_ما أنا قولتلك مكنتش عاملت حسابي وكده..
قالت "سما" بقلق:

_بس أنتي لسه والدہ قيصري يا "حنين" والفترة بين
الجراحة والجراحة مش كبيرة فكده مش مؤلمة
ليكي او خطر..!

تملكها الرعب فتساءلت بخوف:

_خطر ازاي يعني هموت ولا أيہ يا بت؟..

تعالت الضحكات فتداخلت "نجلاء" قائلة:

ولا موت ولا حاجة يا بنتي، على أيامنا الواحدة مننا
كانت بتبقى حامل على السبوع..

تساقطت الفتيات أرضاً من فرط ضحكاتهن، حتى
"شجن" لم تتمالك ذاتها فجلست على الأريكة
حينما لم تعد قدميها تحملها، غلف قصر "طلعت
زيدان" المهجور وابل من الضحك والسعادة التي حرم
منها لسنوات، سعادة لم تنشأ لعداءٍ أو لصراعٍ، بل
ولدت بينهما بالحب والترابط الذي جدد روابط
القلوب..

عادت لطلب رقمه للمرة التي تعدت الثلاثون مرة دون
ملل، قلبها يكاد ينشطر من فرط القلق، حتى أنها لم
تنتبه لطفلها الرضيع الذي يبكي على ذراعيها، لم
تجد "صباح" حل آخر إختياري أمامها، لذا ارتدت
جلبابها الأسود ثم عقدت نقابها لتخفي وجهها جيداً،
لتسرع لغرفة "ريان" حتى تخبره بغياب شقيقه،

طرقت على باب الغرفة اكثر من مرة، ففتح من
بالداخل عينيه بانزعاج شديد، فهمس بنوم:
" _سارة" ، شوفي مين.

وحيثما لم يستمع لصوتها، تحسس بيديه الجانب
الأخر للفرش فلم يجدها لجواره، جذب "ريان"
قميصه الموضوع على الكومود المجاور للفرش،
فارتداه وهو يفرد خصلات شعره بأصابع يديه، فقال
بانزعاج:

_حاضر.

فتح الباب وهو يحاول فتح عينيه، فردد باستغراب:
" _صباح..!"

غامت عينيه على الصغير الباكي بين يديها، فحمله
ليتساءل بقلق وهو يتفحصه:

_تعبان ولا أيه؟..

أجابته سريعاً:

_لا "جان" كويس..

ثم قالت بصوتٍ باكي:

"إياد" مرجعش من إمبراح وبكلمه موبيله مقفول من

إمبراح، أنا قلقانة أوي عليه..

طمناها رفقا بحالها:

إهدي بس الأول، اكيد بايت في الشغل أو مع حد من

اصحابه...

هزت برأسها لتنفي هذا الاقتراح:

لأ، عمره ما عملها.

قدم إليها الصغير، قائلاً وهو يجاهد بأخفاء القلق

بثباتٍ لهجته:

متقلقيش، انا هشوف جان عنده شغل معاه ولا لأ ولو

مش معاه هتصرف متقلقيش..

همست برجاء:

لو لقيته ابقى اتصل بيا يا "ريان" بالله عليك..

أجابها بعدما التقط جاكيتته ليرتديه على عجلته من

أمره:

_حاضر، بس اهدي انتي بس وأهتمي بـ"جان.."
وتركها وأسرع بالرحيل، فدعت الله ان لا يصيب
زوجها بالسوء، وكأنها تعلم بأن هناك خطب ما
يستدعي القلق!

*****.

جلس بالحديقة يرتشف عصير البرتقال الطازج،
وبيده الأخرى يتفحص جريدته، ربما الارتياح النفسي
الذي يشعر به جعل آلام بدنه تتبدد كلياً، شعر
"طلعت" بأنفاسٍ أحداً لجواره، فأخفض جريدته
ليتفاجأ حينما وجد "رحيم" يجلس على المقعد
المجاور إليه، يتأمل أحد المجالات الموضوعت من أمامه
بصمتٍ قاتل، ارتسمت بسمته اللفظة على وجه "طلعت
زيدان"، فناده بحب:
_فريد...!"

بسمتهٍ ساخرة تسالت على طرفي شفتيه، فقال وما زال

يتأمل الجريدة من أمامه:

_الاسم ده بقى بالنسبالي غريب..

رد عليه " طلعت " بحيرة، عله يجهل ما يضايق ابنه:

_يعني بيضايقك ولا بيفرحك..

وضع المجلة عن يديه، ليجيبه باتزان:

_مش هتفرق بالنسبالي اد ما هيكون راحة للي

حواليا بأن "رحيم" لسه عايش..

سكن الحزن ملامحه لتذكره ابنه الراحل، فقطع

صمته المطول حينما قال:

_من النهاردة هناديك "فريد.."

التقط أنفاسه على مهل ليضمن استحواذه على اعصاب

من يتابعه، فتحرك فكيه ناطقاً:

_قولتلك مش هتفرق معايا، لانه بالآخر أخويا ولا

أيه..!

أنارت السعادة وجه " طلعت " البائس، فأجابه بصوتٍ

حنون:

_صح يا ابني.

هز "رحيم" رأسه بثبات، ثم انتصب بوقفته ليغلق زر

بذلته السوداء ليخبره بغموض لهجته:

_الدنيا كانت برد امبارح، شكراً على اللحاف..

وتركه وغادر فازدادت ابتسامته "طلعت" بسرور،

وعينه تتابع ابنه الذي يغادر لسيارته.

جلست من أمامه وهو تحاول التهرب من نظراته

المتفحصة لحالتها، وجدته يتطلع لها بصمتٍ قطعه

هي بتذمر:

_ممکن تبطل تبصلي كده!

ردد ببرود:

_حاضر..

ثم تناول الشطائر من أمامه بهدوءٍ أثار استغرازها،

فصاحت بضيق:

"_مراد...!"

أكمل تناول طعام افطاره ببرود، متعمداً تجاهلها،
فزفرت "يارا" بانزعاج، وكأنها تحاول التحكم
بقنبلة ستنفجر بأي وقت، فقالت بعصبية:
_ هو احنا جايين نفطر بره القصر علشان تسكت..!
بسمتة مأكرة اجتازت شفتيه، فقد وصل لمبتغاه وقد
اوشكت على المشارف، استكمل تناول طعامه وهو
على ثقة تامة بأنها ستنفجر بما يعتليه قلبها، فما
لبثت سوى دقيقة حتى قالت بانفعال:
_ أنت السبب في كل اللي انا فيه ده، أنت اللي خلّاتني
ألعب على "مروان" علشان أساعده، وغصب عني نسيت
"علي" اللي المفروض خطيبي..!
ردد وهو يلوك طعامه باسترخاء:
_ طيب وأيه المشكلة ما تتجوزي "علي" وتسافري
معا، مهمتك خلصت خلاص..!
حدجته بنظرة قاتلة، فصرخت بعصبية:
_ أنت بتتكلم ببرود كده ازاي، أنا حبيت "مروان"

وآآ..

تخلت عن باقي كلماتها حينما نطقت عما تخفيه
بداخل قلبها، ترك "مراد" الشوكة والسكين عن
يديه ليشير لها بجديّة تامّة:

_بالضبط، ده اللي بحاول أوصاهولك..

انسدت دمعته خائنة من عينيها، فقالت دون النظر
إليه:

_مينفعش يا "مراد"، "علي" له أفضال عليا كتير وأنا
مينفعش أنكرها أبداً، كان على طول جانبي في
الوقت اللي بحتاجه وأنا لازم أرد له جزء من أفضاله
عليا بأني أوافق على أول طلب يطلبه مني..
حدجها بنظرة شاملة قبل أن يكون بثبات:

_الصداقة عمرها ما كانت دين يا "يارا"، الصديق
اللي يقدم خدمة أو اي شيء يقدر عليه وينتظر رد
على اللي عمله ده ميبقاش صديق، الصداقة ليها
واجبات وأهمها انك تكون جنب صديقك في أي

وقت يحتاجك فيه، للأسف أنتِ فاهمة الصداقة
غلط..

تدقق الدمع بعينيها وهي تستمع إليه، فاسترسل "
مراد" حديثه بهدوء:

_من البدايه وأنا شايف نظرات الإعجاب لمروان في
عيونك علشان كده اديتك الفرصة دي، حاولي
تستغليها صح يا "يارا"، بلاش تحطي عقلك وقلبك
في مقارنة لانك انتي اللي هتدفعي التمن..
وأخرج المال من جيبه ليضعه على الطاولة، ثم أشار
لها بحزم:

_فكري كويس اوي ومترجعيش القصر غير وأنتي
أخدة القرار اللي شايفاه مناسب، بس خليك
متأكدة أن أي قرار هتأخديه مش هياثر على حد
غيرك..

وغادر "مراد" ليترك لها سيارة خاصة بالسائق الخاص
به، ثم عاد للقصر لينفذ مهامه الأخير ليرمم جراح

محبوبته..

*****.

بفيلا "عباس صفوان.."

زينت بشكلٍ مبهجٍ لتليق باستقبالٍ أحدى حفيدات
عائلات "زيدان"، حيث تم العمل على أفخم ما يكون،
امتلات الأجواء بصوتِ الموسيقى الهادئة بعدما وزع
العمال المقاعد المزينّة بالستان الأبيض حول
المسبح العملاق، لتقابله المنصة التي تعمل الشزلونج
المذهب ليزيد من فخامتها، مياه المسبح شملتها
البلاطين البيضاء..

بالأعلى وخاصة بغرفة "يامن.."

عاونه "جان" على ارتداء جرفات البذلة السوداء،
فأغلق الجاكيت جيداً ثم أشار له باعجاب:
_بقيت شبه العرسان أهو..

انزوى حاجبي "يامن" بسخط:

_أمال انا أيه؟!..

تعالت ضحكاته، فانتصب بوقفته ليشير له

بسخرية:

_أيه يا عم هتشوف نفسك علينا ولا أيه؟!

ابتسم "يامن"، فقال بجديّة وهو يربت على كتفيه:

_شكراً لأنك اختارت تكون جانبي في اليوم اللي

المفروض تكون فيه جنب أختك.

رد عليه "جان" بضيق:

_وأنت أيه يعني ما أنت اخويا وصاحبى..!

ازدادت إبتسامته، فأشار له "جان" بجديّة:

_يلا جهز نفسك علشان هنتحرك..

أوماً برأسه بخضرة، فغادر من امام عينيه، اما "جان"

فتلاقى رسالته "ريان" بتسائل بها عن "إياد"، فأجابه

بأنه غادر الشركة بالأمس بالساعة الثانية مساءً

موعدہ المعتاد، ومنذ ذلك الحين لم يجتمع به..

ازداد قلق "ريان" على أخيه، فحاول أن يخلق حجة بأنه

يلتقي بأحد من أصدقائه حتى لا يتوقف قلبه من

قسوة الافتراضات المقترحة.

عادت "يارا" للقصر، فتحركت بها السيارة تجاه قصر
"طلعت زيدان"، أشارت له سريعاً بالتوقف حينما رأت
مروان "يقف بحديقة قصره، فهبطت لتقترب منه
سريعاً، كان يقف بجوار إحدى الأشجار، يتأمل الأزهار
من أمامه بنظرة شاردة، وكأنها تذكره بأحدٍ غالي
على قلبه، خيل له بأنها تحمل مصباح سحري حينما
التقت أذنيه صوتها يناديه، فاستدار ليجدها تقف
أمام عينيه، بللت شفثيها بلعابها، فقالت بارتباكٍ
ملحوظ:

_جرحك بقى كويس..

وقف يتطلع لها بنظراتٍ صامتةٍ، يتعمق بالتطلع
لعينيها، يتشبع منها قدر ما تمكن وكأنه يشعر بأن
الفراق حتماً سيمزق القلوب، انسحبت عينيه عنها
ليتطلع خلفها بنظرةٍ ساكنةٍ جعلتها تستدير،

فصدمت حينما وجدت سيارة "علي" تقترب منهما
حتى توقفت على مسافة قريبة منهما، هبط منها
"علي" ثم أسرع ليقف مقابها والغضب يتراقص
بحرافية بعينه، فقال بعصبية بالغة:
_ خلاص يا "يارا" لهننا وخلص، مفيش قدامك غير
الاختيار، يا تيجي معايا حالا نسافرن ونتجوز يا
تخليكي هنا وبكده هتكوني اختارتي البني آدم
ده...

وتراجع "علي" للخلف ليفتح الباب المقابل لسيارته
ليشير لها بالجلوس، فرض عليها الاختيار ويا ليتها
كانت صريعة في تلك اللحظة البائسة، تقف
بمنتصف الطريق بين سيارة "علي" وبين "مروان" الذي
يحدجها بنظرات صامدة، وكأنه يعلم من ستختار
لذا تعايش على الاعتياد دون وجودها بحياته، أغلقت
فمها بيدها تكبت شهقات الألم الساكنة بأضلاعها،
نظراتها تتوزع بين محبوبها الساكن وباب السيارة

المفتوح من أمامها، وكأنها اتخذت القرار بعد دقائق مطولت، فاستدارت لتقترب من السيارة، فرسمت بسمته انتصار على وجه "علي" الذي يرمق "مروان" بنظرات منتصرة، شامتة، لم يحتمل "مروان" رؤياها وهي تغادر من أمام عينيه، أراد أن يحتفظ بما تبقى بقلبه الذي لم يلتئم جروحه بعد، فولج لداخل القصر.

تلاشت بسمته حينما أغلقت "يارا" باب سيارته لتخبره بدموع هبطت كالشلال:

_بحبه يا "علي" ، بحبه ومش هقدر أنساه، لو ركبت معاك هكون بظلمك أنت لأنني مش هقدر أشوفك ولا هقدر أشوف حد غيره..

ثم تراجعت بظهرها للخلف وهي تهمس ببكاء:
_أرجوك سامحني...دور على اللي تستحقك وتستحق حبك ليها..

وركضت من أمام عينيه حتى لا تضعف عزيمتها بالقرار الذي اتخذته بعد تفكيراً طويلاً منحها إياه

"مراد" ، ولجت لداخل قصر "مروان" ثم أغلقت الباب
لتستند على جسده ببكاءٍ حارق، صعد "علي" من
اختيارها ورغم ألم قلبه العميق إلا أنه كان يقدر
اختيارها له، صعد للسيارة ثم غادر من القصر بعدما
تأكد بأنه خسرهما للأبد، بداخله جرح عميق يحتاج
لوقتٍ لطيبه، ربما شهر أو عام ولكنه بالنهاية
سيشفى..

أغلق "مروان" عينيه بقوةٍ تعتصر الدمعة التي تهاوت
دون إرادة منه حينما استمع لصوت السيارة تغادر من
القصر، ظن أنه ألم الوداع فحتى وداعها لم يحظى به،
ضغط بيديه بقوةٍ على ذراع المقعد فكادت بتحطمه
وعينيه مازالت مغلقة، شعر بأصابع مرتجفة تلامس
يديه الصلبة، ففتح عينيه على مهل وهو يحاول إلا
يضع افتراضات قد تهلكه، صعد حينما وجدها تقف
أمامه، بوجهٍ باكي، ازدرد ريقه بصعوبةٍ بالغة وهو
يحاول استيعاب ما يراه، أكان هو اختيارها؟؟!!

وقف مقابلا وهي يتطلع لها بصدمته لم تكسر بعد ،

فرددت بصوت مرتعش:

_أنا مقدرش أكون لحد غيرك أنت، لأنني بحبك

أوي يا "مروان.."

احتضنها بعدم تصديق كونه اختياراتها، فبكت

بانهايار، خرج صوته أخيراً وهو يردد:

_مكنش جوايا أمل انك ممكن تختاري حبنا يا

يارا.."

تشبثت به وهي تجيبه ببكاء:

_معرفش ازاي كنت هعمل كده بس الحمد لله

"مراد" فوقني في الوقت المناسب..

ابتعد عنها وهو يردد ببسمته مشرقة:

"_مراد...!"

هزت رأسها، فقال وما زالت الإبتسامة مرسومة على

وجهه:

"_مراد" شخص عظيم..

تعجبت لسماع هذا الجزء المتعلق بمدح "مراد"، فقال
وهو يتمسك بيدها:

_متستغريش يا "يارا" في حاجات كثيرة مكنتش
قادر أفهمها وفهمتها..

ابتسمت بفرحةٍ، فأشارت إليه بمشاكسةٍ:
_طيب أيه، مش هتأخذ خطوة جدية بقي..
_لا الخطوة دي عليا أنا..

استدروا سوياً تجاه الصوت القادم من خلفهما، ليظهر
"ريان" من أمام أعينهم، تلون وجه "يارا" خجلاً،
وخاصة حينما اقترب منهم "ريان" ليستكمل
بابتسامته هادئة:

_هكلم "مراد" يحدد لنا معاد مناسب للجواز قبل ما
تغيروا رأيكم..

اجابته "يارا" ببسمةٍ ساخرة لمعرفة مقصده من خلف
كلماته..

_أنا عن نفسي مستحيل هغير رأيي..

أشار لها باعجاب:

هايل...

ثم تطلع لمروان بانتظار رأيه هو الآخر فوجده
يطالعه بنظراتٍ متكثفةٍ، مازال يشعر بالخرج مما
ارتكبه بحقه، أستأذنت "يارا" بالمغادرة لتستعد
للزفاف، فوقف "مروان" مقابل أخيه بتوتر لا حظه
الأخير ققاطع صعوبة حديثه حينما قال:
_متعتذرش على حاجتي يا "مروان"، أنا مش زعلان
منك أبداً.._

احتضنته "مروان" بحب أخوي يشعر به تارة وتارة يشعر
تجاهه بحب أبوي لا يتناسب مع سن ريان، عاد هاتفه
ليدق من جديد، فرفعه في لهفةٍ بددت حينما استمع
للطرف الآخر الذي أخبره بأنه لم يرى "إياد" هو
الأخر، لاحظ "مروان" توتره فتساءل باستغراب:
في أيه يا "ريان"؟..

رد عليه والخوف يصاحب لهجته المتقطعة:

_إياد مرجعش البيت من امبارح وقافل موبيله، مراته
قلقانه عليه وأنا مش عارف اعمل ايه..
صمت قليلاً وكأنه متردد في قول ما يريد، فقال ما
حجب على طرف لسانه:
_هتلاقيه رجع للزفت اللي كان بيشر به..
هز برأسه باعتراضٍ على ما قاله:
_مستحيل يعمل كده، في حاجة غلط.
وحك جبينه بانفعالٍ ثم قال:
_خد "فارس" وأقلب عليه الدنيا ومرتجعش غير
وأخوك في ايدك، فاهم؟..
أوماً برأسه في هدوءٍ ثم غادر على الفور، جلس ريان
على المقعد المجاور له وعقله يكاد يتوقف من
الخوف.

اللون الأبيض يرمز للنقاء، لونٍ مميز يليق بعروسٍ تزف
بمحبةٍ لتحمل التفاءل لحياةٍ من أحبها وأختارها

بعنايةٍ لتكون زوجةً له، وقفت "فاطمة" تتأمل ذاتها
بدمعةٍ فرح تلمع بحدقتها اللامعة، عدلت "شجن"
من طرحة الفستان لتشير لها بابتسامةٍ صافية:
_زي القمر يا روح قلبي، ربنا يسعدك يارب..
احتضنتها "فاطمة" ثم استدارت لتحضن "حنين"
التي بدورها ترتب مساحيق التجميل الخاصة بها
بعدما انتهت من تزيينها، لتشكرهما "فاطمة" قائلة:
_بالرغم من الحالة النفسية اللي كنتي فيها الا
انك كنتي جانبي لأخر لحظة، وأنتي يا اشجان انا
عارفة انك تعبانة وبرضه مش سيبتيني.
ربتت "شجن" بيدها على خصرها وهي تخبرها بعتاب:
_متقوليش كده يا "فاطمة"، احنا أخوات..
جذبتها "سارة" لتستدير اليها، فنثرت البرفنيوم على
فستانها قائلة باعجاب:
_يامن "هيالم قدامك، قمر ما شاء الله..
ابتسمت بخجلٍ، فتداخلت "سلمى" بحديثهما المرح

قائلة بغمرة مأكرة:

_يا ستي لما يتقفل عليهم باب يبقى يبلم براحته..
تعالت ضحكاتهم وخاصة حينما حدجتها "فاطمة"
بنظرة قاتلة، انتبهوا جميعاً لصوت "نجلاء" حينما
ولجت للداخل وهي تردد بانبهار بنظرات تفرقت
بينهن جميعاً:

_بسم الله ما شاء الله، أيه الجمال ده كله، ربنا
يحفظكم جميعاً من العين يارب..
جذبتها "حنين" للمقعد المقابل للسراحة، قائلة
بمشاكسة:

_ايه ده يا نوجت، ده لبس و لفة طرحة في يوم زي
ده..

جذبت "منة" بعضاً من مساحيق التجميل، بينما
اسرعت "سما" لغرفتها لتنقي لها ما يليق بها، أما "يارا"
فاختارت الحجاب المناسب بها، اقتربوا منها معاً شارح
لهما وهي تردد بتحذير:

_اللي هتيجي جانبي هي حرة، انتوا اغلبكم حوامل
وأنا هضرب مش هيهمني، انا لبسي عجبني كده
ركزوا مع نفسكم.

تجاهلوا تعليماتها والتفوا من حولها ليشكلوا حلقة
دائرية انتهت باللمسات الاخيرة التي وضعتها "شجن"،
تطلعت "نجلاء" لذاتها بالمرآة بصدمة حقيقية،
فكانت كالفتاة التي لا تتجاوز عمرها الثلاثون
عاماً، جسدها الرفيع منحها نفس الاطلالة الموحدة
للفتيات من حولها، وضعت يدها أمام وجهها وهي تردد
بضيق:

_أيه ده الناس تقول عليا ايه، ده انا ابني اطول مني
شيلي الهباب ده يا بت منك ليها..
أشارت لها "نغم" بابتسامته مشرقة:

_زي القمر والله يا ماما "نجلاء"، بابا شكله هو اللي
هيفظفك من الحفلة، مش كده ولا أيه يا بنات..
تعالت صيحاتهم المؤكدة على حديثها، فابتسمت

نجلاء" على حديثها، تعالى صوت طرقات متتالية على باب الغرفة، ففتحته "يارا" لتجد "سليم" يقف أمامها،
فرفع صوته لتستمع له العروس:

..يا يا "فاطمة"؟..

لوهلة توقف قلبها عن الخفق، لا تداري وجع لهجر منزلها أم خوفاً من اقتراب خوضها لتجربة جديدة،
خرجت بخطوات متثاقلة لتضع يدها بين يد "سليم" الذي وكله بمهام تسليمها لعريسها، خطف نظرة سريعة للداخل ليجد مبتغاه حينما وجد "ريم" مقابله تبتسم له بحب، منحها ابتسامة عاشقة ثم انتصب بوقفته ليتحرك بها للأسفل، لتجده ينتظرها بنهاية الدرج، يشيعها بنظرات إعجاب فعروسه يجذب الأنظار بجمالها المشرق، استلم يدها من يد "سليم" ثم تحرك بها لسيارته فعاونتها "منة" على الصعود بفستانها المتدلي، صعدت كل فتاة بسيارة حبيبها ليلاحق كلاً منهما خلف سيارة "يامن"، وقف

طلعت "ينتظر" نجلاء" بضيقٍ من تأخرها الملحوظ،
فافتربت منه باسمته، ازاح عينيه عنها وهو يتفحص
الدرج باستغراب:

_هي "نجلاء" راحت فين؟..

لوت شفتيها بغضبٍ، فتعالت ضحكاته وهو يشير لها
بعدم تصديق:

_مش ممكن أنا افتكركتک واحدة من البنات والله..
أجابته في ضجر:

_مش هتبطل بكش أبداً، بقيت جد ولسه شايف
نفسك شاب عشريني.

قال من وسط سيل ضحكاته:

_والله أنا خايف حد يطلبك مني على اساس اني
أبوكي...!!

شاركته الضحك ثم هبطت لجواره، فاسرع الحارس
بفتح ابواب السيارة لكليهما..

هبطت "شجن" بصحبة "حنين"، فشعرت بدوار خفيف
يهاجمها، تمسكت "حنين" بيدها وهي تسألها بقلق:
_ أنتِ كويسة يا "أشجان"؟..

اجابتها بتعب:

_ حاسنة انا داخنة أوي وحاسنة أني مفيش أعصاب
خالص.

اقتاحت عليها سريعاً:

_ لو تعبانة نخلينا أفضل..

أشارت له باعتراض، معللة سببها:

_ "فاطمة" هتزعل، خليك بس جانبي وان شاء الله
اليوم هيعدي..

قالت بحدة وقد تعمدت الضغط على كلماتها:

_ أنا كده كده هركب معاك مش هسيبك
متقلقيش..

فهمت مغزى حديثها فقالت بتردد:

_ ما تحاولي تسمعيه يا "حنين" آآ..

بترت كلماتها حينما صاحت بانفعال:

_مش عايزة اتكلم في الموضوع ده يا "أشجان"،

علشان خاطري بلاش تفتحيه تاني..

امتثلت لرغبتها:

_زي ما تحبي، المهم تكوني جانبي لحسن أنا تعبانة

بجد.

اجابتها ببسمتٍ ساخرة:

_كلنا لها يا اختاه، مصدقت خلصت من "مرين"،

تطلعلي ام اربعة وأربعين اللي جايت على غفلة دي..

تعالت ضحكات "شجن"، فقالت بمرح:

_ما يمكن يطلع واد بتأنثي ليه؟!..

ردت عليها بابتسامة رقبقة وهي تمسك بيدها على

بطنها:

_لأ، قلبي بيقلبي انها بنت..

كادت بأن تجيبها ولكنها تفاجأت بسيارة "رحيم"

من أمامها، فأسرع "حازم" بفتح باب السيارة الخلفي

لتجده يجلس بالخلف، ويمنحها نظرة عشق تغمرها من
رأسها حتى قدميها، هبطت "حنين" جوارها فكادت
بالصعود جوار "شجن"، تفاجئت بقبضة قوية تجذبها
خارج السيارة، فاذا به يقف أمامها ليشير لها بحزم:
_هتركبي بعربييتي..

بعناد كبير جذبت يدها من بين يديه لتشير له
بغضب:

_ايدك متلمسنيش تاني، فاهم؟..

وقف "مراد" مقابلها وجهاً لوجه، فقال بهدوء يتمسك
به بصعوبة:

"_حنين" خيلنا نتكلم أفضل في مكان هادي..

ابتسمت في سخرية وهي تعقب على ما قال:

_نتكلم في ايه؟! ، معتش في بينا اللي نتكلم فيه..

فرك جبينه بعصبية بالغة، فزفر وهو يستطرد

بغضب:

_لا في اللي نتكلم فيه، في حاجات كتيرة انتي

متعرفهاش..

صرخت بانفعالٍ وقد سرت دمعاتها كالشلال:

_اعرف أیه، انک قتلت ابویا!!، انک بعد ما کنت
أمانی بقیة السبب فی خزنی وتعاستی، أنا عارفتہ ان
أبویا مکنش ملاک ویمکن مکنش بیحبني بس
مفیش واحدة فی الدنیا مهما کان ابوها تعرف ان
ابوها اتقتل ومتتحطمش والاصعب من کل ده انی
اعرف ان القاتل یبقى جوزي..!

والتقطت انفاسها لتستكمل بشک:

_کان لازم أعرف من آخر لقاء بینکم انک کنت
ناویله علی الشر، کان لازم افهم أنک انسان انانی
مفکرتش غیر فی نفسک وبس، مفکرتش تحطني
فی حساباتک، مفکرتش انا هیكون احساسی ایه
لما أعرف انک قتلت ابویا..!!

خرج "رحیم" من سیارته سریعاً خشيةً من أن تتصعد
الامور فیما بینهما أكثر من ذلک، فوقف جواره

ليتداخل قائلاً:

"_مراد" لا ده وقته ولا مكانه..!

تجاهل ما قاله ثم جذب يدها بهدوء:

_تعالى معايا.

حاولت أن تحرر قبضتها من بين يديه ولكنها لم

تستطيع، فصاحت بعصبيةٍ بالغة:

_سيب ايدي بقولك مش هتحرك معاك في اي

حتى..

رفع "رحيم" يديه على كتفيه، فحرر "مراد" يدها،

ثم شملها بنظرةٍ أخيرةٍ ليردد بوعيد:

_ماشي يا "حنين"..

وتركها وغادر لسيارته، ففتح "رحيم" باب السيارة

لتستقر بجوار زوجته، اما هو فصعد جوار "حازم"،

ارتمت "حنين" باحضان أشجان، تبكي بقهر، قلبها

يؤلمها على الفجوة التي حدثت بينها وبين زوجها،

لأول مرة تتصعد الامور فيما بينهما لتلك الدرجة،

فرت دمعته هاربة من عين "شجن" وهي تحاول أن
تجعلها تهدأ قليلاً، تابعهما "رحيم" بالمرآة الأمامية
بحزن، فقال بصراصة:
_ لو هتقلبوها نكد هوقف العربية وهنزلكم انتوا
اللاتنين هنا..

ابتعدت عنها "حنين" سريعاً ثم ازاحت دموعها،
فهمست بضيق:
_ انت على طول متعصب كده، أنا بحس اني بخاف
منك أكثر من جوزي، ما تسيبنا نفضفض شوية يا
ابليس...

تطلعت لها "شجن" بصدمته ثم انفجرت ضاحكة
لتشاركها "حنين" الضحك وكأن لم يكن، ابتسم
"رحيم" رغماً عنه وردد بهمسٍ ساخر:
_ "مجانين...!"

بين نغمات الطرب الهادئ تمايلت "فاطمة" بين ذراعيه

بفستانها الأبيض، ولجوارها كانت تتمايل "سلمى"
بين يد "جان" بخضرة، حتى "سما" صعدت على
المنصة لترقص مع "آدم" ولأول مرة، أما "سليم" ففضل
أن يرقص مع زوجته بالأسفل جوار الطاولة الملتصقة
بالمسبح، كان الحفل رائع لا ينقصه شيئاً سوى وجود
"فارس" و"مروان"، فكانت الفتيات يبحثن عنهما
بضجر، أما "ريان" فأنشغل عن "سارة" بتتبع الأخبار من
"فارس، مروان"، أما "شجن" فكانت تجلس لجوار
"حنين" وعينيها تتعمق بالتطلع لمن يقف مقابلها،
يغمز لها بعشق من وقتٍ لآخر، أما الجوكر فقد حسم
الأمر بتنفيذ المخطط المتفق عليه مع "رحيم" الذي
بعث برسالة لحارسه الخاص ففى أقل من خمسة
دقائق انطفئت الأنوار عن الحفل وحينما عادت بعد
دقيقة واحدة كانت "حنين" قد اختفت من جوارها،
فزعت "شجن" ونهضت عن مقعدها وهي تبحث عنها
بخوف، فجذبها "رحيم" للجلوس مجدداً ليجلس من

جوارها قائلاً بثبات:

_متخافيش، "حنين" في المكان اللي المفروض
تكون فيه..

اشارت له بتفهم ثم تطلعت جوارها بتوتر من أن
يهاجمها الدوار مجدداً، فقال بهدوء:
_حاسته بأيه..!

تطلعت إليه ببلاهة فكانت تظن بأنها تبرع بتمثيل
دورها ولكنه شعر بها، فقالت باستسلام وهي تضع
يدها بيديه:

_خرجني من هنا، حاسته اني مش قادرة اخد نفسي..
تطلع ليدها المتمسكة به بابتسامته ساحرة، فمسد
بيديه على يدها وعينية تخطف النظرات اليها،
ليردد بهمس أشعل رغباتها:

_وأخذك لأخر الدنيا بس لو فضلتى ماسكتة ايدي
كده مش هتحرك من جانبك أبداً..

سحبت يدها بخجل، فنهض ليمسك بذراعيها، خطت

جواره بضعت خطوات ثم توقفت عن المضي وهي
تتمسك بجبينها بألمٍ، انحنى ليضع ذراعيه اسفل
ساقها ثم حملها بين يديه ليتحرك بها لسيارته،
جلست بالمقعد الامامي وهي تجاهد الاغماء الشديد
الذي يهاجمها، فأغلقت عينيها باستسلامٍ لنوم تمننت
ان تحظى به لتتخلص من آلامها، دقائق معدودة
وشعرت بالهواء الطلق يغلف جسدها، امسك بيديه
بصدمةٍ حينما حرر حجابها عنها، كادت بأن تعنفه
فمازالت بالسيارة كيف له ان يفعل ذلك، ولكنها
تفاجأت بالمياه تحاوطها من جميع الاتجاهات،
فتطلعت امامها لتجده يخبرها بابتسامته المهلكة:
_ارتاحي، أنا جانبك..

منحته بسمته مشرقة فتركت يديه تحرر حجابها
لتساقى على قدميه ليتحرك بهما التخت بين المياه،
فغضلت سريعاً بين ذراعيه براحةٍ..

انتهى الحفل سريعاً برغبة "يامن"، فكاد بالصعود بها
للأعلى ولكن التف الشباب من حوله ليمرحوا قليلاً،
وبعد ساعة كاملة من الرجاء والتوسل سمحوا له
بالصعود ولكن بشرط أن يحملها بين يديه حتى
غرفته التي تقطن بالطابق الثاني، وبالفعل حمل
يامن، "فاطمة" ليصعد لها للأعلى وسط أجواء مثيرة
من التصقيفات العالية، ولج لغرفته فتركها أرضاً ثم
اغلق باب غرفته وهو يردد بابتسامة واسعة:
_عايز حد يقرصني علشان أصدق انك معايا هنا..
ابتسمت "فاطمة"، فقالت بمرح:
_لو مش مصدق أخذ بعضي وأمشي..
وكادت بتحرير مفتاح باب الغرفة، فجذبها إليه قائلاً
بسخرية:
_حياك حياك دخول الحمام مش زي خروجه يا
حلوة..

تعالى ضحكاتها على كلماته المرحية، فتلاشت

ضحكتها خجلاً حينما اقترب منها ليطبع قبلت

صغيرة على وجنتها وهو يردد بعشق:

_الف مبروك يا حبيبتي..

اجابته على استحياء:

_الله يبارك فيك..

ثم قالت بارتباك:

_فين الحمام..

أشار لها بعينه على حمام الغرفة، فالتقطت اسدالها

ثم ولجت للداخل، اغتسلت ثم توضأت وجلست

بالداخل بترددٍ من الخروج، طرق "يامن" على الباب

قائلاً ببسمتٍ مأكرة:

_أطلعي يا "فاطمة"، بلاش جبن..، انا مش بعض حد.

فتحت الباب لتشير له بضيق:

_حد قالك اني خايضة أطلع انا بس بأخد على

الأجواء هنا..

استند بجسده على الحائط ليجيبها بسخرية:

_بتأخدي على الاجواء في الحمام؟..

ابتلعت ريقها بارتباكٍ فاسرعت لسجادة الصلاة قائلة

بتهرب:

_يلا نصلي..

ابتسم على خجلها الماحوظ، فاقترب ليصلي بها أمام
ومن ثم جذبها برفقٍ لفرشه ليقتل خجلها الزائد منه،

تارة فتارة يحاول سحبها لعالمه...

حملها للداخل، ويديه تقيد حركات يدها واليد
الأخرى تكمر فمها، اغلق باب مكتبه بقدميه ثم
تركها برفقٍ لتقف امام عينيه، صرخت به "حنين"
بشراسة:

_انت بتعمل أياه، انت فاكر اني كده هسمعك...!
وأقتربت من باب الغرفة في محاولةٍ مستميتةٍ للخروج،
دفعها للخلف بقوةٍ وهو يصيح بعصبيةٍ بالغة:

_مفيش خروج من هنا يا "حنين" لحد ما المشكلت

اللي بينا دي تتحل، فاهمه؟..

صراخه، طريقته الجديدة بالحديث جعلتها ترى
نسخة متطابقة لرحيم زيدان في بدايته عهد،
معشوقها الحنون قتله بتلك اللحظة العصبية،
ابتلعت ريقها برعب تحاول اخفائه خلف لهجتها
الساخرة:

_مش هستغرب ده منك لأنك بالنهاية أخوه..
للمرة الثانية تستنزف طاقته، ورغم ذلك حاول
جاهداً ليتحكم بذاته، فاقرب منها، لتبتعد عنه
سريعاً حينما شعرت بالغيثان جراء رائحة البرفنيوم
القوية التي يضعها، تألم قلبه ظناً من انها تمقت
الاقترب منه، فخلع جاكيتيه ليجذب سلاحه المندث
خلف ظهره ثم وضعه من امامها، صعقت للغاية حينما
راته يخرج سلاحه فرددت بسخرية:

_أيه هتقتلني ولا ده تهديد..!

اقرب منها بصمت قاتل، ليجبرها بوضع السلاح بين

لائحة يدها ثم رفعه ليكون مقابله، انسحبت الدماء
من عروقها، فحاولت سحب يدها وهي تصرخ بفرع:
" _مراد...!"

ابتسم بألم، فتجاهل ندائها المتكرر؛ ليتطلع لعينيها
مردداً بهمس:

_أنا قتلت أبوك وأنتي تقدرين تأخذي حقك مني..
وضغط بيدها على السلاح قائلاً بعنف:
_اضغطي على الزناد يا "حنين" وانهي المهزلة دي..
بكت بانها خشيته من ان يلامسه الرصاص رغماً
عنها، فحاولت جاهدة سحب يدها، ضغط بيديه ليعلو
صوت الرصاص المكان، فانتقب قلبها بحسرة، وهي
تتطلع اليه بعينين متحجرة، لتردد بصوت يكاد
يكون مسموع:

" _مراد...!"

ابتعد عنها بملامح واجمة، فأضاء الضوء المجاور

للفراش فالتقط السجائر لينفثها بعصبيةٍ بالغت،
احكمت الغطاء حولها وهي تتطلع إليه بخوفٍ وعدم
فهم لما تمر به، ردد "يامن" بغضب:
_أنا مش عارف في أيه بالظبط..

تشنج جسدها من أثر البكاء الحارق، فزفر بضيق،
اطفاً السجار لجواره ثم هدأ قليلاً، ليقرّبها لأحضانه
قائلاً بهدوء مصطنع:

_متزعليش يا حبيبتي، أكيد انت متوترة بس، يلا
نامي وريحي أعصابك..

بكت بين أحضانه حتى غلبها النوم، أما "يامن" فظل
يصارع شيطانه طوال الليل يحاول اقناع ذاته بأنه
مخطئ فمن المحال ان تكون قد مارست علاقة
جمعتها بإياد من قبل، ولكن ماذا لو كانت هذه
الحقيقة وخاصة بأنها أردت أن تعود إليه فاستخدمت
"يامن" كوسيلةٍ حتى تجعله يغار عليها، وحادثته
الاغتصاب ليست الا اشتياق بينهما فلاعب تلك اللعبة

القدرة للفتك به، ودليل آخر اختفاء اياد بليلة
الزفاف بالتحديد، كل تلك الخيوط تراقصت بعقله
طوال الليل فجعلته كالبركان الثائر، ربما سيعمى
عن الحقيقة وربما سيحطم بيديه علاقة لم تبدأ
بعد، ولكن ترى ما المجهول؟!!!

الفصل الحادي والخمسون..

صرخت مؤلمة، تحررت لتفيض بما احتبس من وجع
صارخ بداخل هذا القلب الذي تسارعت نبضاته دون
توقف، لسانها يردد دون أي وعي أو ادراك:
" _مراد...!"

مجرد تخمين منحه العقل بإقتراح بأن تلك الطلقة
استقرت بجسده جعلتها تصرخ دون توقف، هزت يديه
بعنف وهي تبكي بانهايار هامة بصوتها الشاحب:
" _مراد...!"

احتضنها بقوة ويديه تمسد برفق على ظهرها، مردداً
بخوف على الحالة التي هاجمتها:
_أنا كويس، متخافيش..

أغلقت عينيها في محاولات مستميتة للسيطرة على
أعصابها، محاولت استغرقت أكثر من خمسة عشر من
الدقائق حتى تمكنت من الابتعاد عنه لتأمله

بنظرة شاملة، تلبس قلبها الطمأنينة حينما وجدت
الرصاص لم يمس جسده، أطلقت زفيراً بطيء وكأنه
احتبس داخل رئتها لكثير من الوقت، لتحرر
كلماتها المكبوتة بصراخها المتعصب:
_ أنت بني آدم مش طبيعي..

أمسك يدها وهو يخبرها بثبات بعدما تجاهل ما قالت
لتو:

_ حسيتي بأيه وقتها؟..

تطلعت له بحيرة من سؤاله الغريب، فأستكمل
كلماته معللاً:

_ النار اللي جواكي كانت هتهدي لو أنا كان جوالي
حاجة؟.

اشتعلت نظراتها بالغضب، فقال بحدة:

_ والسؤال الأهم يا ترى والدك يستحق كل اللي أنت
عملاه علشان ده..

مزقت رداء الصمت المؤقت لتصيح به بانفعال:

"_مراد" أنت بتتكلم عن بابا مهما عمل فهو أبويا..!

صح مفهومها حينما قال بلهجة ثابتة:

_مهما كان فهو بالنسبالي الشخص اللي حاول
يفرقني عن عيلتي، واللي خلاني أكون بعيد عنك
في أكثر وقت احتاجتي لوجودي فيه، بالنسبالي
وبالنسبة لكثير من ضحاياها فهو شيطان مستحقش
الحياة، الانسان اللي عايش علشان يتأجر بأعراض
الستات مستحقش الا الموت..

جحظت عينيها في صدمة حقيقية، فباللت شفتيها

بلعابها في محاولة بأئسة لتجلي صوتها:

_أنت بتقول أيه..!

جذب معصمها ليجبرها بأن تتابعه بخطاها، ففتح
الحاسوب الصغير الموضوع على سطح مكتبه ليعرض
لها عدد من الملفات ومقاطع الفيديو لاعتراقات بعض
من العناصر المشتبه بها، وأقوال عديدة لعدد من
الفتيات، شعرت بوخزة حادة تجاه صدرها، كانت

تعلم بأن ابياها يرتكب أخطاء عديدة يخفيها مركزه
بالشرطية ولكن لم تتوقع بأنه انحدر لهذا المستوى،
كونها فتاة تعلم كم المعاناة التي عانتها كل فتاة
ذاقت الويل والاهانة على يديه، ارتخى جسدها
فجلست على مقعد مكتبه والدموع تنسدل مصاحبة
لآهات قاتلة، جلس "مراد" مقابلها ليخبرها بابتسامته
ألم:

_ ده اللي عمله ويستحق عليه عقاب بعيداً عن اللي
حصل بسببه وبسبب الناس اللي وراه..
انتبهت لكلماته الاخيرة، فانتصبت بوقفها لتباغته
بسؤال تحتويه الصدمة:
_ حصلك أنت!..!

ابتسامته وجع تشككت على وجهه، ليجيبها على مهل:
_ مسألتيش نفسك أيه اللي خلاني بعيد عنك كل
الفترة دي؟..

تاهات بعينيها وانقطعت الكلمات عن لسانها الناطق

بألف كلمة وكلمة بالساعة الواحدة، رد على

سؤاله المطروح:

_أنا عمري ما كنت ضعيف يا "حنين" ولو في يوم
إتكتبالي أكون ضعيف هقتل نفسي بأيدي واللي
عمله أبوكي واللي وراه خلاوني أشوف نفسي ضعيف
وعاجز لأول مرة، عاجز حتى عن إختيار الموت،
الخلاص الوحيد للعذاب اللي كنت فيه، بس للأسف
مقدرتش أعمل كده علشانك، وعدي ليكي إني
أكون جانبك لأخر لحظة خلاني أصمد لأطول
وقت، كنت بقتل نفسي ألف مرة وأنا شايفهم
بيحقنوني بالمخدر اللي ممكن ينهي حياتي، بحاول
استمد طاقة وأمل لما برسم صورتك في خيالي،
تخلي ظابط من أكفى الضباط يكون مدمن
مخدرات..!

وكان الصدمة تعاهدت بالاستحواذ عليها في تلك
الليلة المظلمة، تتلاقها تلو الأخرى وعليها تقبل ما

تستمع اليه، في بعض الاحيان يسارونا شكوك
متعلقة باناسٍ قريبةٍ وحينما تكشف الحقائق
تترك أثر عالق بالصدرٍ بجرحٍ عميق يصعب إلتئامه
بسهولتٍ، و"حنين" بحالتٍ لا تحسد عليها، صدمتها بما
خلفه أبيها من وراء موته وصدمةٍ أخرى لما عاشه
زوجها وهي لا تعلم عنه شيئاً!

انصهر الدمع بعينيها فتدفق دون توقف وعقلها
المسكين يحاول تقبل كل تلك الحقائق البشعة،
صوتها المكبوت يود الصراخ بأعلى صوت امتلكته
يوماً ولكن بكائها صامتاً رغماً عنها، اقترب منها
"مراد" سريعاً وهو يحاول التعامل مع الحالة الغريبة
التي تهاجم عصفوره الصغير لأول مرة، مسد بيديه
على يدها وهو يردد بعشقٍ ما أعذب من كلماتٍ تغمر
الضؤاد:

زمان مكنش ليا نقطة ضعف ولا يهمني حد أحارب
الحياة علشانه، بس دلوقتي في أنت يا "حنين"،

ويمكن ده السبب في اني لسه واقف على رجلي
قدامك..

ورفع أصابعه ليمسد على وجهها وهو يسترسل حديثه
باصرار:

_ حاربتة لانه كان عايز يدمرني ويدمر عيلتي،
صدقيني أي حد مكانه حتى لو أبويا نفسه كنت
هنسفه من على وش الدنيا..

تحرر صوتها أخيراً فبكت بصوتٍ مسموع، مؤلم،
وكأنه جلاد لروحه المعذبة، ارتمت بداخل أحضانها
وكأنها تشتاق لأمانها المفقود، رددت بهمسٍ خافت
وكأنها تخرج ما يكبتها:

_ آآه، ليه يا ربي مكتوب اني أعيش في كل ده، ليه
كل مرة ببقى متأكدة اني عرفت كل حاجة عن
أبويا أكتشف حقايق أبشع، ليه كل ما بحاول أدي
واجبي نحيته ألاقي ألف حاجة تكرهني فيه حتى
وهو ميت...!!

ربت على ظهرها بقوة، فقال بحنان:
_عمري ما كنت هواجهك بالحقيقة دي يا حنين
بس للأسف اللي حصل كان أكبر من أنها تفضل
مخفية عنك أكثر من كده..
ابتعدت عنه وهي تطالعه بنظراتٍ مطولتٍ تبحث عن
ضالتها، فهمست بصوتٍ ترنج على ترنيم خلقت من
الآلام:.

_أنا آسفة..
قربها إليه أكثر، علها تسمع لدقات قلبه النابض
بحبها، فقال بصوته الرخيم:
_متعتذريش يا "حنين"، أنا اللي من حقي أعتذر لأنني
هفضل طول العمر بربطني ذكرى وحشة هتفضل
في بالك على طول.

رفعت عينيها الباكيتين وهي تردد بتعاسة:
_هو يستحق ده..

وكبتت شهقة مؤلمة كاد صدرها بالافصاح عنها،

هامسة بانكسار:

_هأخذ وقت علشان اتجاوز ده بس أكيد هدعيه
بالرحمة ومعتقدش انها هتشفعله لانه حسابه عسير
قدام ربنا.

ثم استطردت برجاء:

_متتخلّاش عني يا "مراد"، أرجوك..
أخرجها من أحضانها لتري عينيه بوضوح، ليجيبها
بألهجته الباعثة في نفسها الراحة:
_لو آخر نفس هيطلع هتكوني بتشاركوني فيه..
ثم احتضنها بقوة مجدداً، فابتسمت رغم ما يحمله
قلبها من آلام عاصفة، رفعت يدها تزيح دمعاتها وهي
تخبره بألهجتها المشاكسة المعتادة فيما بينهما:
_على فكرة أنت ربنا بيحبك أكثر مني، فحب
يعوضك عن اللي ما عشتوش..
تطلع لها في دهشة، فتساءل بحيرة:
_يعوضني بأيه، مش فاهم..!

تعمقت بالتطلع لعينية مطولاً وهي تكسر حاجز
الخجل الذي يحجر عنها التمتع برؤية الأمواج الهادئة
على شاطئ الشوق، فقالت بعد صمتٍ طويل:
_أنا حامل..

كانت صدمة لطيفة نوعاً ما بالنسبة إليه، فرسم
بسمته صغيرة اتسعت شيئاً فشيئاً كلما استوعب ما
استمع إليه، طبع قبلة عميقة على جبينها وهو يردد
بعدم تصديق:

_معقول..!

ابتسمت وهي تجيبه على استحياء:

_مفيش حاجة بعيدة على ربنا..

اقترب منها بنظرات هائمة، يدعوها لريحان يحملها
برفقٍ لبر عشقهما الآمن، انسحبت بهدوءٍ وهي ترفض
دعوته الصريحة لها بارتباكٍ، حتى عينيه تهربت من
التطلع بها، رفع وجهها إليه وهو يتساءل في استغراب:
_في أيه يا "حنين"؟..

حاولت الصمود فجاهدت بالا يرى دمعاتها، فقالت

بتوتر:

_غصب عني، هحتاج وقت..

يعلم جيداً ما تمر به من ضغوطات كبيرة، وخاصة
بأنه بالنهاية من قتل أبيها، لذا لم يشعر بالضجر لما
حدث، بل احتواها بحنان وهو يردد بابتسامته

الوسيمت:

_هتاخدي وقتك بس وأنتي جانبي وفي حضني..
غمرتها سعادة حتى ولو كانت مؤقتة ولكنها على
يقين بأنها ستخوض حرب عصيبة لتتخطى ذلك..

كاد عقله بالتوقف حتى انه سئم من التفكير،
خطاه كان يشق باحة قصره الواسع، فظل "ريان"
يخطو ذهاباً وإياباً حتى تحرر مقبض الباب ليطل من
خلفه "مروان" و"فارس"..

أسرع "ريان" إليه وهو يتسائل في لهفة:

_ها وصلتوا لحاجتہ؟..

أجابه "فارس" بحزن بعدما جلس على أقرب مقعد
بانهاك شديد:

_لا، محدش عارف هو فين، حتى أصحابه..

رفع عينيه تجاه "مروان" ليتساءل بضيق شديد:

_يعني أيه أخوك فين..!

لوى فمه بسخرية وهو يجيبه باستهزاء:

_معرفش أنت مكبر الموضوع ليه يا "ريان"، أكيد

رجع للزفت اللي بيشربه ومالوش عين يواجهك..

احتقن وجهه بملامح الغضب، فردد بشراسة:

_اللي بتتكلّم عنه ده أخوك الكبير، تتكلّم عنه

باحترام سامع..!

بلع "مروان" كلماته حتى لا تتطور الامور فيما

بينهما، فتدخل "فارس" بينهما ليشير اليه بهدوء:

_تعالى معايا يا "مروان"، والصبح ان شاء الله ندور

تاني..

انصاع اليه واتابعه ليغادر معه للخارج، بينما استلقى
"ريان" على الارىكة من خلفه باسترخاء تام..

رؤية الشمس تتبخر بزيتها الذهبي وتاجها المرصع
بأشعته الصفراء لتحتل عرشها بالموعد المحدد إليها
مشهد ترفرف له النفس وتكتب قصايد من دفاتر
الغرام، فكانت من تراقب هذا المنظر الالهي تقتبس
بعض النظرات للمياه الصافية التي تحيط باليخت،
لأول مرة منذ فترة طويلة تتنفس بحرية دون أن ينزع
الخوف مرئها، الهواء الطلق يبعثر خصلات شعرها
بشكل فوضوي ورغم ذلك لم تنزعج بل ظلت
متمسكة بحافته اليخت رافعة رأسها في شموخ يجابه
أشعة الشمس التي تداعب وجنتها الساخنة، فتحت
"شجن" عينيها بلهفة حينما شعرت بملامس ورقيات
صغيرة على رقبتها، استدارت ببطء لتجد رحيه يقف
من خلفها، يمرر زهرة حمراء اللون على طول رقبتها،

ابتسمت بخجلٍ وهي تردد باستغراب:
_صحيت أمته؟.

وقف قبالتها وهو يتطلع لها بزيتونية عينيه العاشقة
ليجيبها بصوتٍ منخفض:

_من وقت ما اتسحبتني من جانبي علشان تيجي هنا..
اهتمامه بأقل تصرف تفعله يجعلها سعيدة للغاية حتى
وإن لم تظهر هي ذلك، عينيها اقتبست نظرات
مطولت لعينيه وكأنهما بعناقٍ طويل دفيء، عاد الدوار
المعتاد ليهاجمها من جديد، فاستندت بيدها على
صدره وبأصبعها فركت جبينها بألمٍ شديد، أمسك
"رحيم" يدها وهو يتساءل باهتمام:
_دايختر؟..

هزت رأسها تأكيداً له ما تشعر به، فحملها بهدوءٍ ثم
هبط الدرج الجانبي لليخت الأبيض ليصبح بالطابق
السفلي، وضعها على المقعد المطول القريب من البار
المطل على المطبخ الصغير بأحد زوايا الطابق

الأرضي، ثم وقف ليتفحص ما وضعه الخادم بالبرادِ
قائلاً بضجر:

_أكيد لازم تتدوخي لانك مش بتأكلي كويس
ولا مهتمة بادويتك..

وجذب بعض من ثمار الفاكهة ليضعها من أمامها ثم
جذب الحليب ليسكب منه بكوب كبير ليشير لها
بحزم:

_كنت حابب أجهلك فطار بس للأسف ماليش في
أمر الطبخ دي فأجباري انك تشربي اللبن وتأكلي
الفاكهة اللي قدامك دي، سامعت..!

اخشونت نبرته وهو يضيف كلماته الاخيرة،
فاستندت بوجهها على معصمها وهي تجيبه بابتسامته
ساحرة:

_معتش بخاف منك على فكرة، فملوش داعي
التشديد ده..

ابتسامته صغيرة داعبت شفتيه، فاسند ذراعيه أمام

صدره وهو يجيبها بثبات:

_ده أحنا قلبنا قوي بقا..

تعالت ضحكاتها وهي تهز برأسها كأجابة صريحة له، ثم التقطت إحدى ثمار التفاح لتقضمها وهي تقترب منه بمكر، وقفت جواره وهي تلقي نظرة متفحصة على محتويات المطبخ، فجذبت من البراد البيض وبعض الأشياء التي تحتاجها لصنع سفرة صغيرة من طعام الافطار الشهي، استند "رحيم" بجسده على الطاولة من خلفه وهو يراقبها باهتمام، ارتبكت من نظراته فقالت بتوتر:

_بدل ما أنت واقف تبص كده ساعدني وقطع

الخضار، تحرك بثبات حتى وقف أمام الطبق

الموضوع، حك طرف أنفه بحيرة ونظراته تتوزع بين محتوياته، جذب إحدى ثمار الطماطم ثم قرب منها السكين ليقطعها بشكل عشوائي، تعالت ضحكات "شجن" بتسلية وهي تراقبه، فترك السكين عن

يديه ثم جذب المنشفتة ليجفف يديه وبنظراتٍ صارمة قال:

_بتضحكي! ، عارفة أنا غلطت اني نزلت معاكي
المكان ده من الأساس، أنا طالع فوق خلصي وتعالى.
وتركها وغادر من أمام عينيها، فحاولت كبت
ضحكاتها ولكنها لم تستطع، انتهت أخيراً من صنع
طبقين فحملتهم وصعدت للطابق الاخير باحثته عنه،
وضعت الأطباق على الطاولة التي تتوسط اليخت ثم
بحثت عنه بخوفٍ، وحينما لم تجده باليخت بأكمله،
رفعت صوتها برعب:

"_رحيم...!"

هبطت للطابق الثاني وصوتها يناديه بفرعٍ، وحينما لم
تجده اوشكت على هبوط الدرج لتصل للطابق الأول
فكادت قدميها بالتعثربأحدى الدرجات لتجد من
يحيل بينها وبين الأرض، فرفعت عينيها بصدمة لتراه
يقف أمامها، المياه تتناثر على شعره وصدره بغزارةٍ،

وعلى إحدى كتفيه يحمل المنشقة، فعلى ما يبدو
بأنه كان يسبح بالمياه وحينما استمع لصوتها خرج
سريعاً ليراها تتعرض لحادث للمرة التي لا يذكر
عددها، هدأت قليلاً، فوضعت يدها على صدرها الذي
يرتفع بعنف وكأنها تهدأ حالها، حدجها بنظرة
ثابتة ختمها بقول:

_وبعدين، هتفضلي تخافي كده كثير..!
رفعت عينيها تجاهها وهي تزيج خصلات شعرها
المتمردة عليها، قائلت في تردد:
_طبعاً لازم أخاف لانك مش موجود معايا وأنا هنا
لوحدي..

وبارتباكٍ أسترسلت دون ان تعي ما تقاله:
_وبعدين أنا خوفت عليك أكثر، أنت عداوتك
كثيرة وممكن حد يستغل انك هنا لوحداك من
غير حرس وكده..
ابتسم وهو يجيبها:

_على أساس اني مش هعرف ادافع عن نفسي من غير
الحرس...!

هزت رأسها يساراً ويميناً ثم عادت لتؤمأ بها بارتباكٍ
جعل بسمته تتسع، فلف ذراعيه حول قدميها
والأخرى اسفل رأسها ليحملها ويصعد بها الدرج،
صعقت للغاية، فكادت بالحديث ليقطعها هو قائلاً
وقد اوشك على الوصول للطابق الأخير:

_اعداء مين اللي توصلني وسط البحر أنت بتتفرجي
على مسلس الخطوط الحمراء كتير ولا أيه، أنا أي حد
حبيب يهاجمني وأنا لوحدي بيفكر ألف مرة في
مصيره ونهايته اللي مش هتكون على أيد حد غيري..
هزت قدميها بعنف وهي تشير له بحدة:
_نزلني..

ابتسم وهو يجيبها بمكر:
_ليه، أول مرة اشيأك مثلاً..
عبثت بشعرها وهي تجيبه بارتباك:

_لأ، بس ده لما بكون تعبانة، وبعدين انا هدومي

كلها اتفرقت مياه..!

بقيت نظراته عليها فالجمتها عن استكمال باقي

حديثها، جذب بقدميه المقعد ليستقيم مقابله

والاخرى تتابعه بذهول، وضعها عليه ثم انحنى ليمرر

المنشفة على طرف فستانها الأزرق، وكأنه يزيح

البلل، ثم استقام بوقفته ليجفف صدره جيداً، جلس

على المقعد مقابلاً لي جذب الشوكة والسكين ليبدأ

بتناول طعامه فصرخت به بدهشة:

_أنت هتأكل كده..!

قال دون النظر اليها:

_عندك اعتراض!، ولا بتتخرجي..

بللت شفتيها بتوتر فقالت بانزعاج مصطنع:

_لا عادي براحتك..

ثم شرعت بتناول طعامها وهي تحاول حجب الكلمات

التي تنتابها، فوضعت السكين عن يدها لتزفر

بضيق:

_هتأخذ برد على فكرة..

ترك "رحيم" الطبق وجفف فمه بالمنشفة، لينهض
ثم غادر باستسلامٍ ليعود بعد قليلٍ مرتدياً سروال
قصير بعض الشيء وتيشرت أسود اللون، فجلس محله
مجدداً، ثم شرع باستكمال طعامه وهو يتساءل:

_كده حلو..!

أومات برأسها مرات عديدة وابتسامتها تزين وجهها،
فابتسم وهو يتابعها تتناول طعامها براحةٍ بعدما
امثل "رحيم زيدان" لرغباتها ولما تريد، شرد بوجهها
وبحركاتها التلقائية، حتى حديثها المتلهف عن
رؤيتها ما تحمله باحشائها، شعر بعد غياب دهر كامل
بأنه حصل على الحياة الأسرية أخيراً مع من سكنت
القلب قبل أن تسكن طرب الفؤاد..

نهض عن الفراش بعصبيةٍ بالغة والعرق يتصبب

بغزارة على جبينه، فجذب علبته السجائر الخاصة به
ثم خرج للشرفة سريعاً قبل أن يطيح بها، ببكاءٍ
شديد التقطت "فاطمة" ملابسها لترتديها بدموعٍ
كالشلال، ثم لحقت به بخطواتٍ مترددة، وقفت على
بعدٍ منه وهو يشعر بوجودها، فاستدار "يامن" مقابلها
وهو يحدجها بنظراتٍ قاسية، كادت بالحديث
ولكنه ترك الغرفة بأكملها، فخانتها قدميها
لتجلس أرضاً تبكي دون توقف..

انتظرت "صباح" عودة زوجها ولكنه لم يعود، فأصبح
الأمر مقلق للغاية، ارتدت نقابها ثم هبطت للأسفل
سريعاً متجاهلة تماماً بكاء صغيرها، وجدت "ريان"
يجلس على المائدة بالأسفل و"سارة" لجواره، وعلى ما
يبدو كان شارد، ما ان رأتها سارة حتى أشارت لها
بابتسامةٍ صافية:..

_صباح الخير يا صبوحة، تعالي أفطري معانا..

قالت بصوتٍ مبجوح من أثر البكاء:

_الف هنا يا حبيبتي ماليش نفس..

ثم وجهت حديثها لريان:

_طمني عرفتوا حاجة عن "إياد"؟..

هز رأسه بخيبة أمل وهو يجيبها:

_للأسف معرفناش نوصل لحاجة حتى اصحابه

مرحش لحد فيهم..

رددت "سارة" بذهول:

_هو "إياد" ماله يا "صباح"؟..

أجابتها ببكاءٍ حارق:

_مرجعش البيت بقاله يومين..

دُهِشت مما استمعت اليه، فقالت بحيرة:

_هيكون راح فين بس..!

وكان الاجابة زفت اليهم أخيراً حينما قطع الخادم

جلستهم قائلاً وعينيه أرضاً:

_مكالمة علشانك يا باشا..

هز رأسه بخفتٍ وهو ينهض عن مقعده، فاتجاه للهاتف
المعلق، استمع للطرف المتسائل فاجابه في ثقتٍ:
_أيوه أنا"ريان عمران.."

وصمت قليلاً ليستمع لما يود قوله، فردد "ريان"
بصدمةٍ كادت بأن تهزه:
_إياد" أخويا، مستشفى أيه؟..."

واغلق الهاتف سريعاً ثم اسرع للمائدة لي جذب مفاتيح
سيارته، عارضت "صباح" طريقه وهي تسأله بضرع:
_اياد ماله، رجلي على رجلك..

أشار لها فأتبعته وهو ترفع صوتها لسارةٍ ببكاءٍ حارق:
_خلي بالك من "جان" يا "سارة".
اجابتها ببكاءٍ:

_متخافيش في عيني يا حبيبتي، ربنا يطمنك عليه
يارب..

وغادروا سريعاً للمشفى اما "سارة" فأسرعت للأعلى
لترى الصغير..

بمكتب "جان زيدان.."

ولجت السكرتيرة للداخل، لتقف من أمام مكتبه

قائلة في احترام:

_في واحد من الأمن عايز يشوف حضرتك يا فندم..

رفع عينيه عن حاسوبه، ليردد في استغراب:

_يشوفني أنا، غريبة..!

ثم أشار لها بصرامته:

_دخليه..

أومات برأسها ففتحت باب المكتب لتشير لمن

بالخارج بالولوج، دخل فرداً من الأمن، فجلس على

المقعد المقابل اليه بإشارة منه، ليتساءل "جان"

بهدوء:

_طلبت تشوفني، خير..!

أجابه الرجل بعدما انحنى بجسده ليقدم الهاتف اليه

قائلاً:

_في حاجة حصلت ولازم حضرتك تشوفها..
التقط الهاتف منه، ليصدم كلياً حينما رأى مقطع
فيديو لأبياد وهو يتجه للجراج الخاص بالشركة بعد
انتهاء دوامه وما حدث أمام عينيه كارثة بكل ما
تحملة الكلمة، على الفور جذب هاتفه ليطلب
"ريان..."

وصل "ريان" للمشفى أخيراً، فصعد للغرفة المنشودة،
تعجب حينما وجد "مروان" و"فارس" بخارج الغرفة،
فدنا منهما وهو يتساءل في خوف:
_في أيه، أخوك ماله؟..

تهاوي الدمع بعين "مروان"، وكأنه لم يجرأ على
اجابته على هذا السؤال، بكت "صباح" وقلبها يقرع
الطبول بخوف لا مثيل إليه، هزه "ريان" بعنف وهو
يسأله مجدداً:

_أخوك ماله انطق..!

وحينما لم يجيبه، سأل من يقف جواره بقلق:

_في ايه يا "فارس"؟..

فتح "فارس" الباب من أمامه، ليطل من خلفه أبشع
منظر قد يراه أب قد حاوط على ابنائه طوال العمر،
ولج للداخل بخطواتٍ متثاقلة، ليجد أخيه مستلقي
على فراش يحاوطه عدد من الأسلاك، رأسه محاطة
بشاش أبيض يحجب ملامحه المحببة عن رؤياه،
قدميه مكسورة ويديه معاً، جسده ملتف بأكمله
بشاش أبيض وكأن هناك سيارة صعدت على جسده
بأكمله، فرت الدموع من عين "ريان" وهو يراه بهذه
الحالة المقبضة، فتحجر بمحله بجسد يقشعر بالمر،
على عكس صباح التي تحركت تجاهه وهي تصرخ
بفزع:

"إياد...!"

كادت بأن تلامسه فقيد "مروان" حركاتها قائلاً

ببكاء:

_الدكتور محذر أن محدث يلامسه..

بكت بقهر حتى لم تعد تحتل ما تراه فسقطت
مغشي عليها بين يديه، دق هاتف "ريان" في تلك
اللحظة فرفعه بثبات ليستمع لصوت "جان" المضزع:
"ريان" تعالي فوراً، "إياد" آآ..

قطعه قائلاً بانكسار:

"إياد" قدامي بالمستشفى، أخويا بين الحيا والموت
يا "جان"..

استعلم منه عن عنوان المشفى والتقط مفاتيحه
ليسرع اليه على الفور.

دقائق معدودة وامتألت المشفى بأفراد عائلة "زيدان"
وعلى رأسهم "طلعت زيدان" الذي اتى مسرعاً حينما
تسرب خبر ما تعرض له ابن شقيقته الراحلة، وصل
"جان" و"آدم" للمشفى سوياً فاسرع اليه "ريان" ليرى ما
يحمل بحودته، شعر "سليم" بأن هناك أمراً غامض

يدور بين "ريان" و"جان" وكلاً من "مروان" و"فارس"،
فانضم اليهم ليشاهدوا معاً مقطع الفيديو الذي وزع
على هواتفهم جميعاً ليرى به مقطع لإياد يكاد
بالصعود لسيارته بعدما انتهى من دوام عمله بشركة
"جان" ليوقف امامه ستة رجال وعلى ما بدى اليهم
بأنهم صحبة من الماض، في البداية كان الحديث
فيما بينهما شبه طبيعي الى ان اخرج أحدهما كيس
من المخدرات ليقدمه لإياد الذي رفضه بابتسامته
وعلى ما بدى من صور الفيديو بأنه اخبرهما
بانقطاعه التام عن تناول تلك العقاقير السامة،
تلوث وجوههم بغضب شيطاني وحقد دافين لمن
يترك تلك العادة القاتلة، فحاولوا معاً اجباره على
ارتشافها، فالقى اياد بمحتويات الكيس أرضاً مما أثار
غضبهم فاجتمعوا من حوله ليبرحوه ضرباً، فلم
يكتفوا بالكدمات المميّنة، بل جذب احدهما عود
غليظ مصنوع من الخشب، فقيدوه جميعاً ليكسر هذا

الرجل الكريه ذراعيه وقدميه معاً ومن ثم اجزاء
متفرقة من جسده حتى غرق إياد بدمائه السائلة،
فحملوه بالسيارة وغادروا المكان باكملة،
وكأستنتاج صريح بأنهم القوه بعيداً بمكان معزول
حيث تم العثور إليه جثة هامة..

غلت الدماء بعروقهم جميعاً، فزار دماء الثأر لشرف
عائلة "زيدان" بالعروق، غادر الشباب بأكمالهم
المشفى بعدما كف "جان"، "حازم" بجمع معلومات
مسبقة عن هؤلاء فلم يكن من الصعب الوصول
اليهما كونهم من أسياد الشر والباطجة المعهودة
بتلك المناطق الدامية، وصلت السيارة للمكان
المحدد فكان من يقود تلك السيارة المطولت
"سليم" الذي أبدى عن تعليماته قائلاً:

_هنتقملة وكل حاجة بس بلاش نبالغ..

نطق "فارس" بغضب:

_مبالغة ايه يا "سليم" الكلاب دول لازم يتقتلوا

النهاردة..

ايداه "مروان" بالحديث المتعصب:

_أنا يا قاتل يا مقتول النهاردة..

صاح "سليم" بصرامته:

_كده هنخليكم هنا بالعربية ومستحيل هتنزلوا،

احنا هنربيهم وهنجيب حق اياك بس من غير قتل

وشبهة ممكن تلوث سمعة العيلة، متنسوش مركز

رحيم ومراد مش معقول هيكونوا في الشرطة واحنا

نعرضهم للموقف اللي نبقى فيه قدام القضاء..

قيد "آدم" حديث "سليم" قائلاً:

_سليم عنده حق، كسروا عضامهم واعملوا ما

بدالك بس بلاش قتل..

أشار لهم "جان" بحذر:

_في حد منهم خارج..

انتبهوا جميعاً لحركة احد من الرجال، فهبطوا سويًا

ليهاجمه "ريان" بعنف، فدقق النظر بوجهه بغضب،

يود به العثور عن صاحب المطرقة، ولج "مروان"
و"فارس" للداخل، لتشب معركة دموية بينهما وبين
شباب عائلة "زيدان.."

طرح "آدم" أحدهما أرضاً ليكيل له اللكمات التي
اقتلعت أحد أسنانه من فرط قوته، أما "سليم" فأقرب
من الرجل صاحب المطرقة، ففرض صورة الفيديو من
أمامه ليرى ما فعله، غامت عينيه على قطعة من
الحديد ملقاة أرضاً، فجذبها ليضربه بقوة على قدميه
الأيسر، فعرج عن الحركة ومن ثم تلقى ضربة على
العظمة بقدميه اليمنى ليعلو صوت انكسار قدميه،
زحف على يديه وهو يبكي من فرط الألم ولكن من
لم يشفق على أحداً لا ينال الشفقة أبداً، نواله
"سليم" ضربة فتكت بذراعيه ومن ثم عدد من
الضربات المتفرقة بأنحاء جسده مثلما فعل بابن
عمته، ليردد في غضب:

_اللي يلعب مع حد من عيلة "زيدان" يبقى لعب مع

ملاك موته..

وألقى بالحديد أرضاً ليبصفق بتقزز على من تمدد
أرضاً جثّة هامدة..

كاد احدهما بضرب "ريان" مستغلاً انشغاله بضرب
الآخر، فوقف "جان" خلفه كالعنقود الثائر ليحمي
ظهره، لف يديه حول عنقه ومن ثم رفعه ليهوي
برأسه على الحجارة من خلفه، بينما طرح "ريان" من
يلاكمه أرضاً ليركله بقدمه اليمنى بعنفٍ شديد..
كان الاشد غضباً وانفعال من بينهما "مروان" و"فارس"
فكانوا يلاكمون الرجال درساً قاسياً حد الموت
لانفعال طباعهما المشابهة لكلاً منهما، انبطح
الرجال أرضاً كالجثث الهامدة فخرجوا سوياً من
السرداق الطويل الذي يستخدمونه كمكان خفي
لارتشاف المخدر، اغلقوا عيونهم جميعاً حينما وجدوا
أضواء سيارات مساطرة بأعينهم لتبدو الرؤيا مشوشة
قليلاً ومن ثم اتضحت بوقفته "مراد زيدان" الذي

يتوسط سيارات الحرس بوقفته الصلبة ونظراته
الحادة التي تتوزع بينهما بالتساوي وبالأخص "سليم"
الذي تحرك ليقف مقابله، فقال باندفاع:
_مكنتش أقدر امنعهم لأن ده يمس شرفنا كلنا..
رفع "مراد" كفه ليمنعه من استكمال حديثه، ثم
خطى ليقترّب من الشباب بأكملهم..
كلاً منهم يقف بشكل فوضوي، من حالفه يوماً يقف
جوار من كان حلف لرحيم، اليوم عرض اليه موقف
قدمته الصدمة على طبق من ذهب ليرى بعينه اتحاد
عائلة كانت كالماء الذي لا يتجانس مع الزيت،
اليوم عهد بعينه اعظم انتصاراته المشتركة مع
أخيه، تلاشت بسمته الفخر المرسومة على عينيه
بهالة مخيفة حينما لمح أحد الرجال الباطجية
يسلط سلاحه على أحد من افراد عائلته، لم يتردد
ثانية واحدة ليخرج سلاحه لتستقر رصاصه بجبين
من يقف خلف "ريان" بالتحديد..

كانوا يظنوا بانهم سيتلقون الكلمات الحازمة لما
فعلوه ولكن ما فعله "مراد" كان مفاجئ للجميع
حينما نادى بصوتٍ مخيف:
" _حازم.. "

أسرع اليه راكضاً، ليتلقى الأمر المرعب:
_الكلاب دول يتدفتنوا حين علشان يبقوا عبرة لمن
اعتبر، فاهم..!

هز رأسه وانطلق هو ورجاله لينفذوا اوامره تحديداً،
وضع مراد سلاحه خلف ظهره وهو يشير لسليم بهدوء:
_مش دول اللي يتعلم عليهم يا "سليم" دول حلال
فيهم القتل..

وأشار بيديه على من يتوسط الارض قتيلاً بسلاحه:
_بعد الدرس اللي أخذوه ومبيفكرش غير بالقدر،
دول ملهمش غالي ولا هدف بالحياة غير الأذية..
ربما هو يمتلك خبرة اكثر منهما لتعامله المستمر
مع أشكالهما فأشار لهما بابتسامته شيطانية وهو يهيم

بالصعود لسيارته:

_مش كنتوا تعزموني على الحفلة من أولها، تتعوض..
وأشار لهم بيديه بإشارة وداع ليغادر بابتسامته
الخبیثة، فابتسموا جميعاً ليصعد كلاً منهما
للسيارة..

بفيلا "عباس صفوان.."

أدت فرضها بدموع الشكوى لله عز وجل عما تمر به
من محنةٍ قد توشك بزفافها وبخسارة زوجها، فعلى
الرغم من صمته عن الكلام إلا ان عينيه تشير بألف
إتهام وإتهام، جلست على سجادة الصلاة تدعو الله ان
يفرج كربها، فأستمعت لخطواتٍ تدنو منها، جلس
"يامن" على طرف الفراش المقابل لها، وهو يجاهد
لخروج الكلمات حتى قال:

"_فاطمة" أنتِ عارفتِ أنا بحبك اد أيه، صح..

بللت شفتيها بلعابها وهي تجلي صوتها بصعوبة:

_ايه لزمته الكلام ده..

اجابها على الفور:

_مستعد اغفرلك اي غلط كنتي ماشيت بيه بس
تكوني صريحة معايا، انا أكثر حاجة بكرها في
حياتي الكذب والخداع خلايكي صريحة معايا وأنا
أوعدك أن الموضوع ميطلعش بينا..

تساءلت في حيرة من فهم ما يليه على مسماعها أو
قصدت عدم الاستماع لما فهمته من حديثه عنوة
حتى لا يتحطم قلبها:

_مش فاهمه أنت تقصد ايه؟..

قال بشكل صريح:

_أنت وإياد حصل بينكم علاقة في فترة الخطوبة..
كاد فمها بأن يصل للارض من فرط الصدمة التي
تختبرها الآن، استغل صمتها وبرر بكلماته
التوضيحية:

_يعني ده اللي خلاكي كنتي عايزة ترجعيله بأي

طريقة وده برضه السبب في اختفاء إياد من الفرع..
تحرر صوتها أخيراً وهي تصرخ به دون توقف:
_ أنت بتقول ايه أنا مش مصدقة اللي بسمعه، علاقت
ايه اللي بتتكلم عنها، انا اشرف منك ومنه ومن أي
حد يجيب سيرتي بالباطل..

وقف قبالتها وقد خرج عن رداء صمته المهين
لرجولته:

_ لا مهو واضح..

ولف يديه حول حجابها ليصرخ بها بشراسة:
_ انا اللي غلطان اني كنت فاكرك ممكن
تفكري بالعقل وتصارحيني، وانت عارفت اني بكره
الكذب، لسه بتنطحيني ومصرة على كلامك، وانا
معنديش أي مانع امشي معاكي للاحر..

وجذبها بالقوة ليخرجها من الغرفة فبكت وهي
تحاول الانفلات منه قائلة بانكسار:

_ انا مستحيل اعيش معاك ثانية واحدة أنا راجعة

بيت اهلي وحالا..

جذبها للخارج وهو يجيبها دون التطلع اليها:
_ ما انتي هترجي بيت اهلك بس لما أفضحك قدام
نفسك وقدام الكل..

رددت بصدمته من الفكرة التي روادتها:
_ تقصد ايه؟؟.

أجابها بعدما وقف قبالتها:
_ الدكتورة اللي هتحدد اذا كنت بنت ولا زي ما أنا
متأكد...

صرخت به بجنون:
_ انت حيوان وسافل وآآ..

بترت كلماتها حينما انهال على وجهها بصفعاتٍ
متتالية جعلت الدماء تنسدل من وجهها دون توقف،
فجذبها بالقوة لسيارته وهي ترجوه الا يفعل بها
ذلك، توقفت السيارة بعد دقائق امام المشفى،
فجذبها بالقوة للداخل، بكّت وهي تتوسل اليه:

_متعمّش فيا كده يا "يامن"، بلاش تكسرني
بالشكل ده والله العظيم أنا بريئة محدش لمسني
والله العظيم ما بكذب عليك..
حدجها بنظرة معتمّة وكأنه فقد كل ذرة حب
امتلاكها يوماً ليجرها من خلفه وهو يجيبها بسخط:
_وخايضة ليه مدام بريئة، هنشوف الوقتي..
وجذبها بقوة فصرخت ببكاء:
_سبني بقولك، أنا بكرهك يا "يامن"، وهكرهك
العمر كله انا متخدعتش في حد في حياتي أكثر ما
اتخدعت فيك..
تجاهل كلماتها فجذبها لداخل غرفة الطيبة،
لیدفعها على الفراش المهين بعنف، نهضت الطيبة
عن مقعدها وهي تصرخ بقلق:
_في أيه اللي بيحصل هنا ده!
اشار لها يامن بعصبية بالغة:
_الهانم لسه متجوزين بقالنا يومين وللأسف اكتشفت

انها مش عذراء وهي مصممة ان محدش لمسها،
اتفضلي أكيديلي الكلام ده..

منحتها الطيبة نظرة شاملة فرأت الجروح التي تملأ
وجهها، لتصيح بانفعال:

_ودي طريقة تتعامل بيها معاها، اطلع بره بدل ما
اطلبك الامن فوراً.

وقف "يامن" قبالتها، ونظراته تحدجها بقسوة جعلتها
تراجع للخلف بخوفٍ وخاصة حينما قال:

_انتي متعرفيش انا مين ولا ابن مين، اللي هتعمليه
دلوقتي انك هتكشفي عليها ومعكيش غير دقائق
تردي فيهم عليا ولو كدبتني صدقيني انا هعرف
أعاقبك ازاي..

بلعت ريقها الجاف بصعوبة، ف اشارت له بانصياع،
اتجهت لفاطمة التي يرتجف جسدها بعنف وهي
تتوسل لها:

_ابوس ايدك متقربليش انا عايزة اخرج من هنا

اطلبيلي اخويا او ماما ارجوك..

عاونتها على الصعود للفراش وهي تردد بخوف ممن
يقف خلفها:

_متخافيش يا بنتي، معلشي لو انتي طاهرة اثبتيله ده
وبعد كده ابقى اتصرفي زي ما تحبي..

انهمر الدمع على وجنتها دون توقف، فقالت ووجهها
مندث بين يديها:

_طيب خليه يطلع بره انا مش طايقته اشوف وشه..
ابتسم ساخراً ثم غادر الغرفة ليغلق بابها بقوة
افزعتهما..

انكسارها بتلك اللحظة لا يضاهي اعوام ليرمه
جرحها، من ظننته امانها وزوجها الحبيب أتى بها
لطبيبة تخدش حيائها لتتاكد من عفتها، الم
يتملك الثقة اللازمة ليصدق حديثها، وفوق كل
ذلك يتهمها بأنها كانت على علاقة تجمعها
بخطيبها السابق، دمعاتها الساخنة بترت الحب القابع

بقلبها تجاهه، فانكسرت كالمزهريّة الباهظة
لتصبح بقايا، بقايا لأنثى عاشقة، ربتت الطيّبة على
قدميها برفق:

_قومي يا حبيبتى، وارفعي رأسك لفوق انتِ زي ما
انتى..

ابتسمت في سخريّة وكأنها تخبرها بما لا تعلمه،
فكادت بالخروج من الغرفة لتسرع "فاطمة" اليها،
قبلت يدها وهي تبكي بحرقة:

_أرجوكي متخرجنيش ليه، انا مش قادرة اشوف وشه
اطلبي اخويا وخليه يجيلي ابوس أيدك..
أدمعت عين الطيّبة وهي تخبرها بابتسامتها ترسمها
بالكد:

_ليه مهو هيعرف انه غلط في حقك وبديهي انه
يعتذرلك الف مرة..

قالت بكره:

_مش عايزة منه حاجة، أرجوكي ده رقم اخويا

خليه يجيني..

التقطت منها الرقم ثم قالت بدموع الشفقة:
_اقفلي على نفسك كويس بالمفتاح وانا هطلب
اخوكي حالا..

وخرجت الطيبة لتغلق "فاطمة" الباب من خلفها
سريعاً لتنهار ارضاً من خلفه تبكي بانكسار..

بالخارج..

طلبت الطيبة رقم "جان" دون ان توضح له بالكثير
سوى ان شقيقته بالمشفى وبحاجة إليه، وعلى الفور
ركض "جان" للمشفى بصحبة "آدم" الذي كان
لجواره بذاك الوقت، فخرجت الطيبة للاستقبال
حينما أنهت مهامها على اكمال وجهه، فما ان راها حتى
اقترب منها يتسائل بلهفة:

_ها..

منحته نظرة ساخطة ثم أجابته الطيبة بغضب:

_مراتك عذراء يا أستاذ يا محترم يا اللي بتتباهى
بنفسك وبعيالك ومخلتش حاجة للانسان الجاهل
الي ميعرفش حاجة..

اهتز جسده بعنف، فردد بعدم تصديق:

_أنتي بتقولي أيه؟

اجابته بايضاح:

_الغشاء عندها من النوع المطاطي وده نوع لا يتم
فضه بسهولة عند الاتصال الجنسي وأحياناً بنلجأ
لعملية جراحية لتسهيل الموضوع..

تأملت حالة الصدمة التي سيطرت عليه بنظرة
متشفية لتستطرد حديثها بغضب:

_أغلب الحالات اللي بتيجي لينا بتكون كده، ولان
للأسف مش بيكون في ثقة، اعتقد شكك مثقف
وابن ناس فمستغربة الموضوع ده عدى عليك ازاي..!
لم يجد كلمات تنقذه مما يشعر به الان، خائنه
قدميه فجلس على اقرب مقعد قابله، احنى رأسه في

استسلام تام للحالة المسيطرة عليه، أفاق يامن من
غفلته على صوت يعرفه جيداً حينما نطق جان بقلق:
_في ايه يا يامن، فاطمة مالها؟..
الجم لسانه عن النطق فحتى انه تناسى بأنها شقيقة
صديقه الوحيد قبل أن تكون حبيبته، انتبهت
لصوت اخيها فنهضت تتطرق على باب الغرفة وهي
تناديه بصوتها المنكسر:
_جان...!"

الفصل الثاني والخمسون..

إنسحب سريعاً ليقف أمام الغرفة حينما استمع لصوتها
المنادي، طرق "جان" الغرفة طرقات متتالية وهو
ينادي:

"_فاطمة...!"

ما أن تأكد ظنونها حتى حررت المفتاح العالق بجسد
الباب الأبيض المطلي بلونه هذا ليبعث بالنفسِ
الراحة والسكينة التي لم تعهدها بداخل هذه
الغرفة مطلقاً، فما أن فتح الباب حتى أسرع "جان"
للدخول فتشبثت به، وكأنه مفتاح نجاتها مما تلاقاه
على يد زوجها، أمسكت "فاطمة" بيديه وهي تناديه
بقهر:

"_جان.."

تطلع لها بذهول وخوف من رؤية حالتها الغريبة،
فحانت منه نظرة جانبية للغرفة ليكتشف كنايتها،

فعلى الفور تساءل بتعجب:

_بتعملوا أيه هنا؟..

رفعت عينيها المتورمة من أثر البكاء فلمحته يدنو

منها، أهتز جسدها بعنف فاستدارت لأخيها لتجيبه

بانكسارٍ أتبع لهجتها:

_جوزي اللي المفروض يكون أمانى، جايبنى لحد

هنا علشان يتأكد اذا كنت عذراء ولا لا..!

أغلق "يامن" عينيه بوجع وهو يستمع كلماتها القاتلة

أما "جان" فظل يتطلع لها بعدم تصديق وكأن ما

قالت له لتو لم يكن حقيقة او عله يتوهم سماع ما

قالتة، صوت بكائها المزلزل عصف بكيانه

ليتأكد الآن بأن ما قالتة حقيقة فاضحة، شعرت

"فاطمة" بأنفاسها تسحب ببطءٍ حتى صارت غير قادرة

على المقاومة فمنحت السكينة لجسدها الهزيل

فسقطت أرضاً فاقدة للوعي المهين، أسرع "يامن" إليها

وهو يردد بذعر:

"_فاطمة..!!"

كاد بأن يحملها فدفعه "جان" بقدميه للخلف ليقف
أمام جسد زوجته الممددة، ثم أشار له بنظراتٍ
شرسة:

_أيدك القدرة دي متلمشش أختي طول ما أنا حي..
فقال وما زال يقف أمامها كالسد المنيع:
"_آدم"، خد "فاطمة" على العربية..

أوماً "آدم" برأسه فحمل فاطمة بحرصٍ شديد ثم مر
من جوارهما فطوفها من سقط أرضاً بنظرةٍ حملت شتى
المعاني المؤلمة، يصعب رؤياها لأحداً آخر يحملها
غيره؛ ولكن ما فعله بها لا يغتفر، انسدل الدمع من
عينيه التي لم تعهد الضعف والبكاء قط، استحق
ذلك بعدما وجد ذاته جلاد قاسي، وحينما عهدته
القسوة لم تختار سوى الأقرب للقلب..!

انحنى "جان" بجسده ليجذبه بقوةٍ من جاكيته
فنهض استسلاماً لمن يجذبه، حتى وقف مقابله فواجه

نظراته الهائجة، هزه بعنف وهو يردد بسخط:
_قسماً برب العزة لو حد ثاني كنت دفنته هنا حي،
خليك فاكردايماً اني سبتك حي بعد اللي عملته
في أختي الوحيدة لانك كنت في يوم من الأيام
صاحبي وأنا بعد اللي شوفته اتعلمت مغدرش بصديق
ليا حتى لو مهما عمل..

ثم دفعه بقسوة ليرطم جسده بباب الغرفة من خلفه،
ليستكمل "جان" كلماته الشبيهة بالخناجر
القاتلة:

_ورقة طلاق أختي توصلني في أقرب وقت ومن هنا
ورايح تنسى ان كان ليك صاحب من عيلة "زيدان"
....

وتركه وغادر على الفور قبل ان يستسلم لشيطانه
فيقتله، أما "يامن" فجلس على المقعد المعدني
القريب منه وهو يحتضن رأسه بين يديه، لا يعلم أي
عقل امتلكه هذا ليفعل ذاك الأثم، فحتى إن لم

تكن زوجته فهي شقيقة صديقه الوحيد ، أين كان
عقله حينما فعل بها ذلك ، أين كان عقله حينما
أتى بها لمكان هكذا ، ليته كان ضريعاً قبل ان
يفعل به وبها ذلك.

طريق طويل خاضته بكل جراءة وشجاعة امتلكتها
لتقف لجواره ، لتتمسك بيديه ، ربما أن أخبرها
أحدهما بأنها ستقف لجواره ويمازحها هو برقّة ودلال
كانت ستظنه حلم لن يتحقق أبداً ، وها هي تقف
لجواره كتف لكتف ، تعاونه على الانتهاء من بعض
الاشياء ليكن المطعم في أهبة الإستعداد للاستقبال
وخاصة بأن اليوم هو الأفتاح ، الآن يتحقق أحد
أحلامها المستحيلّة ، شرودها المطول جعلها تتناسى
وجودها لجواره وسط عدد لا بأس به من الموظفين
ولجوارها يقف "يوسف" يضع تعليماته لأحدهما ثم
يشير للأخر بوضع الزينة بالمكان الصائب ، أكثر

من عمل ينجزه وهو يقف بمحله، حانت منه التفاتة
صغيرة لمن تقف جواره هائمة به، فوقف مقابها وهو

يتساءل بابتسامته خبيثة:

_شايضك مبهورة باختيارك للبدالة، لو عجاك

كده ألبسها لك كل يوم..!

لم يرمش له جفن، وكأنها لم تسمعه من الأساس،

فلامس معصمها وهو يناديها بقلق:

"_نغم..!"

عادت لأرض واقعها فرددت بتلعثم:

_ها، كنت بتقول حاجة..!

ابتسم وهو يردد باهتمام:

_انتِ شكلك مش معايا خالص، أنتي بتفكري في

أيه؟..

خطفت نظرة سريعة من حولها ثم قالت بصوتها

العذب:

_هفكري مين غيرك أنت..

قربها إليه وهو يجيبها بمكر:

_أمم، وبتفكري في أيه بقا؟..

تطلعت لعينية بنظرةٍ مطولت، ليخرج صوتها الصادق:

_في الظروف اللي فرقت بينا من قبل ما يكون في

شيء يجمعنا وهي نفسها اللي رجعت جمعتنا ثاني، في

القصة اللي انتهت من قبل ما تبتدي وربنا أراد أنها

تكمل بعد معاناة..

وابتسمت وهي تستطرد بدلال:

_بفكر في جوزي السوبر مان اللي قدر يعمل لنفسه

كيان وعزة نفس مش موجودة عند كتير من الناس،

عمره ما اتخرج بأنه فقير بالعكس كان بيعتز بده

وبنى نفسه وقدر يثبت لطلعت زيدان وليا أولاً أنه

راجل ويقدر يشكل الظروف اللي بيواجهها علشان

تليق عليه..

أصابت كلماتها مرمي قلبه، فخفق بجنون وكأنه يود

القفز خارج قفصه الصدري ليتراقص على نغمات

العشق، فأمسك يدها معاً ثم قربهما من شفثيه ليطبع
قبالات متفرقة على يدها، قائلاً بنظرة حانية:
_مكنتش هقدر أحقق حاجة من غير حبك
ووجودك جانبي، أنت حياة بالنسبالي يا "نغم.."
احتضنته بقوة غير عابئة بمن حولها، فمسد على
خصرها بحب، ود لو أختفى العالم من حوله، ليبقوا
سويًا بمزدهمل لدقائق، اعتدل "يوسف" بوقفته
وعينيه تستقبل من يقف خلف زوجته المتعلقة
بأحضانها، فأبعدا للخلف قليلاً وهو يردد بأنفاس
الرغبة والشوق:

"_نغم..!"

ابتعدت عنه وهي تتأمل به باستغراب، فالتفتت لترى
لمن يتطلع هكذا، اجتازتها الدهشة هي الأخرى
حينما وجدت أبيها يقف خلفها، فأقترب منها وهو
يتابعهما بنظرات حشرت بالسعادة، فقال بلهجة
الحازمة بعض الشيء:

_سايبن الشغل وواقفين تحبوا في بعض..

أصطبغ وجهها بحمرة الخجل، فالتفتت حولها لتجد
مخرج للهروب، فحملت المزهريّة الموضوعيّة لجوارها
ثم قالت وهي تهمل بالابتعاد عنهم:

_مكانها المفروض يكون تحت..

ثم رفعت نظرتها اليهما قائلة بارتباك:

_عن أذنكم..

وتركتهما وهرولت للأسفل هرباً، فأتسعت ابتسامته
"طلعت زيدان" وهو يتأملها تكاد تتعثر في مشيتها
وكأنه امسكها بالجزم المشهود مع رجل لا تجمعهما
صلة مقدسة، أشار "يوسف" بيديه على الطاولة
القريبة منهما قائلاً باحترام:

_اتفضل يا عمي..

هز "طلعت" رأسه ثم لحقه بهدوء، جلس "يوسف"
مقابله باهتمام لمعرفة سبب زيارته الباكّة،
فالافتتاح ليلاً، أتاه الرد المنتظر ليحيب على أسئلته

حينما أخرج "طلعت" من جيب جاكيتته ظرف مغلق

ليضعه على الطاولة قائلاً بضيق واضح:

_فهمني ده أيه؟..

عرف كناية الظرف وخاصة لأنه المرسل، فاجابه

بهدوء:

_ده حقك يا عمي، أنا قبلت اخد من حضرتك

المطعم في البداية بشرط أنه هيجي اليوم اللي ارد
لحضرتك فيه فلوسك وحضرتك قبلت بده واليوم

ده جيه وكان لازم اوفي بوعدى..

دفع الظرف برفق تجاهه ليردد في حزم:

_حط فلوسك في جيبك يا "يوسف" الهدية مش

بترجع..

ثم تركه ونهض ليغادر، فجذب "يوسف" الظرف

مجدداً ثم لحق به للأسفل ليقف أمامه قائلاً بثبات:

_صدقني يا عمي أنا كده مش هكون مرتاح وهحس

أني استغلّيت حضرتك، وأنا مش كده وبعدين دي

فلوس حضرتك..

ابتسم "طلعت" فقال وعينيه تحاوط ابنته التي تقف

على مسافة قريبة منهم:

_أنا أمنتك على بنتي تفتكر مش هأمنك على

فلوسها، متتكلمش في الموضوع ده تاني...

لم يتمكن من نطق حرف آخر بعد كلماته

المختصرة، فتابعه بنظراته وهو يغادر لسيارته

بالخارج، وابتسامته الاعجاب تودعه...

باسترخاء تام وقفت تؤدي صلاتها بخشوع، وكأنها

الضوء المنير بزاوية الغرفة الطبية المظلمة، تردد

في إلحاح وتدعو بأن يشفى زوجها ويتخطى تلك

المدة التي حددها الطبيب كبيان لمهلة الخطر على

حياته، انتهت "صباح" من قضاء فرضها، فجلست على

سجادة الصلاة تبكي دون توقف وهي تردد باستغاثت:

_يا رب..

قلبها هذا الذي تأمر من قبل لأجل شخص ظنت بأنها
تحبه يبكي اليوم حسرة على حب حقيقي لامسه،
ربما كانت تظن يوماً بأنها مغلوبة على أمرها للزواج
منه حتى لا تفشي فضحيتها أو خشية من أن يتربى
ابنها دون أب، ولكن الآن الوضع المختلف، هي
أصبحت تحبه بكل ما تحمله معنى الكلمة، سحابة
الظلمة اسدلت عليها لتبكي بحسرة كلما خيل لها
إنه سيفارق الحياة ويتركها بمفردها...

فتح عينيه ببطء وهو يجاهد التثاقل الذي يهاجمه،
وكان ركن صلاتها كان لمفعوله سحر عظيم لا
يقدر عليه سوى الخالق لله عز وجل، صرح بدعوته
بأنه قريب يسمع الدعاء وها قد لجئت إليه الضعيفة
تنجيه وقد لبي ندائها.

الظلام من حوله هيئ له الأجواء ليبدو مسترخياً
بالتطلع إليها، وجدها تبكي وهي تتضرع لله،

وبالرغم من آلامه الا انه شعر بالفرحة كونها تبكي
لأجله هو، بصعوبة بالغت حرك لسانه ليناديه
بارهاق شديد:

_ص ب ا ح..(صباح)..

انتبهت حواسها لما استمعت اليه لتو، فاستدارت
بجسدها تجاه الفراش، لتجده يتطلع لها بتعب،
أسرعت اليه بلهفة، وهي تردد بعدم تصديق:
" _إياد..! "

ثم تمسكت بيديه وهي تردد بسعادة:

_الف حمد وشكر ليك يارب، استجبت دعواتي..
حاول أن يحرك جسده، ولكنه لم يتمكن من
ذلك، فكان هناك خناجر حادة تعيق حركة
اطرافه، بدى الوجع مستكين على معالم وجهه،
فربتت "صباح" برقق على لائحة يديه التي يكسوها
شاش أبيض غليظ:

_متحاولش تتحرك علشان متتوجعش..

ردد بعصبيّة حينما تسال اليه ذكرى ما واجهه قبل
أن يفقد وعيه:

_كلاب واللّه لأقتلهم بأيدي ولاد ال....*****

بكت وهي ترفع صوتها خشية عليه:

_أهدى علشان خاطري..

وحينما لم تجد منه استجابة، خرجت سريعاً لتخبر

"ريان" الجالس بالخارج بانتظارها لتنتهي من صلاتها

ولعلها تستريح قليلاً، هرول "ريان" مسرعاً للداخل

والفرحة تفتش على وجهه حينما أخبرته بأن أخيه

الحبيب استرد وعيه، دلف للداخل ليجده يزئ

بغضب، هم من الفراش وهو يردد بتشفي:

_أرتاح يا "أياد"، الشباب رجعولك حقك، واللي

عملوا فيك كده اتدفنوا بالحيا..

هدأ قليلاً ونظراته تحاوط أخيه الذي أكد له، دخل

مروان" هو الآخر واتبعه "فارس"، فأسرع بالاقتراب من

شقيقه وهو يخبره بفرحة:

_حمد لله على السلامة يا "إياد.."

منحه بسمت صافية وهو يجيبه:

_الله يسلمك يا "مروان."

اقترب منه "فارس" ليعدل من وضعية الفراش حتى
يكون مريح اليه، فمنحه "إياد" ابتسامته مأكرة وهو
يهمس اليه:

_أكيد ولعتوها انت وتؤامك..

حانت منه التفاتة صغيرة تجاه مروان، ثم تطلع اليه
ليخبره بخبث:

_ولعنها والجوكر طفها للأبد.

ضيق عينيه بعدم فهم:

_ازاي، لا ده أنت تقعد وتحكيالي اللي حصل
بالظبط..

جلس "فارس" على المقعد المجاور إليه ثم شرع بقص
ما حدث بالاشتباك بينهما، وتدخل حرس الجوكر
الذي امرهم بدفنهم أحياء ليكونوا عبرة لمن يجراً

على التعدي على احد أفراد عائلة "زيدان"، غمرته
سعادة كلية وهو يستمع لما فعلوه لأجله، فصار على
يقين بأنه رغم عدم امتلاكه لحنان الأم وعطف
الأب الا انه يمتلك عائلة تخشاها اعلى الذئاب...

وضعها "جان" بحرص على الفراش، وجلس لجوارها
يزيح عنها حجابها، ثم خلع حذائها ليدأثرها جيداً،
لون حدقتي عينيه بدى مخيفاً للغاية، فالشخص
الذي يكبت غضبه بداخله دون ان ينفث به يصبح
أشد خطورة عن المتهور الذي يفعل ما يوده دون أي
تفكير، اسرعت "مايست" من خلفه لتتبعها "سلمى"
حينما وجدوه يحملها ويصعد بها مسرعاً، حاولوا ان
يستدرجوا "آدم" بالحديث لمعرفة ماذا هناك
ولكنه صديق وفي رفض الخوض في تفاصيل خاصة
حتى وإن كان فرد أساسي من العائلة، بل فضل
الأنسحاب بشكل كلي، صعدت معاً لغرفتها،

فأسرعت والدته اليه وهي تتساءل بقلق:

_في أيه يا "جان" أختك مالها؟..

بقي ثابتاً، وكأنه لم يستمع شيئاً، فأسرعت "سلمى"

تجاه الفراش وهي تحرك رأس "فاطمة" بضرع،

فسأله بخوف:

_ما ترد علينا يا "جان"، "فاطمة" مالها؟..

خرج عن صمته حينما قال بغضب:

_فاطمة كويست، شوية وهتفوق وغير كده محدش

يسأل..

وتركهما وهبط للأسفل سريعاً حتى لا يحدث ما لم

يحمد عليه قط..

انقبض قلب "مايست" وهي ترسم افتراضات لما يحدث،

وخاصة بعودة ابنتها بتلك الحالة، العروس التي لم

يتم على عرسها سوى ثلاث أيام، فهبطت خلفه

للأسفل عليها تقطع الشكوك التي ساورتها، وجدت

الباب يطرق والخادمة في طريقها لفتحه، أشارت لها

بأن تغادر ثم توجهت لترى من الطارق، وما ان رأت
الطارق حتى رددت بلهفة:

"يامن"، فهمني أنت يا ابني في ايه؟..

وضع عينيه ارضاً بحرج، فجلى أحباله المبتورة قائلاً:
_ انا غلطت في حق "فاطمة" ومفيش اي اعتذار يداوي
اللي عملته..

ضيق عينيها بعدم فهم:

_ غلطت عملت ايه؟..

كاد بأن يجيبها ولكن اخترق الرعد مسمعه حينما
صاح "جان" بغضب:

_ أنت ليك عين تيجي لحد هنا، أنا نبهتك وأنت

مفيش فايذة مصمم اني أرفع ايدي عليك..

حالت والدته بينهما وهي تردد بعدم تصديق:

_ أيه اللي بيحصل ده، انت اتجننت يا "جان..!"

رد بسخط:

_ كنت مجنون لما وافقت اجوزها له وأنا فرحان انها

اختارت صاحبي الشهر، الراجل اللي طلع ميفرقش
عن اللي قبله..

ثم وقف قبالتة ليشير له بشراسة:
_زي ما هو طعن بشرفها انت كمان طعنت في شرفها..
وقعت الكلمات كالصاعقة على والدته، بات الأمر
الآن واضحاً اليها، مجرد تخيل ما مرت به ابنتها جعلها
تهتز من فرط انفعالها، اقترب "يامن" منه وهو يخبره
بصوتٍ شاحب:

_اديني فرصة اصلح غلطتي واكون جانبها يا
"جان.."

منحه نظرة عميقة وكأنه يجاهد شيئاً بداخله، فإذا
وضعت المقارنة بين الصداقة والأخوة ستطب كفة
الروابط، تحرك لسانه الثقيل وهو يردد:
_برة، أطلع بره البيت اللي كلت فيه عيش وملح
ورديته بقلته الأصل ونكران الجميل...
كاد بأن يتحدث فصاح الآخر بعصبية:

_قولتلك اطلع بره..

ابتلع أوجاعه وغادر وقلبه ينزف، عليه ان يذق العلقم
الذي أجبرها على ارتشافه، عليه أن يعاني مثلما جعلها
تعاني...

استعد لعمله، فأرتدأى بذلة أنيقة للغاية، ثم صفف
شعره الطويل بحرافية، نثر البرفنيوم الخاص به
ونظرة الثقة تتوزع على صورته المنعكسة بالمرآة،
استدار "سليم" تجاه الفراش ليجدها مازالت نائمة،
قدميها متكئة على الوسادة ويدها تحتضن الوسادة
الأخرى بنعومة، جلس على طرف السرير وهو يجذب
ما تحتضنه بابتسامة مأكرة، فنادها بصوت مرتفع:
"ريـم.."

نهضت مضروعة وهي تبحث يمينها ويسارها
كالمعتوهة، تعالت ضحكاته وهو يراها هكذا،
فرددت بتذمر ويدها تعبت بعينيها بنوم:

_في أيه يا "سليم" هو أنا في تاني دولة ما أنا قدامك
أهو..!

ابتسم وهو يجيبها بحدّة مصطنعة:

_قولتلك الف مرة لازم أشوفك قبل ما أنزل الشغل
والا مش هعرف أركز بحاجة..!

ابتسمت بخجل، فجلست باستقامة وهي تردد:

_عادي لو مكنتش صحيت ولحقتك النهاردة كنت
هجياك المكتب ايه المشكلة يعني..!

رفع يديه ليزيح تلك الخصلة المتناثرة على عينيها
خلف أذنيها وهي يردد بنفس لهجتها:

_المشكلة هتكون كبيرة ساعاتك لأنني كده مش

هعرف أشتغل والشركة هتقع وهجي آخر الشهر مش

هعرف ادبر رواتب الموظفين وإحتمال أخسر مركزي

وسمعتي في السوق يرضيكي كل ده يحصل..!

جحظت عينيها وهي تردد في صدمتها:

_بس بس أيه كل ده..!

اقترب منها وهو يجيبها بخبث:

_ صدقتي أن الموضوع كبير، يبقى لازم من نفسك
تقومي كل يوم تودعيني وبعد كده تكلمي نومك
براحتك ولا أيه؟..

ابتسمت على دهائه وان يكن يروق لها الأمر،
فاستغلالة لكل لحظة ممكنة تبقيا لجواره تشعل
الحب بصمام القلب، اقترب منها "سليم" وهو يغمز
بمكر:

_ ها، مش هتودعيني بقا..

التفت بها الغرفة، فشعرت بتثاقل انفاسها، انتباها
الغيثان بمجرد شم رائحة البرفنيوم الخاصة به، على
الرغم من عشقها لرائحتها الممتزجة برجولته،
تباعدت عنه على الفور وهي تجاهد البقاء بعيداً
عنه، ظنه دلال ومشاكسة منها فأقترب منها مجدداً،
رددت بأنفاس متثاقلة:

_ أبعد يا "سليم" ..

وقبل أن يفهم ما تلقيه على مسمعه كانت قد
ركضت بالفعل تجاه حمام غرفتها لتفرغ ما بجوفها
بتعبٍ شديد، شعرت "ريم" بأنها على وشك السقوط
أرضاً من شدة الدوار، فأسندتها على الفور، لتعود
للاستفراغ من جديد، فهمست بضعف:
_مش طايقته ريحة البرفان اللي أنت حاطه..
تفهم ما تمر به، فأمسك بمعصمها بحذرٍ من أن تسقط
على أرضية الحمام الصلبة، ثم بيده الأخرى خلع
جاكيتيه ليحرر ازرار قميصه الأبيض، القاه بعيداً
ليقربها من صنوبر المياه حتى تغتسل، ثم حملها
للضراش مجدداً وهو يتساءل بخوف:
_أحسن دلوقتي؟..

اكتفت بهز رأسها وعينيها تنغلق بارهاقٍ شديد، تطلع
لساعة يديه ليجد الموعد المحدد للاجتماع قد
اقترب، فكاد بالولوج لخزانته ليرتدي شيئاً آخر
ولكن قلقه وخوفه عليها انتصر بالآخر رغم أن ما

تمر به أعراض عادية تتعرض له أي امرأة حامل،
جذب "سليم" هاتفه ليطلب من السكرتيرة تأجيل
الاجتماع للغد وفضل الجلوس لجوارها حتى
تستيقظ..

اتجهت لغرفة صغيرتها بعد أن أطمئنت من المربية
بأنها قد اطعمتها، ولجت للغرفة لتجده يحملها بين
يديه بحنان، ويقف جوار الشرفة كأنه يريها اطلالة
الصباح، اقتربت منه "حنين" قائلة بضيق:
_ أنت قومت من جانبي الصبح علشان تيجي تقعد
معاها هنا..

انتبه الجوكر لوجود قصيرته ذات اللسان السليط
بالغرفة، فقال وعينيه تتابع حركات ابنته
التلقائية:

_ حاسس بلهجتك انك قفشتيني مع واحدة شمال،
دي بنتي..!

وقفت مقابله واضعة يدها بمنتصف خصرها وهي
تجيبه بعدم مبالاة:

_وأنا مراتك وليا الحق الأكبر فيك مش هي..

ابتسم وهو يتابعها بمكر:

_أه، ده أحنا هنبتيها غيرة بقى..!

أجابته بتحد:

_سميها زي ما تحب، المهم تكون معايا..

علت صوت ضحكته الرجولية، فوضع "مرين"
بالتخت الصغير، ثم اقترب ليقف قبالتها، جذب يدها
اليه وعينه تتطلع لها بنظرة شوق:
_أنا معاك حتى لو مش موجود...

نظراته الحادة لم تلين بعد، فجذبها اليه ليستند
بذقنه على كتفها ليحثها على التقدم لفراش
الصغيرة وهو يسترسل حديثه بهمس:

_كفايا أنك شايفة بعيونك ثمرة لحبنا بتكبر
قدام عيونك، فيها ملامح مني ومنك، واسمها اللي

بيجبرك تنطقي اول حروف اسمي وآخرهم اسمك
اللي هيربطك بيا طول العمر...

أغلقت عينيها بضعف وهو تستمع لهمسه الخافت،
فاستطرد قائلاً ويديه تحتضن جنينها:

_حتى لو أنا مش جانبك فأنتي شايلة حتة مني
هتجبرك تحسي بوجودي طول الوقت...

وأدارها اليه، لتقف قبالة ليشير لها بعشق:

_لازم تكوني على يقين أن البعد بينا مستحيل في
ألف حاجة وحاجة هتربطنا ببعض يا "حنين..!"
ارتمت بأحضانها بابتسامته عذباء، لتجده مرحباً بها
كعادته، التفت به الأشواق فجعلته يخبرها بمعانته
حينما رد بصوت منخفض:

_حتى لو فرضتي بينا ألف حاجز هستناك تشليه
بنفسك حتى ولو كان مفروض لآخر العمر..

كلماته أذابت ما وضع بينهما، فوجدت ذاتها تهدم
ذاك الحائط السميكة بينهما، لتصير اليه قلب

وقالباً، دعتة هي لعش غرامهما فأن كان متفاجئ مما
فعلته ولكنه لم يعطي ذاته مهلة التفكير، بل
استغل كل لحظة ليروي الشوق القاتل النابع
بداخله..!

حينما يزورك الحب مرة وتجد سهام الشكوك
تهاجمك فتحطمه بيدك وتغلق قلبك بقفل
سميك، ويمنحك القدر فرصة أخرى لتجدد آمالك
بطلب الحب الطاهر فتدب السكينة والراحة
بأواصرك، فترسم آمال وتبني احلاماً كنت قد
ظننت بأنها انقطعت مع رحيل الحب الأول، فتصعق
حينما تجد طريق الحب الثانى يجتازه القدر الأول،
لتجد نفسك أمام خيار مشابه، وأنت بكلتا الحالتين
بموضع شك واتهام، أي سكينة ستعدها وقد حطم
قلبك مرتين...!!

بكاء العوالم بأكماله لن يرمم وجعها، فباتت

كالدمية التي انقطعت أحبالها، حاولت الفتيات حثها
على الحديث ولكن "فاطمة" كانت كالصنم، بلا
روح أو حياة، أخبرتهما "سلمى" بما تعرضت له على يد
زوجها فانفطر قلوبهن جميعاً عليها....

الجميع كان حزين لأجلها الا واحدة منهن فقط
استطاعت الشعور بها جيداً، ربما لان ما حدث لهما
مشابه حتى وإن كانت التفاصيل مختلفة، تركتهما
"منة" ودموعها كالشلال تأثراً بما تعرضت له
"فاطمة"، أختارت البقاء بمفردها بحديقة القصر
الواسعة، لعل هوائها النقي يبدد فتيل الماضي
المؤلم، شرود طويل جعلها مغيبة حتى عن سماع
الهاتف الذي يدق أكثر من ألف مرة، أكملت طريقها
البطيء بشرود، فأعاد من اقترب منها الاتصال مجدداً
وعينيه تراقبها بغضب، ليرى ان كانت تتجاهله عن
عمد، انكملت ملامح وجه "فارس" بدهشة حينما

رأها تخطو دون وعي منها الى أي وجهة تختار، حتى
انها وقفت امامه ولم تنتبه لوجوده، وجد الدموع
تنسدل على وجهها دون توقف، فسألها بقلق:
_في أيه؟..

صوته كان له الفضل لتعد لدرج الواقع، فوقفت
تطالعه بنظرة مطولتة، طرحت بها مقارنة سريعة بين
موقفه وموقف "يامن"، فرأت نبلة ورجولته بموقف
كذلك، تشبثت باحضانه وقد خرج صوتها
المكبوت ليصاحبه شهقات مؤلمة، بكاء زلزله
وجعله عاجز عن فهم ما بها، فربت على ظهرها وهو
يسألها مجدداً:

_في أيه، حد زعلك؟..

هزت رأسها بالنفي، فجذبها لتجلس على الأريكة
الصخرية المزينة بأوراق من الأشجار، ثم جلس
جوارها قائلاً باهتمام:

_أنا اللي مزعلك صح، انا عارف نفسي عصبي وغبي

أكيد قولتلك حاجة كده ولا كده..
ابتسمت وهي تزيح دمعاتها ورأسها يهتز بالنفي للتهمة
الباطلة التي يتهم بها ذاته، فزفر بضيق:
_ طيب قوليلي أنت في أيه؟..
عبثت بأصابعها بارتباكٍ وهي تجيبه:
_ أنت عرفت اللي حصل لفاطمة؟..
كان قد علم من شقيقه مسبقاً عما فعله "يامن"
بابنة خاله، وبالطبع يشعر بالاستياء لما حدث، أوماً
برأسه وهو يجيبها:
_ أيوه عرفت من "آدم" اللي حصل، بس بتسألني ليه؟..
أجابته بعد مهلة من الصمت المطول:
_ أنت كان ممكن ببساطة تشك فيا زي ما هو شك
فيها بس بالرغم من كده كنت متفاهم معايا
ورفضت حتى تشوق التقارير مع أن كان ممكن تطلب
أن دكتورة تأكد لك كلامي وساعتها هيكون
معاك حق بس أنت معملتش كده يا "فارس" وده زاد

من ثقتي في حبي ليك على عكس فاطمة، وجعها
كبير ومش ممكن حاجة تدأويه..

تمهل حتى انتهت من حديثها، فمر يديه برفق على
يدها وهو يجيبها بحرص بانتقاء كلماته:

_ ما تحطيش نفسك بمقارنة مع حد يا منة، كل
واحد وببختلف عن الثاني، أنت كبرتي قصاد
عيوني، عمري ما كنت هشك فيك ابدأ لكنك
تربية ايدي قبل ما تكوني حبيبتي ومراتي، يمكن
كثير كنت بكون قاسي عليكى وغيور من ناحية
اي شخص..

منحته نظرة ساخرة ففهم مغزاها ليوضح لها ساخراً:
_ خاصة الحيوان اللي اسمه مروان بس أي راجل شرقي
اتولد وجواه حتة الغيرة تجاه حبيبته واهل بيته
فمقدرش ابررلك ده لكن اللي أقدر أقول هو لك أني
لو هشك في حد فأنت آخر واحدة ممكن اشك
فيها، بس برضه بلاش نقارن موقفى بموقف "يامن"،

انا على قد ما أنا زعلان من اللي عمله بس مديله مبرر،
اي شخص مكانه كان هيكون ده تصرفه وخصوصاً
باختفاء ايام اللي جيه في وقت حساس زي ده، كلنا
بنغلط يا منة بس حجم الغلط اللي بيضرق وبرضه
اللي بيدي فرصة لتصليح الغلط ده بيكون مستعد
يتحمل نتايجه والموضوع ده كله يخص اتنين بس"
فاطمة" و"يامن.."

هزت رأسها باقتناع تام، وعلى وجهها ابتسامه اعجاب
بمعشوقها المتهور الذي فاجئها بامتلاكه عقل ظننته
يوماً فقدته بمشاكساته الدائمه مع توأمة الشرس
مروان..

رست السفينه أمام الشاطئ، فهبط "رحيم زيدان"
ليمد يديه لمن تتبع خطاه بترقب، مدت يدها دون
تردد او تفكير ليعاونها على ملامسة الرمال أسفل
قدميها، فلم يتمكن من اخفاء ابتسامته وان كانت

عابثاً بعض الشيء لم يسعده حتى وإن كان بسيط
فهو يعد منها بالكثير، راقب المكان من حوله
فوجد غايته حينما وجد "حازم" بانتظاره، فتح الباب
الأمامي لها وهو يشير لحازم بهدوء:
_أرجع انت مع الحرس انا اللي هسوق..
أوماً برأسه في وقارٍ ثم عاد ليصعد بالسيارة بالخلف،
ليغادروا بأمرٍ من الاسطورة، اما "رحيم" فأتجه بسيارته
تجاه وجهته المحدودة، نادته "شجن" باستغراب:
_"رحيم..!"

استدار برأسه تجاهها، فتساءلت بدهشة:
_ده مش طريق الرجوع..
ابتسم وهو يجيبها بغموض:
_في مكان هنروحهُ الأول..
بادلته الابتسامته وهي تعبت بهاتفها بأريحية تامّة،
حتى لم تهتم لمعرفة الى محل سياخذها..

رغم تردده ورغبته في عدم رؤياها الا انه احترام عهد
ال صداقة فيما بينهما ، فقصد المقهى المحدد لرؤيتها ،
فما ان وقعت عينيه عليها حتى دنا منها قائلاً بلهجته
جافة:

_ نعم! ، بعثلي رسالتك انك عايزة تشوفيني ليه؟..
خلعت "يارا" نظارتها السوداء وهي تشير على المقعد
المقابل لها قائلة:
_ أقعد يا "علي" ..

الفصل الثالث والخمسون...

حينما يجمعك الوصال بشخص تلجأ إليه كلما زادت همومك ومتاعبك؛ فيكون هو وسيلتك بالنجاة إن كان الاحتياج مادياً أو معنوياً فتظن أن العلاقة فيما بينكما تساق بروابط الحب والزواج ربما أنت مخطئ، فالحب الذي سيجعلك تختار شريك حياتك عن قناعةٍ ينجح بجعله صديق لك، فليس كل صديق زوج رائع، وهكذا ما حدث بينهما، ظنته "يارا" ونعم الصديق وظنها هو بأنها خير الزوجة وحينما طرق الحب بابها جعلها تفرق بين معنى الكلمتين، طال صمتها والآخر يترقب باهتمامٍ ليعرف لماذا طلبت منه الحضور إلى هنا رغم ما حدث بينهما واختيارها، مزقت صفحة الصمت الخالية حينما قالت بتريث: _أنا عارفة أن طلبي مش مفهوم بالنسبالك بس صدقني لو مكنتش طلبت أشوفك كنت هعيش في

حيرة ووجع..

ابتسم وهو يردد ساخرًا:

_حيرة ووجع!، ليه أنت مش اختارتني عن قناعة؟..
تفاوضت عن كلماته الساخرة، وأردفت بدموع تالأأت
بحدقتي عينيها:

"_علي" أنا عمري ما كان ليا صديق غيرك، كنت
بعتبرك أقرب شخص ليا بالرغم من أن "مراد" كان
على طول جانبي وانت عارف أنني بعتبره اخويا
الكبير بس كنت بلجئ ليك انت، بحكيالك عن
أسراري وكل حاجة تخصني، كنت شايفاك أخ
وصديق وكل حاجة بالنسبالي..

خرج عن دوره المماثل بالبرود وعدم المبالاة بها
حينما ردد بانفعال:

_أنت لسه عايزة أياه يا "يارا...!"

أجابته ببكاءٍ شقت دمعاته الحارقة وجهها:

_عايزك تفهم اني طول عمري شايفاك صديق ولما

طلبت تتجوزني حسيت اني مرتبكة ومش عارفة
اخذ قرار لاني مكنتش عايزة اخسرک ولما فکرت
مع نفسي لقيتک المناسب ليا خصوصاً ان مكنش في
حد في حياتي، بس لما شوفت " مروان " ودخل حياتي
غصب عني حبيته وقدرت أميز بين الحب وال صداقة..
صمت وهو يراقبها باحاسيس يکبتها بألم،
فاستطردت ببكاء:

_أنا لو كنت وافقت اتجوزک كنت هظلمک معايا
لأنی بحبه هو..!

زفر على مهل وكأنه يخرج العبء الثقيل عن صدره،
فاستغلت صمته وانصياحه له، فقالت بتوتر من سماع
ما سيقوله رد على حديثها:

_أنا عارفة ان في المجتمع الشرقي مفیش أي علاقة
صداقة بتجمع الست بالراجل ، بس أنا حبیت
احترامک ليا ومعاملتک، علشان کده أنا طلبت
اشوفک النهاردة وحابة أنك تشارکني في المصحة

بتاعتي انت عارف اني فرحي قريب ومحتاجة حد
يكون مكاني..

ترقبت صمته بخوفٍ وكان إحتمالية رفضه كانت
تفوق الأحتمال الآخر، تمننت بأن تتساوى الأمور فيما
بينهما حتى يرتاح عقلها من التفكير بالأمر، دقيقة
تليها الأخرى ومازال الصمت يسطر حروفه بتثاقل،
يتأمل الفراغ بهدوءٍ، إلى أن خرج عن طوره حينما ردد
بلهجته الغامضة التي سلبت خوفها أسير:
_أنتي عارفت أني بدير مستشفى برة مصر فمش هقدر
أكون متواجد هنا كثير...

أحتل الحزن وخيبة الأمل على قسماات وجهها
فاسترسل حديثه بابتسامته خبيثة:
_بس طول الفترة اللي هقضيها بمصر علشان احضر
فرحك هتابع الشغل بدالك لحد ما ترجعي..
ابتسامته واسعة تشكلت على وجهها رغم الدموع
المنسدلة من عينيها، فرددت بفرحة كبيرة

منغمسة بلهجته المرحية:

_بتنجح تعصبي وتلعب على أعصابي على طول..

ابتسم وهو يرد على اتهامها بمشاكسة:

_الأخ لازم يحترم ولا ايه..!

الهبّت السعادة عينيها بدموع الفرح، يروق لها تقبله
كونه شقيقها فقط، فحمدت الله بأنه وفقها بعدم
خسارة زميل بأخلاق "علي" وإن تكن بأشد الاحتياج
لطبيب متخصص يكون محلها بالعيادة والمصحّة
النفسي لحين عودتها..

توقفت سيارة "رحيم زيدان" أمام وجهته المحددة،
ففتحت "شجن" نافذة السيارة لتتأمل باهتمام ما الذي
يعده لها، تابعها بنظراته الهائمة فقال بثباته
الغامض:

_انزلي...

فتحت بابها ثم هبطت وهي تتسائل باستغراب:

_أحنا هنا ليه؟.

تجاهل كلماتها فلف معصمه حول لائحتها، ليجبرها
على المضي قدماً، حتى وصلوا للباب الزجاجي الضخم
الخاص بأحد محلات المول الكبير، لاح على وجهها
بسمته انبهار حينما وجدت ذاتها بمحل فخم، ممتلئ
بالعاب وملابس الأطفال، تحولت نظراتها لتتعلق
بزيتونية عينية التي تتأملها بترقب رد فعلها، وقضت
مقابله وهي تردد بارتباك لعدم اختيارها للسؤال
الصائب بذاك الموقف الغريب:

_أنت جاييني هنا ليه..!

ابتسم وهو يرد عليها بلهجة مأكرة:

_جيبك أنت وهو تنقي اللبس والألعاب..

تلقائياً رفعت يدها تتحسس بطنها المنتفخة قليلاً،
وبداخلها حنين لرؤياها وضمه لصدرها، عاطفة
كبيرة تسوقها لرؤيته يحمل صغيرها بين يديه،
انارت الفرحة وجهها فجعلت نظراتها ساحرة، تقتص

من أبواب قلبه فتدفعها بشراسةٍ تزف النبضات
أقصوصته بحنينٍ، رغبتها بالتطلع إليه جعله يود
قضاء الف عام مقابلاً، تعلقت عينيه بشفتيها التي
نطقت بكلماتها المستحيلّة:

_بحبك...

شعروك أنه فقد السمع، أو شوقه الكبير لسمع
تلك الكلمات جعلته يتوهم سماعها، بل شفتيه
بلعابه وهو يسألها بتوتر لم تعهده هيبتة من قبل:

_قولتي أيه؟..

أخفضت نظراتها أرضاً باستحياءٍ، فتركته وإقتربت
من الرفوف الممتلئة بالألعاب الاطفال الجذابة، ادعت
انشغالها باختيار احد الألعاب على شكل سوبر مان،
اخذت تلهو به، وكأنها تتفحصه، اتبعها "رحيم"
فاستغل ذاك الرف البعيد عن الأعين، فوقف أمامها
محاصرها بجسده الصلب، ابتلعت ريقها بارتباكٍ،
فأجلت أحبال صوتها وهي تحاول الصمود أمامه:

_آآ.....آ...

رفع حاجبيه وهو يهمس بخبث:

_مش سامعك..!

وزعت نظراتها بين الارض تارة وبين عينيه فقالت

بخجل:

_أبعد، المكان فيه ناس..!

أجابها بصوته الرجولي:

_ميهمنيش حد، مش شايف غيرك أنت..

لم تستطيع إخفاء بسمتها، فرفع ذقنها بأنامله حتى

ترى نظراته النافذة إليها، فقال بعد مدة طالت

بصمتهما:

_كرري اللي قولتيه تاني..

انخفضت لرغبته فقالت على استحياء:

_بأحبك...

وبلهجة مريحة اختارتها للهرب من نظراته الفتاكة

بعدها ابتعدت عنه قليلاً لتجذب احد العربات

المتحركة الخاصة بالتسوق:

_بحبك ومتقبلاك بحالاتك العجيبة..

ضيق عينيه في ذهول:

_حالات ايه؟..

قالت وهي تضع اول زي أعجبها بالعربة:

"_فريد"، أو "رحيم زيدان" الغير مفهوم.

ضحك بصوته كله فاتبعها ليجدها تقف امام أحد

الملابس تتطالعها بهيام وفرحة، فوضعتها بالعربة

وهي تردد في حماس:

_كل حاجة جميلة شكلي هجيب المحل كله..

ثم اشارت بأصبعها تجاهه:

_أنا مش طماعَة اوعى تفهمني غلط بس هدوم البيبي

اللي كيوته وبتشد كده..

بقيت نظراته مسطرة على بسمتها التي خطفت عقله،

فرفع يديه ليمرر أصابعه حلقات حول يدها الممدودة

على حافة العربة، قائلاً بصوته الرخيم:

_ كل الي عينك تيجي عليه بقى ملكك..
سحبت يدها بخجلِ فعادت لتتنقى ما تريد ، اما هو
فاستند على حافة الطاولة العملاقة من جواره ، فعبث
بهاتفه قليلاً ، ليجدها تهزول اليه وهي تريه ما تحمله
قائلة بفرحة:

_ شوف الفستان ده جميل ازاي يا "رحيم" ؟..
وزع نظراته بينها وبين ما تحمله ، فحك طرف انفه
وهو يتساءل بدهشة:

_ مش الدكتورة اكدتلك انه ولد...!
اشارت له بتأكيد ، ثم عللت موضحة:
_ آه ، بس أنا جيباه لمرين لو صغير عليها "حنين"
تحتفظ بيه لحد ما تعرف نوع الجنين ايه...!
ردد بتعجب:

_ هي حامل...!
أشارت له بضحكة رقيقة:

_ ايوه..

ابتسم بفرحةٍ ظهرت على وجهه، فأشار لها بحب:
_ اختاري الي تحبيه، انا جانبك هنا بعمل كام
مكالمة مش هخرج برة المول..

هزت رأسها بتفهمٍ، فتابعها بنظراته وهو يبتعد عنها،
الحب كان يتأرجح بعينيها الهائمة به، ترى ذاتها
المرهقة ذات الجدائل التي يطرق الحب بابها للمرة
الأولى، أصبحت تعشقه وتعشق همساته إليها، تشتاق
لرؤياه حينما يبتعد عنها، انتبهت لوقفاتها وشرودها
الغريب، فابتسمت وهي تدفع العربة لتستكمل
جولتها بالمكان الذي استمتعت بزيارته كثيراً،
انشغالها بتطلع الاشياء جعلها لم تنتبه لمن تقف على
بعد منها وتشير بأصبعها لوالدتها تتساءل بدهشة:
_ مش دي "أشجان" الي كانت ساكنة في البيت الي
قصادنا جنب طنط "نجلاء.."

اعتدلت الأم بوقفاتها وهي تتطلعها باهتمامٍ، فاجابتها
في استغراب:

_أه والنبي هي، بس ايه اللي جابها هنا..!

اجابتها ابنتها بنوع من الشماتة:

_سمعت انها بعد ما سابت الحتة هي وأمها اتجوزت

واحد غني أوي بس كبير بالسن..

تشدقت الأم باستنكار:

_أتاريها سابت الحتة هي وأخوها، فص ملح وداب..

واسترسلت حديثها بابتسامته ساخرة:

_اللي كان يشوفها وهي هتموت ورا ابن نجلاء لما

دخل السجن، كان يفكر انها مش هتتجوز ابداً..

اضافت ابنتها بحنق:

_ما انا قولتلك ياما شغل الحب وروميو وجوليت اللي

كانوا واهمين الحتة بيه كله بالفاضي ده قلت

حيت، ومصيرها تدور على نصيبها مع اللي يشيك

عليها..

وقالت كلماتها الاخيرة وهي تمرريدها بفخر على

الأساور الذهبية التي ترتديها قائلة بغرور:

_لو أنا كنت عملت زيتها وحبيت واد كحيان من
الحتة مكنش عمري شوفت الخير ده ولا دخلت
الاماكن دي عمري..

تعلقت نظرات المرأة بشجن، فلكرت ابنتها قائلة
بتسليّة:

_تعالى يا بت نسلم عليها..

فهمت الاخيرة ما ترمي به والدتها، فدفعت العربية
وهي تجيبها بسرور:
_بيننا ياما..

التقطت احدى الدميات بين يدها، كانت تطالعها
باعجاب شديد، أرادت الاحتفاظ بها لنفسها فوضعتها
بالعربة، كادت بالانتقال للرف القادم فانتبهت
لصوت قادم من خلفها:

_ازيك يا "أشجان" عاملة أية يا حبيبتي..
وقفت قبالتها تحاول تذكر ملامحها المألوفة، فردت
ببسمّة بشوشة:

_خالت أم نعمت، ايه الصدفة دي..

احتضنتها بترحاب زائف وصوت القبلات يعلو بطريقةٍ
مقرزة، ثم تبادلت ابنتها السلام الحارق معها، فقالت
الأخيرة بخبت:

_والله وليك وحشة يا بنتي، من يوم ما اختفيتني من
الحتة انتي وأمك من يوم المشكلت إياها ومحدث
عرف يعترف فيكم..

ما مر كان من رواسب الماضي، وما زالت تتذكره حتى
وإن لم يكن على لسان أحداً، كادت بأن تجيبها
ولكنها استرسلت كلماتها قائلة بلهجتها الماكرة:
_البت "نعمت" بنتي بتقولي انك اتجوزتي راجل
كبير بس غني ويعتكم على قرشين، قولتله
جدعة بدل ما تخيب خيبة أمها اللي عاشت طول
عمرها تصرف على راجل خايب مص دمها..

أشتعلت مقلتي "شجن" وهي تستمع لتلك المرأة،
كانت تظن بأن اقتراقهما وتقدمها بالعمر سيغيرها

قليلاً ولكنها مازالت ثرثرة كما كانت، بل الألعن
من ذلك رغبتها في جرحها عن قصد، التزمت الصمت
وهي تتابع ما تمليه المرأة على مسمعها، فتدخلت
ابنتها "نعمت" بالحديث قائلة بلهجة شامتة تزينها
بحب كاذب:

وما له ياما ما كل واحدة بتدور على مصالحتها، الحب
محدث بياخذ منه حاجة وانا ياما قولت لها زمان
سيبك من "فريد" واستني عدلك وأديها أهو عملت
بنصحتي..

أخيراً تحرر لسانها المعقود، فقالت بثبات احترافي
وثقة تتزين بها فطالما كانت ترى الحقد
والكراهية بعينها حينما كانت ترى حب فريد لها
رغم أنهم كن فتيات لا تتعدى أعمارهم الرابعة
عشر، وحتى بعد مرور هذا الوقت الطويل مازالت
تحقد عليها وتستغل الفرصة التي ظنتها متاحة
للشامتة:

"فريد" هو نصيبي من الدنيا، مهما بعدنا وافترقنا

بنتجمع ثاني..

أجابتها "نعمت" بسخرية:

_طب حاسبي على كلامك لجوزك يسمعك أو حد

كده ولا كده..

ردت "شجن" بابتسامته واسعة:

_وليه مهو جوزي معايا هنا، ثواني أعرفكم عليه..

استداروا سوياً للخلف حينما أشارت لهما على من

يتقدم منهن، بذاك الوقت كان "رحيم" قد انتهى

بمكالمة بمراد، فولج للداخل ليري ان كانت

انتهت بعد، رآها تشير له بالاقتراب، فدنا منها وهو

يسألها بثبات:

_خلصتي يا حبيبتي!

أومأت له برأسها، فانتبه "رحيم" لصوت المرأة حينما

رددت في تعجب:

_هو ده جوزك..!

أشارت لها بنعم ، فتدلى فك ابنتها للأسفل في

صدمته، فسألتها والدتها بدهشة:

_مش بتقولي راجل كبير في السن..!

تمكن "رحيم" من التعرف عليها، فقال بهدوء:

_أزيك يام "نعمته"، عاملة أية؟..

رددت في ذهن من معرفته لها:

_أنت تعرفني..!

كاد بأن يجيبها فقاطعته "شجن" عن عمد وهي توجه

حديثها إليه بدلال متعمدة لفظ اسمه:

_أنت عرفتها ازاي يا "فريد" ده أنا أخذت وقت عما

افتكرتها..!

قالت بصدمته:

"_فريد..!"

هزت "شجن" رأسها وهي تؤكد لها، قائلة بنوع من

الغرور يلتسمه "رحيم" بلهجتها لأول مرة:

_كل المعلومات اللي قالتها لك بنتك صح، بس

ناقصة حاجتين اني اتجوزت "فريد" وقصتنا منتهت
ولا حاجة وانه مبقاش في السجن خلاص بالعكس
بقا ظابط اد الدنيا..

بسمت خبت لاحت على شفتي "رحيم" الذي بدأ بجمع
الخيوط ليعلم ما الذي حدث هنا ليجعلها بتلك
الحالة الغريبة، ودعتها "شجن" على مضض:
_يا خبر احنا اتاخرنا وعطلاناكم معانا، يلا يا
"فريد"، اشوف وشك بخير يا خالتي..
وتعمدت قولها بدلال، أشار "رحيم" للحارس الذي
هرول على الفور ليدفع العربية من خلفه، وهو يخبره
بحزم:

_خد الحاجة على القصر وخلي "حازم" يبلغ الحرس
بالي قولتله عليه..
أجابه الحارس في وقار:
_تحت امرك يا باشا...

وغادر "رحيم" المكان بأكمله ليلاحق بها بالسيارة،

تاركاً النيران شاعلةً باجسادهم لتردد بحقدٍ وهي

تتابعه بعينها الناقمة:

قصر وحرس...!!!

بالسيارة..

قاد بصمتٍ والابتسامة لا تفارق وجهه، لمحتها "شجن"

والغیظ يتمكن منها، فزفرت وهي تخبره باستسلام:

_ست مش طبيعية، لسه فيها طبع الشماتة ده أعوز

بالله..

أجابها بمكرٍ وعينيه مثبتة على الطريق:.

_ايوه، بس انتي ادتهم لها صح، اعتقد انها مش

هتفكر تضايق حد تاني...

تعالت ضحكاتها المرحية، فقالت بصعوبة بالحديث

وسط موجة ضحكاتها:

_تستاهل هي اللي جابته لنفسها، وبنتها بتقولي قال

ايه اتجوزتي راجل كبير علشان القرشين اللي وراه،

حصوة في عينها ده أنا متجوزة عم الشباب كلهم..
أوقف "رحيم" السيارة فاصدرت صوت مزعج، فاستدار
إليها ليسألها بجديّة:

_ أنتِ مش طبيعيتِ النهاردة، حاسس أن فيك حاجة..
تطلعت لذاتها ثم تطلعت إليه وهي تتساءل بخوف:
_ فيا أيه؟..

رد عليها بسخريّة:

_ لا مهو ده اللي هحاول اعرفه، مرة بحبك والوقتي
بتدافعي عني بطريقة تخليني اشك أنك أنتي اللي
قاعدة جانبي، دي هرمونات زيادة ولا أيه؟..

ابتسمت وهي تجيبه على استحياء:

_ لا دي طبيعتي اللي كنت بحاول ادفنها ورا وش
النكد والتفكير في اللي فات، فبقيت بجبر نفسي
أبص لقدام وأفتح صفحة جديدة..

ثم اردفت بخبث:

_ ولا أنت عاجبك شجن كآبة لو عجاك ممكن

أرجعها ثاني..

استمدت عينيه نور العشق الضائع من عينيه اللامعة،
توقفت عن الثرثرة وهي تراه يتأملها بطريقته تلك
التي تستهدف قلبها المسكين، ليت النظرات عناق
يدوم طويلاً، ليت غصون العشق التي ظلت عليهم
بتلك اللحظة تدوم، ابتعدت "شجن" عنه سريعاً
بخجل وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة، حاولت ان تلهي
نظراتها بالتطلع من نافذة السيارة هرباً من رؤياه بعد
سماحها له بخطط ورقته من ربحها، ابتسم "رحيم"
وهو يراها تلهي ذاتها، فأكمل قيادة وبعد دقائق
طويلة صف السيارة أمام أحد محلات الفساتين
المميزة، ليجعلها تنقي ما تريد حتى يتوجهون سوياً
لاقتتاح مطعم "يوسف.."

طرقت على باب غرفتها أكثر من مرة، وحينما لم
تستمع رداً ولجت للداخل لتجدها جالسة على الفراش

شاردة للغاية، اقتربت "منّة" منها وهي تردد بغضب:
_بقالي ساعة بخطط على الباب وانتى ولا انتى هنا..
اعتدلت "سما" بجلستها ومازال وجهها عابس للغاية،
جلست منّة جوارها وهي تتساءل بقلق:

_مالك يا بسيوني، مش عويدك النكد يعني؟..
منحتها نظرة جانبية محتقنة ثم عادت للعبوس
مجدداً، فأخرجت "منّة" المسكات من الحقيبة
الصغيرة التي تحملها قائلة بفرحة:

_ده أنا كنت جايت أحطلك المسك علشان بكره
بالفرح يكون وشك منور كده، ولعلمك محدش
هيزوقك غيري يا عروسة..

الحزن القابع على وجهها جعل الاخرى تضع الحقيبة
من يدها لتسألها بجديّة:

_مالك يا سما، قلقتيني!..

خرجت عن رداء الصمت حينما قالت بخوف:

_ما انتى شايفت اللي حصل مع "فاطمة"، الفرع اللي

رسمته اتهدم وباید جوزها ، خایفته یحصل معایا
حاجتہ من النوع ده..

تفهمت "منة" قلقها وخاصة بتقارب المدة بين زفافها
وزفاف "فاطمة" ، فقالت بهدوء:

_ أنت متشائمة اوي يا "سما" ، اللي حصل مع "فاطمة"
سوء تفاهم والحمد لله ان برائتها ظهرت..

رددت بسخرية يغلفها الألم:

_ ظهرت بس بعد ما كسرها وهانها..

أمسكت "منة" يدها وهي تحاول اخراجها مما تفكر
به:

_ فاطمة تهملك وتهمنا كلنا ، بس مش منطقي نربط

الاشخاص كلهم ببعض ، "آدم" مش زي "يامن"..

ثم اخرجت علبة المسك لتقربه منها قائلة

بابتسامة رقيقة:

_ يلا سيبك من كل ده وخلينا نركز في جلستة

التنظيف معتش معانا وقت..

اسكانت "سما" لتتركها تضع المسك وغيره من
منظفات على وجه العروس، بينما هي شاردة بوادي
آخر الخوف من ليلة الغد هو موجه الوحيد..

مر أكثر من أربعة ساعات وما زال يجلس بسيارته،
يراقب القصر جيداً على أمل ان يترك "جان" القصر
لعمل طارق فيدلف ليراها، وقد منحته الظروف ما أراد
حينما خرج "جان" ليتجه للمشفى للأطمئنان
على "إياد" بعدما علم باستعادته للوعي، تابعه حتى
صعد لسيارته وما أن غادر حتى تسال للقصر، فولج من
الباب الجانبي ثم صعد لغرفتها دون أن يصدر صوتاً،
فتح باب غرفتها وعينيه تشتاق لرؤيتها، وبخطواتٍ
حذرة تقدم من الفراش ليجدها نائمة بعمق، جلس
مقابلها وهو يتأملها بانكسار، وجهها الشاحب، عينيها
المنتفخة التي تنقل له كم الدموع التي لاقتها،
كل هذا أستكان الوجع بداخل قلبه الذي يئن نداماً

على ما ارتكبه بحقها، رفع "يامن" أصابعه ثم قربها
ليمررها على خديها الأحمر برفق، شعرت بوجود
أحداً لجوارها ففتحت عينيها لتتهجم ملامحها فزعاً
حينما رآته امامها، كادت بالصراخ به فكمم فمها
بيديه وهو يهمس لها بصوتٍ منخفض:

_عشان خاطري اديني فرصة، فرصة واحدة بس، أنا
عارف اني غلطت بس والله غصب عني معرفش ازاي
عملت كده، الشيطان عماني..

دفعته بعيداً عنها وقد تحرر صوتها المنفعل:
_أبعد عني، متقربش مني أنت فاهم..
ابتعد عن الفراش، وهو يشير لها بيديه لتهدأ:
_هفضل بعيد بس أرجوكي تسمعييني يا "فاطمة..
وضعت يدها على آذنيها وهي تصرخ بكرة شديد:
_مش عايزة أسمع حاجة، أخرج من هنا مش طايقته
أشوفك..

خنجر مسنون طعن قلبه للمرة التي تعدت الخمس

مرات، ومع ذلك حاول السيطرة على ذاته وهو يخبرها
بهدوء يجاهد للتحلي به:

_اللي حصل كان صعب يا "فاطمة"، أنا مش ببرر
لنفسي الغلط بس أنا جاي علشان اعتذرلك بدل
المرة الف وأقولك سلمحيني وادينني فرصة أصلح
اللي فات..

اجابته بابتسامته منكسرة:
_اللي أنت كسرتة فيا مستحيل هيتصلح..
ثم استطردت بوجع بدى بصوتها:
_لو عايز فعلاً تحافظ على اللي باقي ليك بقلبي
يبقى تطلقني وكل واحد يروح بطريقته..
في تلك اللحظة لم يستطيع ان يظل بعيداً، اقترب
ليقف قبالتها وهو يسألها بعدم استيعاب:
_انتي بتقولي أيه، اللي بتقولييه ده مستحيل هيجصل
أنتي فاهمه..!

قربه منها جعل جسدها يرتجف، تشديده بيديه على

معصمها طرحت صورته من امامها حينما جذبها قسراً
لطبيبة تكشف سترها لتخبره ان كانت طاهرة أم
لا ، رددت بهمس خافت وهي تجاهد الاغماء:
_ ابعد عني...

تعصبه بتلك اللحظة جعله يتغضى عن حالتها ،
فبمجرد ذكرها للفراق جعله يهيج كالثور الذي لا
يعيقه لجام ، لم تحتمل رؤية تلك المشاهد المؤلمة
حتى وان كانت مجرد ذكريات فسقطت ارضاً مغشي
عليها....

انتهت من عقد حجابها ثم جذبت حقيبتها ونتائج
الفحوصات التي طلبتها الطبيبة ، لتتجه للأسفل
استعداداً للذهاب للعيادة ، فتح السائق باب السيارة ،
فكادت " سارة " بالصعود ولكنها انتبهت لضوء سيارة
" ريان " الذي هبط ليقرب منها فتساءلت بلهفة:
_ " ريان " ، طمني " إياد " أخباره أيه؟ ...

أجابها بابتسامته هادئة:

_الحمد لله يا حبيبتي اياك بقي أحسن..

ثم تساءل باستغراب:

_أنتِ خارجة ولا أيه؟..

أجابته بحزنٍ قد تشكّل على وجهها لما تشعر به

تجاه عدم فرحته بحملها:

_الدكتورة كانت طالبة مني شوية تحاليل عملتهم

وراحة الاعادة..

هز رأسه، فأشار بعينه تجاه سيارته:

_طيب اركبي، هجي معاك..

غمرتها سعادة كبيرة، فرددت بعدم تصديق:

_بجد يا "ريان!!"

ابتسم لفرحتها، فأطبق يديه على يدها وهو يهمس

بصوتٍ منخفض:

_هو أنا عمري ضحكت عليك يا قلب "ريان!!"

قالت بابتسامته واسعة:

_بصراحة لأ، بس هتوعدني الوقتي بأيس كريم
بعد الكشف..

أغلق باب السيارة، ثم انحنى ليطل من النافذة قائلاً
بسخرية:

_لا انتي كده داخلته على طمع بقا..
أجابته بغرور:

_جوزي وأبو عيالي ومن حقي اتغر.
تعاليت ضحكاته فقال وهو يدفع المقود:
_لحقيتي تجمعي وتعيشي الدور، يلا هضحكي وأجبلك
اللي انتي عايزاه ليطلع في وش البيبي ويقولوا أبوه
بخيل...

تشاركوا الضحكات التي بددت الحزن بداخلها، لتراه
متحمس لجنيها مثلما تنتظره هي..

فتح عينيه بانزعاج شديد، فتفاجئ مما رآه، نهض
الجوكر عن الفراش بفرع وهو يردد بعدم تصديق:

_حين..!

تعالَتْ ضحكاتها وهي تهرول سريعاً لتتركه بصدمته
كبيرة، يحاول بها استيعاب ما فعلته تلك الحمقاء،
عله يشعر بأنه سيقتلها لا محالة..!

الفصل الرابع والخمسون..

تخيلك لأمر بعينه لا يعني بأنه سيصبح حقيقة
حينما يصبح ملموساً، نعم كان يخشى أن يصبح مثل
والده، كان يخشى أن يكون أب سييء؛ ولكنه لم
يعلم بأن عينيه ستلمع بحنين وفرحة حينما يرى
طفله على جهاز (السونار) من أمامه، كان شارداً
لدرجة جعلته لم يستمع لما قدمته له الطبيبة من
ارشادات هامة في سبيل الحفاظ على الجنين وخاصة
بتلك المرحلة من الشهور الاولى، فكانت نظراته
مسلطة على الشاشة الصغيرة، يستكشف ما يراه
فيبحث عن يديه أو قدميه، التقطت الطبيبة الصور
من الجهاز ثم قدمتها له قائلة بابتسامة عملية:
_ لسه مكملش، لأنها ببداية الحمل..

التقط "ريان" الصور من يدها بفرحة يستلذها قلبه،
فنقل نظراته لزوجته التي تراقب رد فعله حينما رأى

ما تحمله باحشائها، سعدت كثيراً حينما رأت دمع
الفرحة تلاًأ بعينيه وهو يتابع الجهاز، رآته شارد به
وقد راق لها ذاك، قدم لها يديه لتستند عليها حتى
نهضت عن الفراش، فرتبت ملابسها جيداً، ثم خرجت
معه لمكتب الطببة البعيد عن غرفة الكشف
الصغيرة بمسافة ليست بكبيرة، جلست على المقعد
المقابل لمكتبها الأسود، تتلقى التعليمات وارشادات
الدواء باهتمام، ثم غادرت معه بالسيارة لتجده مازال
شارداً، الصمت يسيطر عليه وكأنه لوح مختوم
بالسحر الصامت، أرادت "سارة" أن تحظى ببعض
اللحظات الرومانسية مع زوجها بمكان هادئ، فجلت
صوتها قائلة:

_أنت نسيت الأيس كريم ولا أيه؟..

انتبه لها، فبحث بعينيه من حوله ليستكشف معالم
الطريق الذي قاد سيارته به بمهنية، يتجاوز السيارات
من حوله فقط دون ان يعلم بأي منطقة يمر، وجد

غايته حينما تعلقت عينيه بأحد المطاعم، فأشار لها
بابتسامته هادئة:

_أحلى ايس كريم بالدنيا، أنتي أطلبي بس أنتِ
وهي..

ضيقَت عينيها باستغراب:
_أنا ومين..!

اتسعت بسمته وإن كان بها لمحة من الحزن لشعوره
بالخوف حينما علم بحملها فندم الآن لذلك:
_أنا حاسس أنها بنت..

قال كلماته الاخيرة وعينيه مثبتة على بطنها،
فابتسمت وهي تستمع اليه، تود سماعه طوال العمر،
يتحدث عنها وعن ما تحمله باحشائها، قطع النظرات
فيما بينهما حينما قال:
_يلا أنزلي..

كادت بفتح باب السيارة، فرددت بتذكر:
_"ريان"، النهاردة الافتتاح بتاع مطعم "يوسف"، ما

تيجي نروح نأكل هناك وبالمرة نباركاهم..
طرق رأسه بخضة بيديه وهو يشير لها بتذكر:
_ آه صحيح أنا ازاي نسيت..

ثم أشغل مقود السيارة ليخبرها ونظراته تتابع الطريق
من خلفه ليديرها للجهة الصحيحة:
_ هنقف في اي مكان نشترى ورد ونروح على طول..
هزت رأسها بابتسامتها الرقيقة، فتابعته بنظرات
عاشقة فتصنع هو انشغاله بالطريق عن عمد حتى
تظل هي تتأمله بنظراتها التي تصل لنوابع قلبه..

ركضت سريعاً قبل ان يفتك بها، صوت ضحكاتها
جعله غاضباً للغاية، ولج "مراد" لحمام غرفته وهو
يرى ماذا صنعت بوجهه، جز على أسنانه بغضب وهو
يهمس من بين اصطكاك أسنانه:
_ وربنا ما هسيبك النهاردة..

حاول غسل وجهه مراراً ليمسح الشارب الذي صنعت له

بالقلم الأسود فكانت صدمته بأنه ضد المياه، حك
"مراد" شفتيه بالمنشفة الممتلئة بالمياه؛ ولكن دون
أي جدوى، ألقاها باهمال وهو يصيح بصوتٍ
كالبركان:

"_حنين...!"

في ذاك الوقت على صوت هاتفه برسالةٍ على
"الواتساب"، فتحها ليجد تسجيل صوتي من شقيقه،
فتحته على مضمّنٍ ليستمع باهتمامٍ لما يقال:
«أختارتك بدالّة شيك للافتتاح، ساعة بالكثير
وهتكون عندك...»..

تلون وجهه بشتات ألوان الغضب حينما تذكر موعد
افتتاح مطعم "يوسف"، جذب الهاتف ليقربه منه
قائلاً من بين اصطكاك أسنانه:

_افتتاح ايه أنا مش عارف هخرج برة ازاي بعد اللي
حصل فيا ده..!

على الفور أتاه اتصال مرئي منه، ففتح الكاميرا

ليسند الهاتف مقابله، ثم وقف أمام المرأة يحاول
حذفه مجدداً، ضيق عينيه بدهشة فقال باستغراب:
_مين اللي عمل فيك كده..!

توقف "مراد" عن مسح شفّتيه ثم تطلع لشاشة هاتفه
الصغيرة، ليحدّجه بنظرةٍ مشتتةٍ كانت اجابةٍ
مختصرة لمكنون سؤاله، ابتسم "رحيم" ساخراً وهو
يقترح عليه استعمال مادة ليزيح بها الحبر العالق، ثم
ختم حديثه بكلماتٍ مرحة:

_لو هي حابة تشوفك بشنب ربيه أفضل من
المشاكل والتحديات اللي هتطول بينكم..
واغلق المكالمات بابتسامَةٍ تسليّةٍ، تاركاً الآخر
ينفذ اقتراحه الذي نجح بإزالة الحبر العميق، ليخرج
من غرفته باحثاً عنها بنظراتٍ شرسة..

وجدها تخبئ أسفل تخت ابنته الصغير الذي
يكشف ساقها بالخارج لصغر حجمه، ربح يديه أمام
خصره وهو يحاول التماسك، فجز على أسنانه وهو

يردد بغیظ:

_أخرجني من عندك أحسن ما اقلبه فوق دماغك...

رددت بخوفٍ مصطنع:

_لا مش هطلع، اخرج أنت بدل ما أصحي "مرين"
بصراخي، و لو زودت في تهديداتك هطلباك بوليس
النجدة يتصرفوا معاك..

أطبق بأسنانه على شفتيه وهو يصيح بانفعال:

_في حد عاقل يعمل اللي عملتيه..!

طلت برأسها من أسفل الفراش وهي تجيبه بضيق:

_ما أنا قولتلك قبل كده عايزة أشوف شكلك

بالشنب وأنت مش راضي، فقولت اتصرف..

التفت جواره حتى وجد غايته، فجذب العصا الغليظة

واقترب منها وهو يردد بسخط:

_بالحبر! ، ده أنا مش هسيبك النهاردة..

ثم وقف امام الفراش ليشير له ساخرًا:

_فاكرة أن ده اللي هيحميكي مني..!

لم تفهم مغزى كلماته الا حينما رفعه بذراعيه
كاللعبه ليضعه جانباً، ابتلعت ريقها بصعوبة فرددت
بارتباك:

_هو أنا قولتلك اني حامل ولا نسيت..!
حملها برق مخادع ثم أجلسها على قدميه ليمرر
يديه على وجنتها بلمساته الساحرة التي اذابت
حصونها، رفع قدميها بيديه الاخرى وابتسامته
الماكرة تفضح نواياه، ومن ثم جذب العصا ليهمس
لها بصوتٍ ظننته يخبرها به كم يعشقها:
_الحوامل ليهم عقاب برضه يا حبيبتى..
رددت امام عينيه ببلاهة:

_ها...

هوى "مراد" بالعصا على قدميها وهو يخبرها بابتسامته
انتشاء:

_كده...

تعالى صوت صرخاتها وهي تحاول تخليص قدميها

المحكم عليها برسغيه، فرددت بألم:

_أنا مش هعمل كده تاني حرمت والله، أني آسف...

اخفى ابتساماته بملامحه الحازمة، فاستطردت

بتبريرها الاحمق:

_ده انا كنت بشوف شكلك بيه بس وأتاكدت

انك معاك حق سيكاً... سبني الله يكرمك مش

هعيدها تاني..

اقترب بوجهه منها حتى صار مقابلاً، فردد بخبث:

_لا عيديها أنا عايزك تخدي راحتك وتغلطي وأنا

بقي هعرف أقتص منك كويس..

وحرك العصا الغليظة على قدميها مجدداً فتعالى

صوت صراخها المزعج وهي تحاول النهوض على

قدميها..

بالأسفل..

حركت القهوة الموضوعتة على (السبرتايت) بهدوء،

فما أن انتهت منها حتى سكبتها بالفنجان الأصفر
الصغير ثم قدمتها لمن يراقبها بابتسامته تنم عن
عشق غريب الأطوار، التقطتها منها وهو يشم عبير
رائحة القهوة الشهي بصنع يدها، فارتشف منها وهو
يخبرها باعجاب شديد:

_القهوة من أيدك حكاية ملهاش آخر..

ابتسمت "نجلاء" وهي تستمع أعذب الكلام والأطراء
على أقل شيئاً تقدمه له، فلو كان ما تفعله صعب
تهونه كلماته المعسولة، فقالت بدلال:

_مش هتبطل تمدحني؟..

أجابها بابتسامته عرفت طريقها لشفتيه:

_الانسان مش بيعرف قيمة الحاجة الا لما يفقدها
وأنا فقدتك سنين فأكيد مش هكون غبي اني
اضيع كل لحظة أدلعك فيها..

اتسعت بسمتها لتزيد من اشراقة وجهها الذي صغر
عشرون عاماً لسماعها ما قاله، ضيقت حاجبيها

بدهشةٍ حينما تسرب اليها صوت صرخات متقطعة،
نقلت نظراتها لزوجها الذي بدت معالم وجهه
المزعوجة بسماعه لنفس الصوت، ترك "طلعت"
الضجآن عن يديه فهب واقفاً وهو يتساءل بذهول:
_مين اللي بيصرخ كده..!

وقفت قبالةً وهي تجيبه بابتسامةٍ ساخرة:
_من بعد ما الأولاد رجعوا بيتهم أقدر أكذلك انها
مستحيل تكون غير حنين، "شجن" متعملش كده
أبدًا.

هز رأسه باقتناعٍ والبسمة ترفرف على شفثيه، فقال
حينما اشتد الصوت:

_طيب تعالى نطلع نشوف في أيه؟..
اتابعته "نجلاء" للأعلى بخطواتٍ سريعة، طرق
"طلعت" باب الجناح ومن ثم فتحه ليدلف للداخل،
اتبع مصدر الصوت حتى هداه لغرفة الصغيرة، طرق
مجدداً وهو يصيح بصوتٍ عالياً:

_افتحي الباب يا بنتي، بتصرخي ليه؟..
أتاه الرد على الفور، وكأنها استمعت لآمال نجاتها:
_الحقيني يا "طلعت" باشا ابنك هيقتلني..
شهقت "نجلاء" بفزع:
_يا لهوي هيقتلها ازاي!..
صاحت بعصبية بالغت:
_انتوا لسه هترغوا مع بعض اكسروا الباب بسرعة..
انفتح الباب تدريجياً حينما فتحه "طلعت"، فولجوا
سويّاً للداخل ليتفاجأ كلاً منهم حينما وجدوه يقيد
قدميها بمعصمه وباليدين الأخرى يكيل لها الضربات
بعصا غليظة للغاية، دنا منه أبيه وهو يشير له
بصدمة:
_أنت بتعمل ايه يا ابني!، نزلها.
أجابه دون أن يتطلع إليه، وكأنه مشغول بمهام في
شدة الخطورة:
_غلطت وبربيها...

غمغمت "نجلاء" بضيقٍ من تصرفاته:

_تربي ايه يا ابني، البت حامل..!

نجحت في انتشالها من بين يديه، فانتصب "مراد"

بوقفته بثباتٍ عجيب وكأنه لم يفعل شيئاً من

الاساس، حدجته بغیظٍ فقالت بشراسة:

_وأنت فاكر أني كده هعقل، والله لأنتقم منك يا

"مراد" يا ابن "طلعت زيدان.."

ابتسم وهو يجيبها ببرودٍ وملامح صامدة:

_وماله عقابي حاضر في أي وقت تحبي تتجني فيه..

جزت على أسنانها بغلٍ، فكادت بأن تجن وهي تحاول

ايجاد كلمات مناسبة تبدد ثقته الزائدة بذاته،

فاقتربت من ابيه وهي تشكو له بضيق:

_ما تشوفلك حل مع ابنك يا ابو الطلاعت..

تعالت ضحكاته الرجولية، لتنفلت جملته من بينها:

_شوفيلي حل معاك أنا كمان..!

وتركها وغادر الغرفة بقهقهة جعلت الدماء تتسلل

لوجهها، فاستدارت تجاهه لتجده يبتسم بمكر،

لحقت "نجالء" بزوجها وهي تهمس بضجر:

_مفیش فايدة..

فرکت اصابعها بغلٍ، فوقفت مقابله وهي تشير له

بتحد:

_متفكرش اني هنسالك الي عملت، خليك فاکر

ده كويس..

وكادت بالتوجه للخروج، فتصلبت محلها حينما لف

يديه حول خصرها ليجعلها ترتد للخلف، ومن ثم لف

كتفيا بيديه لتستدير اليه، واجهته والفاء آه من

المواجهة التي تكون هي ضحيتها دون أبداء أي رأي،

أو آمال متعلقة بالنجاة من هذه المعركة الغير

متكافئة الأركان، يعرف كيف يتلاعب بنبضات

قلبها وأحاسيسها كأنه يتحكم بدمية أحوالها بين

يديه، عينيه الزرقاء تدفننها بين مياها الهائجة،

بلهاء هي لا تعرف السباحة أو طريق النجاة، فتجد

ذاتها أسيرته، أسيرة لمساته وهمساته التي لا تنتهي
عن أخبارها بعشقه المتيّم، خضوع وأي قوة ستجعلها
لا تخضع لجوكر علم كيف يتسلل لأعماقها؟!..

سئم الانتظار الذي طال لأكثر من اربعون دقيقة،
يعلم بأن النساء تأخذ وقت مضاعف للرجال حينما
يتجهزن لمناسبة، ولكن لم يصل لتلك الحد، اجتاز
"رحيم" الردهة المطولّة، التي تملأها الثياب الفاخرة
بأنواعها، ليقف أمام الباب الصغير التابع لغرفة
تبديل الثياب، طرق بيديه بضعة طرقات متتالية
وحينما لم يستمع لردّها، توقفت قدماه عن تقدم
خطواته التالية وكان القلم الذي يسطر أحداث
رواية كاملة قد انتهى حبره، تعلقت نظراته بتلك
القاتنة التي تستخدم كافة اسلحتها للفتك بما
تبقى، فستانها الأخضر المنسدل بطرفه الطويل سحر
عينيه، فرأها كالفراشة التي تتبختر بين البساتين،

شعرو كأن أنفاسه أحرقت شفتيه فبالها بلعابه وهو
يقاوم شعوراً يهاجمه، فاجلى أحباله الصوتية حينما
تساءل:

_أنتِ خلصتي ليه مخرجتيش...!

بدد الارتباك معالم وجهها الشبيه بحبات الكرز
الأحمر، تحركت بخطوات مرتبكة لتستدير
بجسدها للخلف، تعلقت أنظاره بسحاب الضستان
المفتوح، ليعلم الاجابة على سؤاله المطروح، حاولت
مراراً غلقه دون اللجوء للمساعدة ولكنها لم
تستطيع، فحتى خجلها مميت لدرجة جعلتها تخجل
من طلب مساعدة من عاملات المحل فضلت زوجها أن
يقوم بهذا العمل، كبح بسمته الصغيرة رغم شعوره
بالارتياح لتطور العلاقة فيما بينهما بالحد الطبيعي
بين أي زوجين، فاغلق الباب من خلفه ثم اقترب منها
بخطوات متهدجة، وقف خلفها بقامته الطويلة
وجسده الذي يخفيها كلياً عن الباب من خلفه، مرر

أصابه على طول خصرها قبل أن يلتقط السحاب
ليغلقه ببطء جعلت جسدها يقشعر برجفة لطيفة،
استدارت "شجن" وعينيها ترفض التطلع إليه فأحنت
رأسها للأسفل قليلاً وهي تتساءل بصوت شبه مسموع:
_نمشي؟..

بأصابعه، رفع ذقنها لتقابل وجهها وهو يتفحص
عينيها بنظرة متلهفة، فقال بخبث بدى بغمرة عينيه:
_تفتكري "يوسف" ممكن يزعل لو مرحناش
الحفلة؟..

هزت رأسها بالنفي في بدء الأمر وحينما تسال لها
مغزى حديثه الماكر، حملت طرف فستانها وهمت
بالخروج وهي تردد على استحياء:
_لا أحنا مش هنتاخر علشان هو يزعل..

قرص أرنفزة أنفه بابتسامته ساحرة، ليتطلع لذاته
بالمرآة بنظرة أخيرة منحته ثقة لم يفقدها يوماً ثم
لحق بها ليصعد للسيارة متوجهاً لمطعم "يوسف.."

حبسه معه بالغرفة لأكثر من مرة كان اول الطريق
لصداقة جمعتهما بالأجبار، لتختتم بصداقة قوية
دامت بالتواصل والمقابلات الدائمة فيما بينهما، وفي
يوماً هام هكذا حرص "آدم" على الحضور ليكون
جوار رفيقه "يوسف"، انتهى من ارتداء بذلته السوداء
الانيقة، ثم التقط هاتفه ليعود بمهابتها من جديد،
سئم من انتظار ردها وحتى الآن لم تجيبه، من
المفترض لعروس زفافها بالغد أن تثرثر كثيراً مع
عريسها عن حفلة الزفاف والخطط الهامة بيوم
هكذا؛ ولكنها لم تحدثه حتى وإن طلبها لم
تجيبه، كان يود أن يخبرها بالانضمام إليه بالحفلة
حتى يستغل الاجواء ليعرف ما بها، ولكن حتى هذا
فشل به، وضع "آدم" الهاتف بجيب جاكيتته ثم
التقط مفاتيح سيارته ليفتح باب الغرفة وهو يثرثر
بضيق شديد:

_لا كده كثير..

اتجه لقصرها القابع بجواره، فقرع الاجراس حتى
فتحت الخادمة التي استقبلته استقبالا حار، فسأله
مباشرة:

"_سما"فين؟..

أجابته على الفور وهي تشير على الباب المقابل
للدرج:

_أنستَ سما بأوضتها...

تركها وصعد للأعلى على الفور، لأول مرة يسمح
لذاته بالتسلل للطابق العلوي لقصر "سليم زيدان"،
ولكنها الآن زوجته ويحق له ذلك، تردد قليلاً
بالطرق على باب غرفتها فكان يود الدخول على
الفور ولكنه خشى بأن تكون "منّة" بالداخل، طرق
بضعة طرقات مقتضبة ليستمع لصوتها المتعصب
وهي تردد بانفعال ويدها تحرر مقبض الباب:
_يووه أحنا مش هنخلص ولا أيه يا "منّة"؟..

بترت كلماتها في صدمةٍ جليةٍ، حينما رآته يقف
أمامها، ارتدت للخلف كرد فعل طبيعي وهمساتها تعلو
لتكون مسموعة:

"_آدم...!"

يا ويلت هذا القلب الرقراق حينما يستمع لنداء صوتها
العذب باسمه، يشعر وكأن لصداه سحر خاص بها هي،
أغلق "آدم" الباب بقدميه واقترب رويداً رويداً حتى
صار قبالتها، شعرها الطويل ينسدل على ذراعيها
الظاهرة من قميصها القطني القصير، كان يتمنى
رؤية شعرها ذات يوم وها قد تحققت أمنيته، بصعوبةٍ
بالغةٍ تحررت عقدة لسانه وهو يشير لها على هاتفها
الملقي على فراشها:

_مش بتردي على مكالماتي ليه؟..

تهربت بنظراتها عنه، ثم سألته بارتباك:

_انت دخلت هنا ازاي..

قال بهدوءٍ رغم حدة لهجته:

_متجاوبنیش علی سؤالی بسؤال تانی، مش بتردي علی
مکالماتی لیه؟

ردت علیه بتوتر:

_مشفتش موبیالی..

یعلم بأنها تتهرب من شیئاً ما ویود ان یعلم ماذا بها،
التقط انفاسه علی مهل، فوضع یدیه علی ذراعیها وهو
یتحدث بتحكم بانفعالاته:

"_سما"، ممکن اعرف مالک، او بتتهربی من أیه
بالضبط..!

قالت بتلعثم:

_هتهرب من أیه؟..!

أجابها ومازالت یدیه مثبتة علیها:

_أنا الی بسالک، تجاهلک لمکالماتی واضح جداً
وخصوصاً فی وقت زی ده المفروض ان بکره فرحنا..!
أخفضت یدیه عن ذراعیها ثم ابتعدت عنه خطوتين
لتجیبه بتوتر:

_صدقني مش بتجاهلك انا بس مرتبكت شوية..
قطع المسافة بينهما ليسترسل حديثه قائلاً بجديّة:
_لو حاست انك اتسرعتي أو مش جاهزة ممكن نأجل
الفرح..

ما قاله غريب بالنسبة لها، فعلى الرغم من شعور
الارتياح الذي حاوطها لمجرد تخيلها بتأجيل ما يقلقها
الا ان شعور الاستياء تغلب على الاحاسيس التي
تضاربها، شرودها المطول جعله يشعر بنغزة مؤلمة
تعصف قلبه، ردد بصوتٍ على صداه عله يستمع لها:
"_سما...!"

أفاقت على صوته، فقالت بهدوء مصطنع:
_ايه اللي بتقوله ده، فرح ايه اللي يتأجل بعد ما
وزعنا الدعوات وخلصنا كل حاجة..
تسلل الغضب لمعالمه، فوقف قبالتها وهو يردد
باستياء واضح:

_هو ده اللي فارق معاكي، المعازيم والدعوات! ، طيب

وأنا! ، سما انتي بتحبيني وعائزاني زي ما أنا
عائزك..!

الارتبارك بهذا الوقت كان المنتصر عليها، حدجها
بنظراتٍ مستنكرة لما قد يخوضه باختيارها للخيار
الثاني، فاستطرد بصدمته:
_للدرجادي السؤال صعب..!

صمتها كان يسبر أغواره فيجرده من كل صبر تحلى
به يوماً، وجد ان وجوده هنا لم يعد مرغوب به لسببٍ
لا يعلمه، فتركها وكاد بالمغادرة، تصلب جسده
بأكمله في صدمة اجتازها شعور لا يوصف، حينما
احتضنته من الخلف وهي تردد بتخبط:

_أنا بأحبك اكتر من نفسي، بس أنت لازم تفهمني
وتقدر اني زي أي عروسة مرتبكة...

أغلق عينيه مطولاً وهو يجاهد حرب لمساتها له
وحرب اعترفها بكلمات فاضحة بعشقه له، استدار
اليها فمنحها نظرة اخترقتها، عينيها اللامعة بالدمع

أذابت حصونها، اقترب ليطلع قبلة على جبينها وهو
يردد بأنفاس ملأت بالرغبة:

_وأنا بعشقك يا سما..

ابتسمت بفرحة وهي تستمع همساته الجريئة اليها،
سحابتها التي حملتها باعناق السماء جعلتها تعي
لوضعها الغريب، جحظت عينيها في صدمة من قربها
منها، وتصرفها بحرية امامه رغم ما تريديه، هرولت
للخزانة لتجذب مئزرها البني فكادت بأن ترتديه
لتتفاجأ به يجذبه منها وهو يقول بابتسامته واسعة:
_أنا جوزك يا هبلت..

ثم تركها وغادر قائلاً دون النظر اليها:

_هستانكي تحت البسي وحصليني..

وما أن غادر من امام عينيها حتى سقطت على الفراش
بابتسامته واسعة، تعيد على مسمعها كلماته مراراً
وتكراراً بانتشاء..

البقاء لجوارها لبضعة ساعات كان أقصى احلامه
وخاصة بعدما فعله بها، استغل غيابها عن الوعي
ليحتويها بأحضانها، بدأت "فاطمة" باستعادة واعيتها
تدريجياً، فحينما رآته يحتضنها هكذا ابتعدت عنه
على الفور وهي تتساءل بعصبية بالفرة:
_ أنت لسه بتعمل ايه هنا، أخرج بره انا مش طايقته
أشوفك..

رغم قساوة كلماتها الا أنه استمر في الاعتذار فما
فعله ليس بالهين حتى ينال المسامحة بسهولة، رفع
"يامن" يديه يحتضن خديها، قائلاً بلهجة ختمتها
الدموع:

_ لو أقدر أبعد مكنتش هتردد، بس صدقيني العقاب
ده صعب اوي، والأصعب وأنا شايفك مش طايقته
تبصيلي..

رفعت عينيها المحتقنة مقابله بنظراتٍ ساخطة،
ختمتها بقولها الساخر:

_أنت آخر واحد توقعت انه يشك فيا وفي أخلاقي،
وياريت الحكايت جيت على الشك وبس أنت
جرحتني مرة وكسرتني الف مرة..
ولف رأسها للاتجاه الأخر قائلت بتوسل يغلبه بكاء
ممزق:

_أرجوك أخرج انا مش عايزة أفكر اللي حصل
تاني..

تأملها بنظرة مطولت، وكأنه يتشبع منها قبل أن
يغادر، فنهض عن الفراش وقبل أن يخطو خطوة واحدة
قال:

_هخرج يا "فاطمة" بس مستحيل هسمحلك تبعدي..
وتركها وغادر حزيناً، مهموماً، قلبه يصارع للبقاء حياً
بعدها طافت به جروح خطيرة، وعقله عدوه الوحيد
يسترجع المشاهد من أمامه وكأنه يعتمد أن يذكره
بما فعله كل دقيقة حتى لا يغفل عن ذنبه الفاضح..

سادت الموسيقى الهادئة الأرجاء، حتى الأضواء الخافتة غمرة المطعم بأكمله لتمنحه مظهر أكثر رومانسية، وبمنتصف أرضيته البيضاء وضعت طاولة مستطيلة الشكل، كبيرة للغاية، تحوي أكثر من أربعة وعشرون مقعد بتجهيزاً خاص لإستقبال عائلة "زيدان"، وعلى رأسها جلس "طلعت" ومن جواره "نجلاء"، أما بمقابله جلسا "مراد" ولجواره "رحيم" على رأس الطاولة الضخمة، أما على يمين الجوكر فكانت تجلس مشاكسته، وعلى يسار الاسطورة تجلس "شجن" القلب، وبمنتصف الطاولة جلس على ثنائي مقابل بعضه البعض في تناسق وكأن كل منهما متعمد الجلوس امام معشوقه لتكون سهرة مميزة مع الطعام والموسيقى وتأمل من يسكن بنوابع القلب والفؤاد.

أمر "يوسف" بوضع طعامٍ من أشهى الوصفات التي سيقدمها المطعم، فتناولوا طعامهم جميعاً في جوٍ من

الألفيّة التي لم تعهدّها تلك العائلة من قبل..
التقط "فارس" ملعقته وهو يعبث بطبقه بشرود، فوزع
"مروان" نظراته بين الجميع قبل ان ينحني ليسأله
بصوت أقرب للهمس:

_مالك شایل طاجن ستك عظيمة ليه..
حانت منه التفاتة جانبية له قبل ان يجيبه بغیظ:
_بقالي سنين وأنا بحاول بس أتقدم لسليم بشكل
رسمي رغم ان حبنا مفضوح للعلیة كلها وأولهم أنت..
همس بسخط:

_أه ياخويا انت هتقولي، المهم ادخل في التقليل.
استطرد "فارس" كلماته بحنق ونظراته مسلطة على
أخيه الفارق بحديثه الجانبي مع زوجته:

_وعارف اني هيطلع عيني لحد ما أوصل لمرحلة
الجواز، وفي الأخير يجي سيد اميركا المغرور ويلم
الليلة في أقل من ٨ شهور، خطوبة وجواز ومش بعيد
يخلف وأنا لسه في مرحلة الترجي والتواصل أن أستاذ

"سليم زيدان" يقرر معاد جوازنا أمته؟..

تعالت ضحكات "ريان" الرجولية حينما استمع دون
قصد للحوار المتبادل بين "فارس" وأخيه، جذب
الأنظار إليه وهو يحاول جاهداً التحكم بذاته، أشار
له "مراد" عما يضحكه، فأنتبه الجميع للحوار
المتبادل بينهما بالاشارات، الى أن وجه "ريان" حديثه
لسليم الذي يقرب طبق المعكرونة بالجبن لزوجته
التي ترفض تذوق الدجاج او اللحوم، فقال بسخرية:
_ ما تجوز "فارس" لمنة يا سليم وتلم الدور اللي بقى
حوار في الطالعة والنازلة ده..

توقف الطعام بحنجرتها، فأخذت تسعل بشكل
ملحوظ، ناولتها "سارة" كوب من المياه وهي تخبرها
بمزح:

_ لسه بيتشاورا مخدوش قرار لسه اجمدي...!
تعالت ضحكات الفتيات، فغمزت لها "سما" بسخرية
متناسية تماماً وجود الشباب:

_شايضة الشجاعة والبوقين الحمضنين اتبلعوا مع
الاكل، أمال نصايحك وكلامك اللي دوشاني بيهم
ليل نهار دول رحوا فين؟ ، أشربي..
تداخلت "سلمى" بحديثهم المرح قائلة:
_والله أنكم مضخمين الموضوع يا بنات، الجواز مش
صعب للدرجادي..

قالت "حنين" بسخرية:
_يا بت يا سلمى متضحكيش على البت ده انتي حامل
وعلى وش ولادة هيقعدلك في عيالك اتقي الله..
ثم استرسلت حديثها ببؤس شديد متناسية هي
الآخرى مشاركة الشباب في مجلسهم تلك المرة:
_بصي هو الجواز ده يا بنتي كشف ستار عن الحقائق
المخفية..

وتناولت قطع اللحم المعلقة بالشوكة، ثم تابعت
وهي تمضغ الطعام بجوفها:

_يعني مثلاً شاب روش وعایش الدور على حبيبته

وبيقولها انه رياضي وبيصحى من النجمة على التمرين
بعد الجواز تبص تلاقيه نايم ليل نهار وكرشه أد
كده، الخايب ميعرفش انه هيجمعهم بيت واحد
وحقيقته هتبان..

تعالت ضحكات "ريم" فقالت بصعوبة بالحديث:
_فكرتيني بواحدة صاحبتى، خطيبها فضل يحب
فيها وكل يومين يجي الجامعة بورد أحمر، بعد
الجواز بقت تيجي الجامعة كل عين لون، وأكتشفت
أن الورد للخطوبة وشوك الورد بعد الجواز...!
شهقت "يارا" في صدمة، فرددت باستنكار:
_طيب وأيه يجبركم انكم تتجوزوا يا بنات ما
تفضلوا مخطوبين العمر كله هتلاقوا الدلع والحب..
اجابتها "نعم" بسخرية:

_ياختي اتنيلى، هو انتي فاكرة ان الجواز ده بيجي
بالساهر كده، ده عذاب ومرار طافح وخناق
وصراعات علشان تاخدي الراجل اللي بتحبينه ومش

الكل بينجح، البقاء للاقوى زي ما بيقولوا...
هزت "نجلاء" رأسها بتأييد لما قالتها، فأضافت:
_عندك حق يا نغم يا بنتي، في جوازات مش بتم
بالساهر ولا سهل انك تحافظي على العلاقة اللي
بينكم..

ابتسمت "شجن" وهي تشير لهن بمرح:
_أيه كل ده، كنتوا كتمينه أزاي!، ما انتوا ليل
نهار قاعدين في وش بعض ما حبكش الفضفضة غير
هنا...!!!

دقائق اتخذتها كلاً منهن لتستوعب رسالت "شجن"
المبطننة فتطلعت كلاً منهن لجوارها ومن أمامها
ليصعقوا جميعاً من الحوار الذي تمادى فيما بينهما
لدرجة انستهم بمن يجلس لجوارهم او مقابلهم،
التهبت نظرات "مراد" لمن تجلس جواره، فقال
بكلماتٍ تخرج ببطء:
_راجل بكرش ها..!

هزت رأسها بالنفي وهي توضح له بإشارة يدها:
_فشر، ده أنت البرنس وعمهم كلهم، أنا بتكلم عن
نوعية مش موجودة فيك..

انتبهت لنظرات الشباب بأكمالهم، فابتلعت باقي
طعامها وهي تهمس بخوف:
_ولا فيكم..

استدارت الرؤوس تجاه "طلعت زيدان" الذي أشار لها
بحزن مصطنع:
_حتى انتي يا حجة..!

ابتلعت ريقها الجاف وهي تخبره بأسف:
_معلىش يا حج اندمجت حبتين مع البنات ونسيت انك
جانبي..

اضاف "سليم" ساخراً ونظراته تتنقل فيما بينهما:
_ده اللي بيتقال قدامنا امال من ورانا بيتقال أيه؟..
فشلت "شجن" بكبت ضحكاتها، فتعالى صوتها،
انتقلت انظار الجميع تجاهها ما بين فضول من الشباب

لمعرفة ما يحدث من خلفهم وما بين نظرات تحذير
من الفتيات بالا تبوح عن شيء، قال "جان" وعينيه
ترمق سلمى بنظراتٍ قاتمة:

شكلك هتفيدنا كثير يا "أشجان".

رددت "سلمى" بتحذير:

"_شجن..."

اتابعتها "سارة" قائلة:

_عمرها ما هتعملها أشجان جدعة وسرنا كلنا في
بئر..

أضافت "حنين" بنظراتٍ مغتاضة من ضحكاتها:

_اللي غيظني وقهرني أنا كلنا بنرغي في مصايب
وهي الوحيدة اللي صامت ليل نهار مع أن حكايتها مع
"رحيم زيدان" مصايب الوان..

خرج عن صمته أخيراً حينما قال بابتسامته شبه
ظاهرة:

_الحكاية اللي يعرفها اتنين متبقاش حكاية يا

"حنين.."

ابتسمت على كلماته، فحسم الجوكر الحوار المرح
فيما بينهما حينما قال بابتسامته هادئة:
_عفا الله عما سلف..

ثم وجه حديثه لسليم بلهجة أمرة:
_فارس ومروان فرحهم مع بعض الاسبوع الجاي يا
سليم"، جهاز الترتيبات..
هز رأسه باحترام له فمهما حدث هو الأكبر سناً منه
والاولى بتقدير الاحترام، فور الانتهاء من المناقشة
تطلع "فارس" لمروان وهو يردد بصدمته:
_لأ.....

تعالى ضحكاته وهو يعدل من جرفاته بغرور:
_قولتلك أنا وراك وراك يا ابو الفوارس..
زمجر بضيق فقال بعدما دس بحذائه قدم مروان
متصنعاً الابتسامته:

_حبيبي...

أتى "يوسف" ومن خلفه عدد من الشيفات حاملين
بعض من الحلو والمشروبات، فأشار لهما قائلاً:
_خطوه هنا...

وضع من امامهما، فقال "آدم" ونظراته مسلطة على
نغم:

_أنت اللي نفذت من الانفجار اللي حصل هنا ده..
ابتلعت ريقها بصعوبة، وخاصة حينما تساءل:
_انفجار أيه؟!..

لكزته "سما" بخفة، فتناول بعض قطع التفاح وهو
يجيبه بابتسامة واسعة:
_لا متخدش في بالك..

اكتفى بابتسامة صغيرة لإشارة آدم الخبيثة بأنه
سيخبره لاحقاً بالهاتف، فوقف امامهما يتساءل
بمكر:

_أيه يا جماعة مش هتولعوها ولا أيه؟..
لم يفهم مغزى حديثه الا حينما اشار على منصته

الرقص، فنهض الشباب باكملهم، ليجذب كلاً منه
نصفه الآخر، ليتمايل على ألحان الأغاني الهادئة...

خلت الطاولة من شباب عائلة زيدان، فلم يبق سوى
بضعة مقاعد فارغة، اما على رأسها فكان الجوكر
والاسطورة مازال كلاً منهما بمحله، ومن الجهة
الآخرى "طلعت زيدان"، زفرت "حنين" بضيق وهي
تخبره:

_مش هنرقص يا "مراد"؟..

أكمل تناول طعامه ببرود وكأنه لم يستمع إليها،
اشتعل وجهها بغضب فجذبت الطبق من أمامه وهي
تقول في سئم:

_بكلمك على فكرة!..

تابعت "شجن" ما يحدث بينهما باندهاش من طريقة
"حنين" المضحكة، والاكثر من ذلك تعامل "مراد"
المتمارس مع حالتها الجنونية، تجاهل استلائها على

طبقه وارتشف من مشروبه ببرود، فنهضت عن مقعدها

وهي تردد بغیظ:

_ماشي خلیک...

ثم تركته ووقفت قبالة "رحيم" لتقول بالهجة

قريبة للتوسل:

_رحيم أرقص معايا أنت..

توقف "رحيم" عن تناول طعامه وهو يتأملها بنظرات

صارمة، يعلم كونها مرحلة بطباعها، ولكن لأي حد

سيقودها جنونها لتثير غضب وتحدي أخيه، اعتذر

"رحيم" بتهذب:

_ماليش في الرقص يا "حنين..."

لوت فمها باستياء، فقامت عينيها على طول الطاولة

الضخمة، لتتحول لابتسامته واسعة حينما رأت

المنشود، تركتهما وتوجهت لطلعت زيدان، الذي

تعالت ضحكاته وهو يحاول اقناعها بأنه كهل عجوز

لا يليق بمراقبتها وامام أصرارها خضع اليها وانضم

لها للمنصة، هز رحيم رأسه بضيق وهو يعلم جيداً
عاقبة ما تفعله حنين بالنسبة لأخيه، فحانت منه
نظرة لمن يجلس جواره يشتعل من فرط غضبه، التوت
الملعقة الماسدة بين يديه من فرط ضغطه القاسي
على جسدها، انتشالها "رحيم" ببراعة من بين يديه
وهو يشير له بالهدوء، ترك الطاولة ثم صعد
للمنصة وشجن تراقب ما يحدث بخوف، فهمست
لرحيم قائلة بقلق:

_هو هيعمل فيها أيه...!

نقلت نظراته اليها وهو يجيبها بهدوء:

_مش هيعمل حاجة متخافيش..

بللت شفتيها الجافة وهي تبرر له:

_هي مغلطتش، دي بترقص مع باباك وهو بمقام

والدها..

أجابها بنظرات ثابتة وكأنه يرفض التفاوضي عن

الخطأ:

_وطلبها انها ترقص معايا ده كان صح..!
تعمقت بالتطلع اليه وهي تبرر له بعصبية:
_ده لانها بتعتبرك أخوها والكل عارف ده كويس..
أجابها بنفس حدته:
_مكانة الأخ بيكون فيها حدود حمرا محدش
يتخطاها يا شجن، وبعدين في رجالة بتغير على
حريمهم من اقرب ناس ليهم حتى لو كان الناس دول
من أهله أو من أهلها..
تفهمت ما يود قوله، فسلطت نظراتها على حنين
تراقب ما يحدث بخوفٍ وقلق..

الفصل الخامس والخمسون...

نظرات ثاقبة تطوفها كالسهام المصوبة تجاه هدف
بالتحديد، حساسية الموقف تضع حوله ألف قيد
وعائق كيف سيجذبها من بين يد أبيه، هل سيقدر
غيرته المفترطة عليها، هل سيقدر كونه يغير عليها
من نسمة الهواء التي تتنفسها، من المؤكد بأنه
سيحزن وسيظن بأن العوائق والفوارق مازال يضعها
بينهما، كان على الجوكر التصرف بحيطرة وحذر،
وشخصه المهيب يمكنه من ذلك، مسح بعينه
المكان الى أن تطلع لشقيقته، فأشار لها بعينه، دنت
منه "نعم" لتعلم ماذا هناك، فرفع يديه لها، قائلاً
بابتسامته الساحرة:

ـ تحبي ترقصي..

لم تتردد "نعم" برفض الرقص مع أخيها، فتمسكت
بيديه لتنضم للمنصة التي تحيطها الكرات الملونة

باضاءة متعددة الألوان، تمايلت معه بفرحة جعلته لا يرى أحداً سوى سعادة شقيقته، نعم كان يود الانتقام من "حنين" حينما تراه فضل الرقص مع شقيقته عنها، ولكنه لم ينكر بأنه سعد لفرحتها... اشتعلت نظرات "حنين" بغضب، ليس لكونه يرقص مع شقيقته ولكن لأنه رفض أن يشاركها هي، غلت الدماء بعروقها فكادت بأن تلتهمه بعينيها، انتهت النعمة الهادئة للرقص الثنائيات ثم علت الموسيقى الصاخبة، فكانت نعمة معهودة بتبادل الثنائي بالرقص الجماعي وعلى الرغم من أن زبائن المطعم تبادلوا الرقص بالزوجات إلا أن شباب عائلة "زيدان" كان ينبض بداخلهم عرق الرجولي الشرقي، رفض كلاً منهم ترك زوجته حتى وإن كانت ستحظو بأخيها أو بابن عمها..

عاد "طلعت" للطاولة بعدما أخبرها بأنه لن يقدر على استكمال تلك العروض التي تتطلب حركة مبالغ

بها، وقفت "حنين" جانباً تطالعه بنظراتٍ غاضبة،
ابتسم "مراد" بانتصارٍ وهو يتأمل حالتها، فرفع يديه
يشير ليوسف الذي انتبه إليه فاقرب منه، سلمه
"مراد" يدها غامزاً بخضرة:

_سهرة سعيدة..

غمز يوسف بنفس طريقته وهو يضيف بمكر:

_ليا وليك يا عمهم..

أغلق "مراد" زر جاكيتته الرمادي، فأتجه بخطواته
السريعة تجاهها، وقبل أن تنطق بحرفٍ واحد كان
يجذبها بقوةٍ من خلفه، صعد الدرج الجانبي للمطعم
المودي للجناح العلوي، كادت بأن تتعثر أكثر من
مرة وهي تحاول تفاذي طرف فستانها الطويل، دفعها
بعصبيةٍ كادت بأن تسقطها أرضاً لولا المقعد من
خلفها، حدجته بنظرة قاتمة وهو تصيح بانفعال:
_ما انت بترقص وحلو أهو آمال طنشتني ليه؟..

رفع قدميه على المقعد المجاور لها، ثم انحنى بجسده

ليكون مقابلها بالتحديد، عينيه القاتمة جعلتها
تشعر بالخوف رغماً عنها، تحرر صوته أخيراً فقال:
_ انا أعمل اللي أنا حابه، بس ده ميدكيش الحق أنك
تتخطي حدودك بدافع التحدي والعند..
ازدردت ريقها الجاف وهي تجاهد بتحرر صوتها
المكبوت:

_ أنا كنت عايزاك ترقص معايا مش أكثر.. اردف
بعصبية بالغة جعلت جسدها يرتد بخوف:
_ وقولتلك لأ، يبقى ده معناها أنك ترقصي مع أي
حد..!

كادت بتبرير موقفها، فأوقفها إشارة يديه وهو
يسترسل حديثه الثائر:
_ "رحيم" أخرجك بذوق وأنت برضه مصممة أنك
تعاندينني، بتعاندينني في شيء خارج قاموس
الرجولة، جوزك موجود وريحة بكل بجاجة
تطلبني من أخوه يرقص معاك أنت لا دينك

بیسمحاک بکده ولا ای رابط؟!!

انسدل الدمع من عینیه، فقالت بصوت متقطع ویدها
تفرک بفستانها بارتباک:

_کنت متأكدة انک مش هتسمحلي أرقص معاه
حتى لو وافق، أنا عملت کده علشان عایزاک ترقص
معایا...

صاح بحدة:

_رقص ايه اللي یخليکي تنزلي من نفسك ومني! ،
وبرغم ان رحيه رفض روحتي ورقصتي مع أبويا اللي
مش قادر يتحرک من التعب، أنا مش عارف اخره
عندک وشغل العيال بتاعک ده أیه...!
تراجعت للخلف بخوفٍ حينما احتدت لهجته، فرددت
بتوتر:

_أنت اللي بتعمل کل ده...!

کوریدیه أمام وجهها وهو یهتف بغضب:

_متعصبنيش أكثر، من کده، تصرفاتک الغبیة دي

متلقش بواحدة متجوزة وأم ، غيري من نفسك يا
"حنين" لاني مش هسمحك تنزلي مني قدام اي حد
تاني فاهمه؟..

بكت بصمتٍ فانتباه صراع عاصف من العصبية طرده
بصوته الجمهوري:
_فاهمة؟..

ردت بخوف مصاحب لشهقاتٍ من البكاء:
_فهمت..

تركها وانتصب في وقفته ، فاستدار ليوليا ظهره
بجفاءٍ ، احتضنت وجهها وهي تبكي بتأثر لفهمه
الموقف خطأ برمته ، استغلت كونه لا يتطلع اليها
فجذبت الحقيبة وكادت بالمغادرة ، التفت الحوائط
من حولها بصورةٍ مهزوزة ، رفعت يدها تضغط على
جبهتها عل الامور تتوازن من أمامها ، سقطت حقيبتها
ببدء الأمر ومن ثم لحقت بها لتصطدم بالأرض بصوتٍ
كان مسموع لمن يقف بالاتجاه المعاكس لها ، رددت

بشحوبٍ قبل أن تغلق عينيها:

"_مراد...!"

استمع لصوت اصطدام قوي فاستدار تجاه مقعدها،
فوجدته فارغ، اسرع "مراد" للاتجاه المعاكس للدرج
فسقط قلبه بقدميه حينما وجد حقيبتها أرضاً ومن
ثم وجدها هي من جوارها فاقدة الوعي..!

بالأسفل..

أستغل يدها الممدودة على كوب مشروب البرتقال
الطازج، أمسك بها بين يديه الخشنة وعينيه تتطلع
لعينيها بنظراتٍ تتراقص مع نغمات الموسيقى
الرومانسية، تخلت "شجن" عن صمتها وهي تخبره
بابتسامٍ رقيقة:

"_رحيم"، عايذة أطلب منك طلب..

أتاها رده بعدما استند على الطاولة ليبدو أكثر قرباً
منها، فهمس بصوته الرجولي العذب:

_قولتلك الف مرة انا عايش علشان أحققك كل طلباتك..

غام الحب بعينيها، فرمشت عدة مرات وهي تحاول التماسك، تنحنحت وهي تخبره قائلة:

_نقضي الليلة في بيتنا القديم..

ابتسم بتوقٍ لذكريات الماضي، ففتح لائحة يديه أمامها، ضيقت حاجبها باستغراب، فقال:

_مستنية أيه، يالا..!

اتسعت بسمتها وهي تقدم يدها إليه، نهض عن المقعد ليضع هاتفه بجيب جاكيتته ثم غادر معها للخارج، دث المفتاح بفتحة باب السيارة وكاد بالصعود، أغلقت "شجن" الباب قبل أن يصعد بها وهي تردد بابتسامٍ تسليّة:

_هنمشي على رجلينا في الهوا الجميل ده يا "رحيم" باشا..

ابتسم "رحيم" فقال ويديه مربعة أمام صدره

العريض:

_حاسس انك أخذتي عليا أوي..!
وضعت يدها بيديه وهي تدفعه ليمضي قدماً جوارها،
فحركت كتفها بدلال وهي تخبره:
_الله مش جوزي..

نظراته العاشقة جعلتها تهرب من التطلع لزيتونية
عينيه المهلكة، فخطى لجوارها ليصلوا سوياً لزقاق
المنطقة الشعبية، حنين الماضي عاد ليحتضنهما
سوياً، شعرت ولأول مرة بأنها تعود لعش طفولتها
باصطحاب "فريد" صديق الطفولة ورفيق الدرب،
توقفت "شجن" عن الخطى وهي تنظر تجاه هذا الرجل
الكهل الذي يبلغ من العمر فوق السبعون عاماً، انتقلت
نظرات "رحيم" اليها فقال بابتسامة صغيرة:
_لسه فاكراه..!

هزت برأسها عدة مرات، فتمسكت بجاكيتته وهي
تحثه على التحرك بطفولية:

_عايزة غزل بنات..

لمعت عينيه بلمعة من السعادة حينما عاد ليتمثل
أمامه مشهدهما سوياً حينما كانت ترى هذا الرجل
الكهل منذ سنوات حينما كان شاب يافع، كانت
تطالب "فريد" بشراء غزل البنات منه، تركها
"رحيم" ودنا منه ليشترى ما يحمله بمبلغ طائل من
المال لدرجة لم يستوعبها الرجل الذي شكره
كثيراً وغادر مسروراً للغاية، اقتربت منه "أشجان"
وهي تتأمل الأكياس الذي يحملها بفرحة، فحملت
منه عدة أكياس، كاد الحامل الخشبي بأن يسقط
فوق رأسها حينما جذبت أحد الأكياس من الحامل،
فجذبه رحيم قبل أن يسقط فوق رأسها قائلاً بخوف:

_حاسبي يا "شجن"..

ابتسمت وهي تلتقط الحلوى لتتناولها بلهفة، مجرد
رؤياها سعيدة تجعل قلبه ينبض بقوة دون توقف،
صعدوا سوياً لسطح المنزل، فعاونها "رحيم" على

الصعود على سطح تلك الغرفة البالية، المكان
الذي جمعهما بالماضي عاد ليرحب بهما من جديد...

نثر المياه على وجهها بقلق، وهو يضربها برفق
ويناديه بلهفة:
" _حنين..! "

فتحت عينيها وهي تجاهد الدوار الذي يهاجمها
مجدداً، وجدته مقابلاً فانسدلت دمعاتها على وجهها
الذي لم يعهد سوى الضحك، رفع يديه على خدها
وهو يقول بحب:

_خوفتيني عليكِ..

اعتدلت بجاستها على الأريكة، ثم جذبت حقيبتها
وهي تردد بأعين تنظر للفراغ:
_عايزة أرجع القصر..

رغم انها المخطئة الا أنه لم يحتمل رؤياها هكذا،
فقال بابتسامة مازحة:

_مش كنتي عايزة ترقصي معايا؟!..

عدلت من حجابها وهي تتطلع اليه بحيرة، فجذبها
لتقف أمامه ثم وضع يدها على كتفيه ويديه حول
خصرها بتملك ثم عاونها على الصعود على حذائه
ليجبرها على الانسياق لحركاته، راقبها بعشق وهيام
جعله كالشارد بها، فتحرك لسانه ناطقاً:

_مش عارف بتعملي فيا أيه، عمري ما كان ليا نقطة
ضعف ومظهرتش غير لما انتي ظهرتني في حياتي..
هامت بعينيه، فارتسمت بسمته صغيرة على وجهها وهي
ترد عليه:

_ومضطر تستحمل جنوني، بجد بتصعب عليا يا
"مراد.."

استند بجبهته على جبينها وهو يردد بانفاس تلفح
وجهها:

_بعشق جنونك، بعشق كل حاجة فيك يا حنين،
ادتينني كل حاجة حلوة، حب غيرني وفوقني اني

جوايا قلب، بنت بجمال الدنيا كلها، وعوض ربنا
انك تبقي شايلة حتة مني في وقت كنت مكسور
فيه اني مكنتش جمبك في حملك الاول فعوضني
ربنا بحملك الثاني..

تسللت الحمرة لوجهها، فأختبأت بأحضانها بأعين
مغلقة، تستلم لألحان النغمة الهادئة، تمايلت بين
ذراعيه لأكثر من دقائق معدودة ثم همست بندم:
_مراد..

أجابها ومازال يتحرك بها بثبات:
_قلبه..

قالت بحزن:

_سامحني على غبائي النهاردة..

ابتسم وهو يجيبها متعمد لف يديه حولها:

_قولتلك مبعرفش أزل منك..

عادت لتتعلق به من جديد بفرحة عارمة، ليربت
بحنان على خصرها، ذاك العاشق لا يعرف استخدام

القسوة أمام تلك المستبدة التي تتسلل لأعماق قلبه
بحرافية..

ولج لغرفتها المظلمة، اشعل الضوء الخافت ثم جلس
على المقعد المقابل لها يتفحص الملف الاسود من
أمامه، فقال دون أن يرفع عينيه:
_أنا الدكتور" علي" اللي همسك حالتك لحد ما
الدكتور"يارا" ترجع من الاجازة.
ثم تفحص أسم الحالة التي يتابعها ليردد حروفها
بتثاقل:
_فطيمة.."

حينما ناداها باسمها، تحولت نظراتها عن الفراغ
لتتطلع لمن يناديها باسمها البائس الذي تركته مع
ذكريات تركتها مع صفحات الماضي الممزقة،
كالطفل الصغير حينما تتعلق نظراته بأول شخص
يمسك بيديه ويداعبه، تطلعت له "فطيمة" بنظرات

مطولت جعلت الآخر يبدو كالأبله أمامها، تلك هي
ذاتها فتاة البيانو الذي استمع لعزفها حينما زار
المشفى لأخر مرة، عينيها الفاتنة وألف آه من عينيها،
تخترق القلب بسهام محملة بأوجاع عالم بأكمله،
تنقل تجارب ومقساة خاضتها طوال حياتها البائسة،
ابتلع تلك الغصة الغامضة التي هاجمته على غير
عاداته مع التعامل مع مرضاه، فاخشونت نبرته وهو
يردف:

_بكره ان شاء الله هنبدأ أول جلسة، ودلوقتي
هسيبك ترتاحي..

وتركها وغادر بخطواتٍ تحضر بخفيان بمصيرها،
وكانها كالمصباح الذي اهتز بفعل تيار عاصف ثم
عاد ليشتعل مع بريق أمل جديد...!!

انتهت من تناول الحلوى بأكملها، فمالت برأسها على
كتفيه، انتبه لارتياحها بالاستناد على كتفيه،

فمال براسه على رأسها ، هامساً ونظراته تتأمل القمر من
أمامه:

_كنت فاكرا ني ضليت طريقي لما بعدت ودوست
بالمعاصي بس برجوعك ليا كان اشارة منه انه مش
قابل بكده وانه واثق اني هرجعله في يوم من الايام ،
صحيح كانت الاقلام اللي اخدتها قوية جداً وأهمها
ان الشر اللي كان عايش جوايا كان هيطول اقرب
الناس ليا ، أنتي يا شجن ، وكأنه بيضوقني أن اللي
بعمله بحصده بالنهاية ، أنا فوقت ورجعت وأنا رابح
حاجات كتيرة ، أخويا والعيلة وأولهم أنت يا شجن..
استمعت لكلماته بفرحة ، وكأن الضياء غمره هو
الأخر ليصبح مثلاً ، ابتعدت عنه وهي تطالعه
بابتسامة افتكت بلجامه ، أمسكت يديه لتقربها من
شفتيها لتطبع قبلة عميقة على باطنها ، قشعر بدنه
فدنا منها لتطرق دفوف قلبه وهو يراها تبادل الحب
مثلاً هو يبادلها ، حملها بين ذراعيه والاعين متعلقة

ببعضهما البعض حتى ولج للداخل الغرفة ليغلق بابها
بأقدامه، فذاك العالم خفي عن الأعين لا يحق
لأحداً رؤياه..

عاد لبيته مهموماً، وحيداً، مكسوراً، يهاجمه القهر
والهجران، صعد لغرفته وكأنها سجن بأعمدة، كل
ركن يذكره بها، تسلطت انظار "يامن" على الفراش
وهو يتذكر كيف كان يجرحها كل مرة ويتهمها
بعرضها، كيف خرجت كلماته كالسهم من فمه
لتستقر بصدرها ويتوقع هو ان تسامحه، جلس على
الفراش لتسدل دمعاته على وجهه وهو يردد بأنفاس
شاحبة:

_سامحيني يا عمري مكنتش أقصد أجرحك كده،
أنا حاسس أن أنا اللي موجوع مش أنتي..

وكان الرياح تغدو صديقة فتنقل لها كلماته، هوى

الدمع على وجنتها والألفه تلامس قلبها المجروح،
تعاد من أمامها ذكريات فتخوض حرباً مذبذبة ما بين
ذكريات طيبة جمعتها به بعشقٍ ثمين وما بين جرح
عميق تركه لها بصدورٍ رحب، لم تعلم أن كان ما
تبقى بداخلها سيكون قادراً على المواجهة وخوض
الحرب ليبرح كفة حبه ولكن ما تعلمه بأن قلبها
مطعون بخناجرٍ يصعب ترميم جرحها ولكن ترى ما
المجهول لمصيرها مع من جمعته بها علاقة اختارتها
بكافة ارادتها؟!!

الفصل السادس والخمسون....

غاب القمر عن ليله المظلم، وصعدت السماء لتحتل
عرشها الذهبي، ليتسلل خيوطها على بقاع الأرض
بأكملها، تهادت بخطاها وهي تمر من بين عربات
الفرس التي يقودها بعض الفلاحين، لتجتاز ذاك
الزقاق الضيق حتى وصلت للمنزل، صعدت "شجن"
لشقة "نجلاء"، فولجت للمطبخ المتهالك لتضع
مشترياتها البسيطة على الطاولة البلاستيكية، ثم
جذبت القداحة لتحول مراراً اشعال النيران حتى تعد
الضول الحار الذي اشترته منذ قليل من بائع الضلافل،
قلبت محتوياته بعدما وضعت القليل من الزيت، صفنت
قليلاً بليلة الأمس، فأحتلت الحمرة وجهها بالتدريج
وتلك الابتسامة العاشقة تنير وجهها، شرود محبب
اليها وهي تتذكر لحظاتها الرومانسية معاً فأفاقت
من غفلتها على صوت انسكاب الحليب بعدما حصل

على الحرارة اللازمة لغليانه، أحضرت منشفة وأخذت
تمسح بقاياها في ضجرٍ من سهوها الغير مقبول للمرة،
ثم جذب صينية مستديرة الشكل لترص أطباق
الجبن والفلفل وبعض السلطات والخبز، ثم حملتها
وصعدت لسطح المنزل، وضعتها على الأريكة
المقربة منها، ثم دنت من الطاولة القديمة لتجذب
المقاعد الموضوعة على سطحها، سعلت كثيراً
حينما انفضت الغبار عنهما، فأخذت تمسحها بحرصٍ
ثم وضعت الأطباق عليها والأكواب والمياه، مشطت
بعينها الطاولة بنظرة رضا، فتوجهت للغرفة من
خلفها، دخلت وهي تبحث عنه بعينها، فوجدته مازال
نائماً على الفراش الصغير الذي أعدوه بالأمس، اخفت
بسمتها الحالمة لتقترب منه وهي تناديه باتزانٍ يخفي
مشاعر عظيمة:

"_رحيم..!"

لم يستجاب لها، فلأول مرة ينام بعمقٍ وراحة، لطالما

كانت إحدى عينيه مفتوحة، يستمع لما يحدث حوله، ولكن حينما تكون لجواره بنسى العالم بأكمله، لم يكن أمامها سوى اختيار واحد، انحنى بجسدها وهي تهزه برفق:

"_رحيم.."

صرخت بفرعٍ حينما وجدت ذاتها بداخل أحضانه، خدعها بأنه لم يستيقظ بعد ليجذبها بسرعة كبيرة لأحضانه، تلقائياً استندت بيدها على صدره العاري فاشتعلت الرغبة بداخلها وكأنه أحيَا بذكرها ما حدث بالأمس بينهما، رفعت رأسها إليه وهي تحاول المناص من بين قبضة يديه القوية القابضة على خصرها بتملكٍ، فهمست بتذمر: _دي مش طريقة دي، أبعد شوية..

ابتسم وهو يفتح عينيه ببطءٍ، فقال ونظراته تتابع حركة شفثيها بتأثر عجيب:

_أنت مفيش أي طريقة بتعجبك..!

انسحبت بنظراتها عن تأمله وقد لفح خديها حرارة

لطيفتر، فهمست على استحياء:

_سبني عايزة أقوم..

قال بمكرٍ ويديه مازالت تحاصر خصرها الممشق:

_أنا بعيد أهو..

جزت على أسنانها وهي تهتف بغیظ:

_مفيش فايده فيك..!

بفعلتها تلك أججت لهيب المشاعر المختبئة خلف

هذا الصدر القاسي، دنا منها ليعاقبها بجرعةٍ من

الأحاسيس المرهفة، فأرتعش جسدها بين يديه،

دفعته للخلف وهي تردد بأنفاسٍ متقطعة:

_الأكل هيبرد..

رفع حاجبيه وهو يتساءل باستغراب:

_أكل أيه؟..!

نهضت من جواره وهي تعدل من حجابها ثم أشارت له

بابتسامتهٍ مشاكسة:

_قوم شوف بنفسك..

وقبل ان تخرج من الغرفة، استدارت لتشير له

بابتسامةٍ مسلية:

_على فكرة أنا سرقت من جيبك شوية فلوس بس

متقلقش مش كثير..

نهض عن الفراش المسطح أرضاً حتى وقف مقابلها،
ينجح دائماً دون أي مجهود منه بأثارة الرهبة بداخلها
حينما يكون مقابلها بجسده الصلب، عبثت بحاجبها
حينما اقترب منها ليحاصرها بين ذراعيه، متعمداً
الاطاحة بها ليرى توترها بحضرته، فقال بصوته
الرخيم:

_فلوس الدنيا كلها تحت رجلك، وأولهم أنا..

بللت شفتيها بارتباكٍ، فتهربت من التطلع لزيتونية
عينيه المهلكة، رأف بها يكفي ما حدث ليلة أمس،
شعروا كأنها تقترب منه تدريجياً حتى أصبحت
العلاقة بينهما مثالية، التقطت انفاسها بحرية حينما

تنحى جانباً فقالت بخجل وعينيها أرضاً:

_أنا جهزتلك الحمام تحت..

أجابها بعدما انحنى ليلتقط قميصه الأبيض الملقى

أرضاً وجاكيته الموضوع على أحد المقاعد:

_كمان، فطار وحمام لا كده كثير عليا..

ابتسمت وهي تجيبه بحب:

_مش كثير ولا حاجة..

ثم قالت بمزح..:

_لو كنا عملنا الشقة اللي كنا بنحلم بيها هنا

كنت هغسل وأنصف وأطبخ وأعملك كل حاجة،

غير جو القصر والخدم اللي فيه..

أحكم بأصابع يديه العريضة على أصابعها، فقربها

من شفتيه ليطبع قبلة بطيئة وهو يردد بابتسامته

مهاكته:

_أقل حاجة منك بترضييني..

ثم ابتعد وهو يشير على ثيابه:

_شوية وراجع..

أومات برأسها بخفوتٍ فما أن غادر من أمامها للأسفل،
حتى وضعت يدها على قفصها الصدري تتحسس
خفقات القلب المجنون، لوهلةٍ شعرت بأنه سيقفز من
داخله، خرجت "شجن" لتجلس على الطاولة التي
أعدتها بالخارج، كانت تحتاج للهواء المنعش يبدد
تلك الرغبة التي تشتعل بقربه منها، طرقت
بأصابعها على الطاولة الخشبية عدة طرقات وهي
تعبث بما يقابلها حتى يعود..

انتهى من أخذ حمامه ثم ارتدى بنطاله أولاً، ثم
ارتدى قميصه فشعر بوجودها لجواره، ابتسامته
صغيرة داعبت شفثيه حينما تذكرها ترتديه ليلته
أمس طوال الليل، فحتماً ستطبع رائحتها به، ربما
بالماضي كان ليثور أن تسلفت رائحة امرأة أخرى
لتمتزج برائحته الرجولية، اما اليوم وبذلك اللحظة

بالتحديد يود أن يحبسها بداخل أضلاعه، بأن تظل
لجواره في كل لحظة يتنفس هو للحياة، راق له بأنه
يضع ما ارتدته حول جسده فشعر وكأنها تحتضنه،
جذب "رحيم" جاكيتته ليحمله على ذراعيه ثم صعد
لسطح المنزل مجدداً فوجدها بانتظاره، تأملته
باعجابٍ شديد، شعره الفوضوي الذي تحد المياه
أطرافه منحه مظهر رجولي جذاب، تعمد "رحيم" أن لا
يصفه فيكفي الصعود للأعلى سريعاً لرؤياها، جلس
على الطاولة من أمامها وهو يتطلع لأصناف الطعام من
أمامه بابتسامة واسعة، تحرر صوتها المكبوت وهي
تخبره بعبث:

_مش شبه فطار القصر بس ده أصلك وأصلي ولا أنت
ليك رأي تاني يا "فريد..!!"

التقط الخبز ليتناول الباذنجان المقلي مع الفلفل
بنهم، فقال وعينيه مركزة على طعامه:
_أصلي مش بفتكره غير معاك أنت..

ثم رفع عينيه وهو يخبرها:

_الماضي والحاضر بعيشه لما ببص في عيونك،
أمنيائي مش مرتبطة غير بيك أنت، اي حلم حلمت
بيه كان علشانك أنتي..

ازدردت ريقها الجاف الغير موجود بصعوبة، فسحبت
يدها بخفة وهي تشير على الطعام قائلة:

_طيب ايه مش هناكل..!

جذب قطعة من الجبن ليقربها من فمها، وزعت
نظراتها بينه وبين أصابعه الممسكة بالجبن
فاقتربت لتلتقطها بأسنانها برقّة ثم مضغتها على مهل
وبشرتها تزداد بلونها الأحمر الخجل تدريجياً، هربت
من حصار نظراته للمرة التي تعدت الرقم القياسي
وهي تسكب الشاي بالكوب القريب منه، ودت لو فرغ
من نظراته لها وألتهى بطعامه ؛ ولكنه كان يراقبها
طوال الوقت حتى وهو يتناول طعامه، رن هاتفه برنين
بدى مزعجاً له، فالتقطه ليردد بعد أن فتح:

_ لا خليك انا اللي هسوق..

علمت من مختصر المكالمات بأنه حارسه الشخصي،
وضع " رحيه " هاتفه جانباً ليخبرها على مضض:
_هنعدي على "إياد" بالمستشفى قبل ما نرجع القصر..
أومات برأسها وهي تضيف:

_ياريت علشان أطمئن على "صباح" ..

اكتفى بمنحها ابتسامته صغيرة ثم اكمل تناول
طعامه بشهية مفتوحة متناسياً طعامه الصحي عن
عمد، وكأنه لا يود ترك اي شيئاً صنعتها بيدها له..

يعشق رؤياها كل صباح حينما يستيقظ، يحاصرها
بين ذراعيه بالاجبار حتى تكون اول ما يراه، ابتسم "
مراد" وهو يراها غافلة كالطفلة الصغيرة وخاصة
بتلك الجداول التي تعقصها على شكل قرون
متدالية، طافت نظراته يدها الموضوعة على صدره
واليد الأخرى الموضوعة على خديه باهمال، اقترب

بوجهه منها ليستند بجبينه على جبينها، ففرک
بأنفه على أنفها، لوت شفتيها بضيق فهمست بتذمر:
"مراد" سيبنى انام الله..

أتاها رده المشاكس:

_أنا اللي أحدد تنامي أمته وتصحي أمته، كلامي
مفهوم؟..

فتحت عينيها بغضبٍ قد نجح باثارتته فاعتدلت
بجلستها ويدها تتوسط خصرها، ليتحرك فكها
بانفعال:

_ليه بقى أن شاء الله كنت سلطان النوم ولا معتش
لقي شغلانت..!

نهض هو الآخر ليجلس مقابها وهو يجيبها بسخرية:
_معنديش مانع تكون وظيفة ثابتة ليا مدام حاجة
تخصك..

لكزته بصدرة وهي تخبره بغيظ:

_نفسي مرة أنام براحتي وأصحى براحتي..

احتضنها بالقوة التي منعتها عن لكزه وهو يهمس
بطريقة مغرية:

_كلها أحلام أنا بس اللي بتحكم فيك وبقرر أمته
تنامي وأمته تفتحي عيونك..

كادت بأن تجيبه بحدة ولكنها توقفت حينما
استكمل وعينه مركزة على شفيتها بنظرة أفكت
حصونها:

_حظك الوحش إني بصحى قبلك ومش بقدر اتحرم
من نظرات عيونك لوقت طويل..

وبابتسامته مأكرة قال:

_ولسانك السليط ده..

كركرت ضاحكة وهي تميل على صدره لترتمي
باحضانه وهي تهمس بجديته:

_لما بصحى مش بلاقيك جنبي بحس أن يومي كله
ناقص..

رفع خدها بيديه ليجبرها على التطلع اليه، طالت

النظرات بينهما واندفعت دقات القلوب وكأنها دفوف،
لمس بأبهامه شفيتها التي ارتعشت على أثر لمساته
فكاد بالاقتراب منها ولكن سرعان ما دفعته بعيداً
عنها وهي تردد في صدمتها:

_يا نهار أسود، "سما...!!!"

ثم هرولت لخزانتها لتخرج ما يناسبها، وهي تخبره
باستياء:

_أنت السبب بتأخير يومي كله، البت هتقتلني لسه
قدامنا جلسات تنظيف للبشرة ومسكات وميكيب
ودنيا تانية..

ثم جذبت المنشقة لتتجه لحمام الغرفة وهي تتمتم
بضيق:

_طول ما انت شغالي في المحن والرومانسية وبتسبلي
بعينك الحلوة دي مش هنسى التزاماتي كبني آدمة
شغالة ميكب ارتست وبس لا هنسى كل حاجة، أنت
هتجيبه من برة ما انت طالع لابوك طول الليل والنهار

بيسبل للوليتة وكأنهم عندهم عشرين سنت...
وأغلقت باب الحمام بقوةٍ والاخر يتابعها بعدم
تصديق، القى بجسده على الفراش وهو يردد
بابتسامتهٍ واسعة:

_مجنونة...!

اجتمع الشباب بغرفة " آدم " فالساعات المتبقية على
الزفاف تعد من الأهم بالنسبة لمشاكستهم لوداع
العزوبية، أخرج " فارس " هاتفه ليوصله بالسماعة
فأنطلقت الأغاني الشعبية بالغرفة، اخرج المدة من
جيبه وهو يحركها يساراً ويميناً بتمايل على الانغام،
شاركه " مروان " الرقص وهو يردد بمرحٍ مع الاغنية:
_هتجوز وهشيل همي، لأخر نقطة في دمي..
حدهما " آدم " بغضبٍ وهو يتابع حركتهم المستفزة،
كبت " ريان " ضحكاته بصعوبةٍ وهو يرى الحملات
المشكالة ضده من قبل المشاكسان، أخبرهما

"يوسف" بسخرية:

_عقدتم الواد في الجواز الله يحرقكم، غيروا

الاغنية الهم دي..

أوماً "مروان" رأسه وهو يشير لهما بابتسامته خبيثة:

_عنيا..

ثم دنا من السماعة ليبعد هاتف "فارس" ثم اوصل

بهاتفه لتنتطلق أغنية أخرى، رفع "فارس" و"مروان"

أيديهم معاً وهما يتمايلون بخفة ليردد كلا منهما

بمرح:

_كجولووووه لوووه لوووه، روشنووووه...

التهبت عين "آدم" وهو يرى كلا منهما يبذل قصارى

جهده ليستثير غضبه، تعالت ضحكات "ريان" فقال

بحزم جاهد للتحلي به:

_أخرج بره منك له أحسن ما أفلق دماغكم نصين..

جذب "فارس" هاتفه قائلاً بسخرية:

_ناس كئيبة مالكوش في الدلع والروشنه، بينا يا

مروان نهيص باوضتنا ما كلها كام يوم ونبقى
عرسان..

ردد "آدم" ساخراً:

_الله يرحم لما كنا بنحوشكم عن بعض..

اضاف "ريان" باستهزاء:

_ساعة واحدة وهتلاقي الحرب اندلعت ما بينهم
تاني...

اجابه "مروان" بسخط:

_اقعدوا انتوا في جنب والامور هتبقى فلتة..
وما ان أغلقوا الباب من خلفهما، حتى اشار "يوسف"
لآدم قائلاً:

_فكك منهم وركز معانا، اوعى عادات أميركا
وستاتها تكون نسيتهك عاداتنا كعرب..!
استرسل "ريان" بمشاكسة بعدما وضع يده على
كتفيه:

_لا يا عم مش للدرجادي، هيبيض وشنا ان شاء الله

مش كده ولا أيه؟..

ابتعد عنهما وهو يردد بغضب:

_حياك أنت وهو، انتوا شايفني أيه قدامكم، لا

أعقلوا الكلام لحسن ويسقط منكم..

ربت "يوسف" على كتفيه الآخر وهو يضيف

بابتسامٍ فخر:

_كده اتطمنا عليك..

*****.

بالمشفى...

وجوده لجواره بالمشفى كان امراً مفاجئاً بالنسبة

لإياد ولكنه لم يكن صادماً، فبالنهاية الأمور

تصالححت بين شباب عائلة "زيدان"، جلست "شجن"

جوار "صباح" تطمئن عليها وعلى الصغير فانتبهوا معاً

لصوت رحيم الذي تساءل:

_حبيب القعدة هنا ولا ترجع البيت؟..

تطلع له "إياد" وهو يردد بذهول:

_هو ينفع أني أخرج الدكتور كان بيقول ميتفعلش..!

أعاد "رحيم" سؤاله مجدداً بصرامته

_أنت عايز ترجع البيت؟..

هز رأسه بتأكيد، فحمل رحيم هاتفه ثم خرج
ليجري مكالمته هامة ليمهد له سبيل الخروج الآمن
للعودة للمنزل..

اجتمعت الفتيات بأكملهن بغرفة "سما"، تعاوننا
بمساعدة "حنين" على تزيينها، وبالرغم من الأجواء
المرحة من حولها إلا أن التوتر كان ينخر عظامها
كالبرد القارص....

وقفت أمام ذاتها تتطلع لما ترتديه بنظراتٍ شاردة
للغايتة، فستانها الأبيض الطويل جعلها تلامس فرحة
غريبة، خمارها الأبيض الطويل الذي يخفي لمنتصف
نصفها العلوي، تاجها الذي أعطاها رونق ملوكي،
خفق قلبها سريعاً وكأنها تراه أمامه ويغمرها بروماديت

عينها، دقائق مرت عليها كصبر أعوام من الأزمنة،
دقات باب الغرفة بددت تلك الفرحة لتوتر أكبر
وخاصة حينما رأت "سليم" يقف أمامها بابتسامة
رجولية عميقة، يطالعها بسعادة وهو يرى ابنته
عروس تزف بالأبيض، تباطأت ذراعيه لتهبط لجواره
للأسفل بخطوات متهدجة حتى انتهى الدرج الطويل
بلاقائه الافتراضي، وجدته يتألق ببذلة أنيقة من
اللون الأبيض، ابتسامة الاعجاب مرسومة على وجهه
حينما رآها، انتهى الطريق القصير الفاصل بينهما
حتى صارت تقف مقابله وجهاً لوجه، تمسك بيدها
وهو يصغى لكلمات "سليم" المحذرة:
_خد بالك منها، حطها جوه عنيك..
أجابه ونظراته مسلطة عليها:

_دي جوا قلبي قبل ما تكون جوا عيوني..
هنا شعرت وكأنها تود رؤياه بوضوح وخاصة عندما
وجه تلك الكلمات التي مست عذرية قلبها، ليتها

لم تختار ذاك القرار الذي جعلها كالاسيرة امامه،
تصلب جسدها أمامه، قدميها لم تنصاع اليها وخاصة
حينما طبع قبلة عميقة على جبينها وهو يهمس
بعشق:

_مبروك يا روعي...

اكتفت برسم ابتسامته صغيرة على وجهها، شدد من
ضغطه على يدها ليَجبرها على التحرك للخارج
ليصعد للمنصة المخصصة بهما..

استغلال لمناسبة هامة مثل التي ستقيم بقصور
عائلة "زيدان" كأن أمر منمق عليها تكون فرصة
لرؤياها، لذا لم يضيع "يامن" فرصته واستعد لحضور
الزفاف حتى يتمكن من التودد اليها لتغفر له ما
فعل، بحث عنها بعينه حتى تمكن من رؤياها
بوضوح، جالسة بسكون عجيب لجوار زوجة أخيها،
وجهه وكأنه كالشعلة التي انطفئت بفعل التيار، لم

يتردد لثانية فأقترب بمسافة قريبة لهما ، ليشير
برجاءٍ لسامى بأن تتركه يتحدث معه بمفردها ،
منحته "سامى" تلك الفرصة ، فتركها بمفردها ، لم
تشعر بها لشرودها العميق الذي يعيد على ذكراها
معالم ما اختبرته بالماض ، عادت من بحورها الثائرة
لتعيد الرؤيا بوضوح عن هذا الجانب الفارغ ، جحظت
عينها في انزعاجٍ عظيم حينما رآته يجلس من
أمامها ، تقلصت ملامحها بعصبيةٍ بالغة ، فجذبت
حقيبة يدها الصغيرة ونهضت سريعاً ، تركها تبعد
قليلاً عن أجواء الحفل ، فكادت بالوصول لقصرها ،
دفعها بقوةٍ فاجبرها على التنحي جانباً بعيداً عن
الأنظار حتى وقف قبالتها ، صرخت به بجنون وكأنها
لم تعد تمتلك طاقةً لمجابته..:

_جاي هنا ليه أنت معندكش دم ، حس بقا وسبني في
حالي..

وقف مقابلها وهو يردد بحزن:

_فاطمة علشان خاطري اديني فرصة اصلح بيها
غلطي..

ابتسمت بألمٍ كمن بلهجةٍ صوتها:
_أنت شايفها غلطة؟!... أنت طعننتني في شرفي
وكسرتي! ، انت مكفكش اتهامك ليا أخذتني
لدكتورة علشان تتأكد اذا كنت طاهرة ولا لا ويا
عالم لو كانت غلطتك في تشخيصها لحالتي كنت
انت عملت ايه فيا، كنت هتفضحني زي ما قولت..
انسدت دمعته خائنة من عينيه وهو يستمع لشرحها
لجرحها الذي لم تسعه الكلمات لوصفه، التقطت
انفاسها المتقطعة وهي تسترسل ما قالت:

_صدقني لو كنت اقدر اديك فرصة مكنتش
هتردد، لكن أنا مش هقدر، وجعي بيزيد لما
بشوفك قدامي، مقدرش أجني على نفسي وأعاني
طول ما انا شايفاك قدامي، لو لسه في بقلبك ذرة
حب ليا واحترام لل صداقة اللي كانت بينك وبين

اخويا في يوم من الايام تطلقني..
أغلق عينيه بألمٍ وهو يحاول أن يحتمل ذاك الوجع
النابع من خلف صدره القاسي، شرحت له بايجازٍ
معاناتها حينما تراه، فحتى هو تألم لاجلها لذا نطق
أخيراً بعد فترة صمت:
_هطلقك يا "فاطمة..."

واستدار ليغادر وهو يسترسل بدموعٍ لم تراها هي:
_اديني 3 أيام أجهز فيهم كل الاوراق المطلوبة..
وتركها وغادر من أمامها سريعاً قبل ان ترى ضعفه
بدونها، ليتها تتسلل لداخله لتشعر بما يعاينيه بدونها..

انتهت فقرات الزفاف المعتادة برقصهما على الاغاني
الهادئة، كان كل ثنائي أختلى بزواجه بعيداً عن
الحفل، حتى "آدم" لم يقضي بالحفل سوى ساعتين
وصعد بعروسه للأعلى، فضل قضاء ما تبقى بحفل
الزفاف بمفردهما بالأعلى، أما بالأسفل فشهدت منصة

الرقص الفضية على رقص متناغم بين عسافير
الغرام، الازواج المستقبلية وحسن ختام اقصوصة
الغرام بعائلة "زیدان"، "فارس" و"مروان" وكان كلاً
منهما يحتفل بقرب موعد زفافه مع معشوقته..

ما أن صعدوا لغرفتهما وهو يشعر بارتباكها الملحوظ،
كان يود أن تكون سعادتها تطفئ على خوفها، كان
يود رؤية الرغبة تملئ عينيها، كان يرغب في رؤية
الشوق والاحتياج له تضرع شعلت عينيها، ولكن بتر
الخوف تلك الاحاسيس فسيطر عليها بشكل كلي،
حزن "آدم" وانقلبت سعادته لتعاسة وهو يراها هكذا،
بين اللحظة والآخرى تحكم مئزرها حول جسدها
باحكام، فحتى فستانها الابيض رفضت ان يعاونها هو
بخلاعه بل طلبت المساعدة من الخادمة عوضاً عنه،
مرر عينيها عليها وهي تخفي خصلات شعرها الفجري
تارة وتارة أخرى تغطي ساقها بروبها الأبيض كلما

انكشف عنها، يعلم بأن الفتاة الشرقية مختلفة تماماً عن عادات الغرب ولكن ما يؤمن به بأن الحب يبدد، الخجل، الخوف، الحرج، كل تلك القيود، ارادها بقلبها وكيانها، لا خوف وترقب لما سيحدث، جلس "آدم" جوارها وهو يسألها بمرح:

_ها يا بسيوني أيه رأيك باوضتي؟.

حدجته بنظرة غاضبة، فتعالت صوت ضحكاته المرححة وهو يشير لها بيديه بمنحه السماح:

_خلاص متزعليش، كنت بحاول افكك شوية..

ثم خلع جاكيت بذلته البيضاء ليقرب طاولة

الطعام المتحركة اليهما قائلاً:

_اكيد جوعتي بعد الليلة دي، يلا نأكل لقمة..

وزعت نظراتها بينه وبين الطعام، فبللت شفثيها

الجافة بلعابها وهي تخبره:

_ماليش نفس..

وضع الملعقة من يديه، ثم اعتدل بجلسته مقابلاً،

فأمسك يدها بحركة مفاجئة لها، جعلتها ترتعش
بصورة ملحوظة، خرج عن صمته اللاحظي حينما
قال:

"سما" مفيش حاجة هتحصل بينا طول ما أنت
خايضة ومش جاهزة لده، حتى لو قعدنا سنة كاملة
أنا معنديش مانع المهم أنك تكوني عايزة ده..
رفعت عينيها اليه بنظرة تعمقت بالتطلع له، بدت
وكانها مصدومة لما استمعت اليه، فأكد حديثه
بابتسامة هادئة منحته طالعة رجولية:
_عايزك تاخدي حريتك وتتصرفي عادي وانا
اوعدك عمري ما هكسر كلامي ده غير لو أنتي
اللي طلبتي..

ثم طبع قبلة رقيقة على أصابع يدها وهو يسترسل
بعشق:

_المهم انك تكوني مرتاحة...
ابتسمت بفرحة كبيرة، فاحتضنته بتلقائية دون أن

تعي لرد فعلها، فقالت بسرور:

_أنا بحبك كل مدى أكثر من الاول..

رفع يديه ليمررها على خصرها ببطءٍ والفرحة التي

غمرتها ظلت عليه، فهمس بأنفاسٍ حارقة..:

_وأنا بعشقك يا سما..

عادت لأرضٍ واقعها فابتعدت عنه بخجل، لتلهي ذاتها

بالإشارة له على الطعام:

_طيب يلا نأكل بقا لحسن انا واقعة من الجوع.

ابتسم وهو يراها تتناول طعامها بنهمٍ والسعادة قد

أضاءت وجهها، حتى وان تألم لذلك ولكن رؤيتها

سعيدة جعله سعيد هو الآخر، الحصول عليها يحتاج

لمزيد من الوقت يعلم ذلك ويعلم أيضاً كونه صبوراً

بدرجةٍ تجعله يتقرب تلك الخطوة منها هي..

ثلاث أيام مدة كافيةٍ منحها لنفسه ولها بالتفكير،

فحسم قراره الأخير وباليوم الرابع وصل لقصر "جان

زيدان" بصحبة والده بعدما أعد الأوراق المطلوبة
لأنهاء تلك الزيجة، جلسوا بباحة القصر الداخلية
والحزن يخيم على الوجوه بداية من "عباس صفوان"
حتى والدتها وزوجته أخيها.

أما بمكتب "جان" جلس "يامن" مقابله بعد أن أرسل
له برسالة بانه يريد التحدث معه على انفراد، الصمت
كان سيد المكان بأكمله، فتمتع به يامن حرجاً من
مواجهة صديقه، اما "جان" فكان يختار كلماته
المناسبة التي يبدأ بها الحديث فيما بينهما، فقال
بهدوءٍ وحكمة مختارة:

_طول عمرك وأنت جانبي، في اصعب اوقات
أحتاجتك كنت جانبي فيها ورغم ان الكل كان
ضدي انت ساندتني، مترددتش ثانية واحدة اني
اديلك اختي رغم اني كنت شاكك انكم حبيتوا
ترتبطوا ببعض علشان تردوا لأياد وصباح الضربة،
ورغم كده وافقت لان عارف الفرق بينك وبين

اختيارها الاول، بس اللي عملته فاق كل توقعاتي
وخلاني مش قادر استوعب انك صاحب عمري اللي
كان دهري وسندي..

قاطعہ "يامن" بانكسار:
"جان" أنا آ..

اشارة يديه اوقضته عن استكمال ما يود قوله،
ليستطرد جان بابتسامته حزينة:
_الي عايزك تعرفه ان قرار الطلاق ده راجع ليها انا
مضغطتش عليها ولا هضغط، وبرضه عايزك تعرف
ان صداقتنا منتهتتش، يمكن الموقف نفسه صعب
ومهين بس أنا اديتك الف عذر وعذر علشان أقدر
اسامحك ومخسر كش زي ما خسرت "خالد" وفضلت
لحد اليوم ده في ندم مالوش أول من آخر..

مع آخر كلماته تدفقت دمعته مؤلمة من عين "يامن"
التي اعتادت البكاء كثيراً في آخر فترة من حياته
التي قلبتها رأساً على عقب، لم يحتمل "جان" رؤيته

صديقه هكذا فنهض عن مقعده ليترك الغرفة،
نهض يامن هو الآخر وهو يقول بتردد:
_عايز أشوف "فاطمة" على انفراد للمرة الاخيرة..
اوماً الاخير برأسه قبل ان يكمل طريقه دون ان
يستدير، فهو بموقف لا يحسد عليه من جهة صديقه
المقرب والجهة الاخرى شقيقته وكرمتها المهدورة،
كان ذاك الطلب ثقيل على قلبها كحمل طن من
الحديد الصلب، ولكن امام تحرر علاقتها وافقت على
مضض، التقطت نفساً طويلاً ثم زفرته على مهل قبل
ان تدلف لغرفة مكتب اخيها، تعجبت "فاطمة"
حينما وجدتتها خالية فما لبثت سوى ثواني حتى اهتز
جسدها فزعاً حينما استمعت لانغلاق الباب من خلفها،
استدارت لتجده يغلق الباب بالمفتاح الموصود
بالخلف، ابتلعت ريقها وهي تتساءل بتوتر:
_بتفضل الباب ليه؟..

اقترب ليقف أمامها ونظراته تتطوفها من رأسها

لأخماس قدميها، حاول ان يتغاضى عن نظرات الكره
بعينيها، وخاصة حينما نطقت بحدة:

_ طلبت تشوفني ليه..!

أجابها ويديه يمررها على طول ذراعيها:

_ لاني حابب أودعك للمرة الاخيرة..

ثم اقترب ليحتضنها من الخلف، فهمس جوار شحمت
أذنيها:

_ أودعك وأنتي حلالتي، عارف انك مش طايقاني بس
ده وداع اخيرا "فاطمة.."

كلماته تلك جعلت قلبها ينقبض بصورة مخيفت،
أغلقت عينيها بقوة وهي تجاهد شعورها الخائن
لوجودها لجوارها، تماسكت لأصعب مدى وخاصة
حينما ادارها لتقف أمام عينيها التي تصطنع القوة
وتفضحها لؤلؤ حذقتيه، مرريديه على خدها وهو
يردد بابتسامته تحمل وجع عالم بأكمله:

_ القرار ده اخدته علشانك انتي، لاني بحبك مش

هقبل أشوفك بتتعذبي قدامي، لاني بحبك مش
هقدر أشوف الكره في عيونك ليا، لأنني معترف
بغلطتي اتحملت بعدك عني وحسرتي كعقاب ليا...
ثم احتضنها بقوة كادت بان تمزق أربطة ذراعيها،
ليعود ليسترسل حديثه المؤلم:

_عارف ان بعدك عني هيبكون أصعب من الموت بس
مستعد للأصعب من كده علشان أشوف ابتسامتك،
وعارف اني بمجرد ما هديكي حريتك ممكن
تكوني لغيري وده هيدبحني بسكينت تالمت بس
راضي لو ده هيفليني مبسوطة وسعيدة..
دقائق طالت باحتضانه لها، وحديثه المتواصل،
دمعاته التي غمرت كتفها ودمعاتها التي تخفيها
بيديها حتى لا يشعر بها، ابتعد عنها ونظراته تحفظ
كل انشئ بوجهها، حتى ان أصابعه ارادت وداع أخير،
فمررها برفق على معالم وجهها، ليردد بدمع جعل نبرة
صوته مهتزة:

_خليكي متأكدة اني محبتش ولا هحب غيرك يا"
فاطمة" وأني بتمنالک من قلبي السعادة والعوض مع
الانسان اللي هتکملی معاه..

وترکها وغادر على الفور قبل أن تعصف به غیرته
فیرتکب أمراً مضاف لللائحة حرجه المتزايد، خرج
للباحة، لیجلس جوار ابيه بانتظار تجهيز الاوراق
لیضع توقيعه ویغادر هذا المكان بسلام لن یعهدہ
قط طوال حياته، أما بالداخل ما ان غادر من أمامها
حتى مدت يدها تلامس الفراغ والدموع تنسدل دون
توقف، اقتربت منها سلمی ببكاءٍ وهي تحثها على
المضي قدماً للخروج حتى تضع توقيعها هي الاخرى
على ميثاق طلاقها، جلست مقابل "يامن" وابیه، وعقلها
شارد بملکوتٍ اخر، عصفت بها الذکريات وكأنها
اشفتت على حالهما فطرحت من أمامها الذکريات
الحسنة التي جمعتها به، وعلى رأسهما ما حدث
بالاسکندرية حينما اعد لها إیاد خندق لیوقع بها

ببرائثينه وخلصها يامن منه، ورغم حبكة الدور
المتمازة الا ان يامن وثق بها ورفض تصديق ما رآته
عينيه، رأت عدة مواقف جمعتها به وكلهن أثبت
فيهما رجولته وحبها لها، حتى حينما حدثت بينهما
هذه المعضلة لم يتهمها ببداية الامر الا بعد مرة
والاخرى، وان يكن العذر يملكه بنسبة عشرون
على مئة، فغياب إياد بتلك الفترة بالتحديد،
والعلاقة الغامضة التي ربطتهما بالبداية كانت
لتثير الشكوك رغماً عن الجميع، نعم اهانها ومازال
شرح قلبها لم يترمم ولن يقوى على سد تلك الفجوة؛
ولكن الضراق بينهما امراً موجع لها، أفاقت "فاطمة"
من بحور شرودها على صوت "عباس صفوان" وهو
يقدم عقد الطلاق لابنه ويؤمره بحزن:
_أمضي هنا يا ابني..

رفع يامن نظراته اليها ليطمئن بها قبل أن تحرم عليه،
ثم جذب القلم من أبيه، وكأنه امسك بخنجر سنه

مسنون، هرعت اليه "فاطمة" لتجذب منه الأوراق
فصرخت وهي تمزقها ألف قطعة:

_لأ.... لأ...

نهض عن محله وهو يقف قبالتها يطالعها بنظرات
دهشة، رفعت يدها لتهوي على وجهه بصفحات قوية
ولكمات متفرقة على صدره وهي تردد بصراخ
هيس تري:

_هونت عليك تتخلى عني بالسهولة دي، ازاي...!!!
بدى الجميع بحالة من الصدمة، فحتى يامن وقف
مقابلها بصلابته وهو يحتمل ضرباتها المؤلمة في
سبيل سماعه لما تردد، وقلبه ينبض من جديد،
بكت فاطمة وهي تهمس بخفوت:

_أكيد في عقاب تاني ليك غير اننا نفترق أكيد
في..

أمسكت بجبينها بألم، لتبدو الرؤيا مشوشة من أمامها
ومن ثم اظلمت لتهوى بثقل جسدها على صدره الصلب

الذي ساندها ليحل بينها وبين الارض، وصوته يتحرر

بفزع:

"_فاطمة...!"

الفصل السابع والخمسون...

جمال الطبيعة لا يوجد اختلاف يذكره؛ ولكن
يختلف من منظور العين التي تتأمله، كعينها
التعيسة، الحزينة، ترى ما حولها ظلام بائس، لا
تشعر بالبهاء لرؤية هذه المناظر الساحرة، ترى ما
حولها نيران تشتعل فتكاد تحرقها، سكونها ليس
هدوء استسلام صريح للحياة التي منحتها فرصة
للعيش ثم عادت لتنتشلها منها بقوة، دعستها مرة
وحيثما وجدت الحياة تدب بها عادت لتبتتر أطرافها،
أتى من خلفها الأمل القابع خلف الظلام، يراقبها
بنظرات مهتمة، ليست نظرات طبيب يراقب حالته
ولكن فضوله بتأمل تلك الفتاة الغامضة جعلته
مشدوه بها، دقائق لم يسئم من وقفته تلك حتى قرر
الاقترب ليجلس على المقعد المقابل لها وهو يردد
بابتسامة ساحرة:

_صباح الخير يا "فطيمة.."

وكانها فقدت صوتها منذ ذاك الحادث الأليم،
متابعة "يارا" علاجها لم يجدي بثمار عظيمة، فلم
تسترد صوتها او رغبتها بالحياة بعد، نقلت نظراتها
عن تأمل الأزهار لتتطلع لمن يجلس أمامها بنظرة باردة
كحال جسدها الميت، استطرد "علي" حديثه
وبسمته مازالت مرسومة:

_كويس انك خرجتي من أوضتك ونزلتي هنا..
انتظر سماع صوتها ولكنها ظلت تتأمل به بصمت، قطع
الحديث بينهما صوت هاتفه فرفعه بنظرات عابثة
حينما قرأ اسم والدته، ابتعد عنها قليلاً وهو يجيب
على مضمض:

_أيوه مع حضرتك..

استمع لما قالت به بضيق، فرفع يديه ليمررها على
جبينه بغضب من سماع نفس الحوار المتكرر عن
خيانت يارا وكيف تقبل الأمر ببساطة، وبنهاية

حوارها تطالبه كعادتها بالعودة لأنجلترا، حرر عقدة
لسانه وهو يجيبها بعد تحكم شديد بانفعالاته:
_ يا امي حرام عليكى، مش كل ما تتكلمي
تقوليلي نفس الكلام، قولتلك الف مرة هرجع
انجلترا لما يارا ترجع للمصحة..

عادت لنوبتها من جديد وهي تذكره بما فعلت به وما
يقدمه لها فقال باستياء:
_ انا مضطرا قفل لأنى عندي شغل..

واغلق الهاتف ليضعه على الطاولة المقابلة بفطيمته
ليزفر بمالٍ، نقلت نظراته لهذه الملاك الصامت من
أمامه، فشعر بنشوة غريبة لسماع صوتها، ود لو علم
بالنفضيل منها عما مرت به..، شغل تفكيره بعودة يارا
فحينها سيضطر بائساً للعودة ليتابع عمله العالق
بانجلترا، فردد وعينيه تتابع نظرات عينيها البريئة:
_ انا اللي هكون مسؤول عن حالتك يا "فطيمته"،
هتسافري معايا أكيد..

(قريباً نوثيلاً منفردة خاصة بعلي وفطيمة

بعنوان #فطيمة» صرخات أنثى... («!)

كالفراشة المبتور إحدى أجنحتها فأمتنعت عن
مداهمة أعناق السماء، فبات الهواء ثقيلاً، امتنعت عن
الطعام لمدة لا بأس بها، لذا صارت هزيلة فلم يكن
ينقصها جرحاً جديداً، ازداد الضغط عليها حينما رآته
ينهي ببساطة كل شيء بينهما، نعم تعلم بأنها من
ألحت في طلبها بالانفصال؛ ولكن يا لقلب الانثى،
تريد الابتعاد ولكن قلبها يريد الاقتراب، تريد
الهجران وقلبها يريد اللقاء، تخبره بالابتعاد وبدخولها
تتمنى أن يظل قريب، تغلق بابها بوجهه وتعود
لتفتحه من جديد تتلصص بالتطلع عليه، لطالما
كانت النساء كالكمياء يصعب فهمهن، ظل "يامن"
لجوارها لساعات طويلة، بعد أن شخص الطبيب
حالتها الواهنة بسبب قلة تناولها الطعام، فعلق لها

محاليل من الفيتامينات علها تتمكن من تعويض ما تسببت به، شدد "يامن" من التمسك بيدها، فكان يقبل أصابعها بعمق تارة ويمسد على خصلات شعرها تارة أخرى، غير عابئ بمن حوله بالغرفة، فما زال لا يستوعب بأنه كان على شفى خسارتها..

راقب "عباس صفوان" ابنه بدمعات تلاًأً بحدقتيه فأستأذن بالأنصراف، وغادر لمنزله بعدما اطمئن بأن الأمور على ما يرام، جلست "سلمى" جوار حماتها على الأريكة القريبة من الفراش، أما "جان" فكان يستند بجسديه على باب الغرفة، يوزع نظراته بين صديقه وشقيقته بحزن بالغ..

بدأت "فاطمة" بفتح عينيها تدريجياً، فأصبح هو في مرمى بصرها، فمنحها الشعور بالاطمئنان بأنه لجوارها، يديه تحتضن أصابعها ليشعرها بأنها مازالت ملكه، بأنها من اختارت البقاء معه بارادتها، انسدت دمعة خائنة من عينيها فأغلقتها بأرهاق، اقترب

يامن منها ليزيح تلك الدمعات برفق وهو يردد بهمس:

_حمد لله على سلامتك يا حبيبتي..

تطلعت له مطولاً بنظراتٍ ساكنة، وكأنها تقبلت ما
تمر به، تقبلته بخطئه، تقبلته جوارها يطيب جرحها
وراق لها ذلك، كادت "مايسة" بالاقتراب من الفراش
لتطمئن على ابنتها، فأسرع "جان" ليقف مقابلها وهو
يخبرها برجاءٍ وصوتٍ منخفض:

_سببها معاه دلوقتي يا ماما، من فضلك..

أخفضت نظراتها المزعوجة عنه، فتطلعت لابنتها
بنظرة أخيرة ثم تركت الغرفة بأكملها، دنا "جان"
من زوجته وهو يشير لها بهدوءٍ للخروج، استندت عليه
وهي تحاول النهوض بألمٍ، فأمسكت بطنها المنتفخة
وهي تحتمل على ذراعه القوي للنهوض، خرجت معه
للخارج فأغلق باب الغرفة بهدوءٍ ثم وجه حديثه
للخادمة التي تقف أمام باب الغرفة بانتظار تعليماته:
_حضري لفاطمة أكلها وطلعيه هنا..

أومات برأسها وهي تغادر من امام عينيه، فوقف مقابل
"سلمى" المستندة على الحائط بارهاق، ليسألها بلهفة:

_مالك؟..!

أجابته بتعب:

_مش عارفت يا "جان" من الصبح حاست بتعب رهيب..

طوف خصرها بيديه القوية وهو يخبرها بخوف:

_تحبي نروح للدكتورة..!

أشارت له بالنفي، قائلةً بایضاح:

_معادي عندها بعد يومين علشان تحدد الولادة،

دخلني بس اوضتي ارتاح شوية..

مدد يديه أسفل ساقها ليحملها بحذر، ثم توجه

لغرفتهما، وضعها على الفراش ثم تمدد جوارها،

فاسندت رأسها على صدره، ابتسم وهو يحرق حجابها

ومن ثم خلع الحذاء، جذب الغطاء ليدأثرها بأحضانها

حتى غفت تماماً، لفحت انفاسها صدره فجعلته يغلق

عينيه بابتسامة عذباء، ربت بيديه على طول

خصرها ومن أمامه يرى شعاع لبريق ذكريات حملها
وخاصة حينما أخبرته بما تحمله ببطنها، عادت
تلك الذكرى المجيدة لتتشكل أمامه من جديد،
فحينما غابت عنها عاداتها الشهرية، رأى صديقه
الراحل بالمنام يحمل طفل صغير ويقدمه له
بابتسامة صافية، لأول مرة يراه بمنامه فكان سعيداً
للفتنة لذا أخذها باليوم التالي للفحص وحينما
أكدت له الطبيب حملها أخبرها بأنها ان كانت
تحمل بولد سيسميه "خالد"، أفاق "جان" من شروده
على صوتها المئن بتعب شديد، ففتحت "سلمى"
عينها وهي تخبره ببكاء حارق:
_مش قادرة، شكلي بولد خدني للدكتورة بسرعة..
نهض عن الفراش سريعاً فحملها ليهبط بها على مهل
حتى صعد لسيارته..

بغرفة "فاطمة.."

التقط الطاولة المتحركة من الخادمة، فوضعها
جوار الفراش ثم التقط طبق شوربة الخضار
الساخنة، فوضع الملعقة ليقربها منها، اعتدلت
فاطمة "بجلستها، فوزعت نظراتها بينه وبين ما
يحملة، تناولت ما يحملة بهدوءٍ وعينيها تتابعه، انهدت
الشوربة بأكملها فسعد كثيراً باستجابتها لتناول
الطعام من يديه، وضع الطبق عن يديه ثم جلس
مقابلها يبحث عن الكلمات المناسبة ليفتح الحديث
بينهما، فقال بعد تنهيدة عميقة:
_ انا عارف أن غلطتي كبيرة ومش هتتغفر في يوم
وليلة، بس هحاول أني اعوضك عن كل اللي حصل
ده اوعدك..
رفعت عينيها اليه وهي تهز رأسها بخفةٍ لتضيف بحزن:
_ أتمنى أن اللي عملته يتمسح من ذكرياتي لأنه
صعب ومؤلم..

قربها اليه فاحتضنها رغماً عنها وهو يخبرها بعشق:

_أنا أسف، اعتذار الدنيا كلها مش هيكفي اللي
عملته بس صدقيني هعوضك عن كل ده..
تدريجياً رفعت يدها لتشد من احتضانه فابتسم
بفرحة، وهو يهمس:

_حبيبتي!..، بحبك أكثر من نفسي...
ابتسامته صغيرة داعبت شفيتها فابتعدت عنه
باستحياء، جفف دمعاتها العالقة بعينيها وهو يقول:
_ايه رأيك نرجع البيت..!

انقبض قلبها، فتقلصت تعابير وجهها رغماً عنها، شعر
هو بذلك فلم يرغب بالضغط عليها يكفي أنه
تخطى تلك العضلة، فمر يديه على خصلات
شعرها وهو يردد بهيام بعينيها:

_خليكي هنا لو هترتاحي أكثر..
ثم طبع قبلة على يدها قائلاً وعينه تفترسها:
_راحتك تهمني..

بسمته شبه عابثة رسمتها بخضوت، سحبت كف يدها

سريعاً بخجل حينما فتح باب الغرفة لتطل "مايستا"

من خلفه، فسأله بقلق واضح:

"يامن" متعرفش "جان" اخد "سلمى" على أي

مستشفى..!

أجابها باستغراب:

_مستشفى ليه..!

تدخلت "فاطمة" قائلةً بدهشة:

_هي سلمى بتولد ولا ايه؟..

ردت عليها بتوتر:

_الشغالة بتقول انه أخذها وطلع بالعربية شكها

كده بتولد..

رفع "يامن" هاتفه وهو يشير لها بهدوء:

_هحاول أوصله وأعرف منه هو فين بالضبط..

قالت وهي ترتدي حجابها بارتباك:

_ياريت يا ابني..

وبالفعل بعد عدد من المكالمات تمكن من معرفة

المشفى التي قصدتها "جان" فتحرك بصحبة والده
ليكون لجوار رفيقه بمثل هذا الوقت العصيب..

كمعاناة المرأة الحامل حينما تدخل بالشهر الثالث،
ينتابها دوار حاد وتقيئ صباحي، كاد جسد "ريم"
بالاسترخاء أرضاً فأسندتها "سليم" بتحكم، ثم ازاح
خصلات شعرها عن وجهها، ليعاونها باستفراغ ما
بجوفها، أشارت له بتقزز بأن يخرج سريعاً حتى لا
يراها بتلك الحالة ولكنه أبى ذلك وظل لجوارها
حتى نظف وجهها جيداً بالمياه، ليحملها لفراشها، ثم
احضر لها كوب من العصير، فأرتوت به بعد جفاء
ريقها المرير، التقطت انفاسها بصوت مسموع، فقالت
بالكد:

_ أنت مش ناوي تنزل شغلک يا "سليم.."

وبحزنٍ بدى بلهجتها استكملت:

_ أنا قرفتک معایا بتعبي انا تقريباً كل يوم بحالت..

أجابها بابتسامته تلك التي لا تفارقه:
_أنتي بالتعب ده علشان شايلت حتر منك ومني، أقل
واجب عليا أني اكون جانبك وقت تعبك..
وطبع قبالات متفرقة على لائحة يدها وهو يرفع
الوسادة من خلفها:

_ارتاحي يا عمري، ومتفكريش في أي حاجة غير في
البيبي اللي هينور حياتنا كمان كام شهر..
ابتسمت ببهجة تزورها قلب وقالباً حينما تراه هكذا،
غضت على الفور بأنها كـ شديدة، فما ان تأكد من
نومها حتى تسال لخزانته ليبدل ثيابه سريعاً ليهبط
لسيارة "ريان" لينضم لجان بالمشفى...

وصل "يامن" للمشفى، فوجده يجلس بالزقاق الطويل
أمام غرفة العمليات، وجهه شاحب للغاية والخوف
يسيطر عليه، اقتربت منه "مايست" لتربت على
كتفيه بابتسامته هادئة:

_هتقوم بالسلامة بإذن الله يا حبيبي..

منحه نظرة جانبية وهو يهمس برجاء:

_إن شاء الله..

قال "يامن" هو الآخر:

_ربنا يطمنك عليها يارب..

تطلع اليه مطولاً وكأنه يشكره لوجوده لجواره

بذات الوقت بالتحديد، انتبه "جان" لصوت "سليم"

القادم من خلفه متسائلاً باهتمام:

_طمنا يا "جان" خرجت ولا لسه؟..

أشار برأسه بخوفٍ عاد لينبش من جديد:

_لسه، ربنا يسترها..

لف "ريان" ذراعيه حول كتفيه وهو يجيبه بابتسامته

واسعة:

_هيسترها وهتقوم بالف سلامة ويشرفنا أجمل ولد

بالكون كله ولا أيه يا "فارس"!!

اقترب منهما هو الآخر وهو يجيبه بتأكيد:

_بإذن الله، متقلّش يا "جان" الولادة القيصريّة

بتأخذ وقت، إن شاء الله خير..

قال "مروان" مماًزحاً إياه:

_مراتك مستقصدنا ولا أيه مختارة حتّو وقت، ما

صدقنا نجوز سيد امريكا ونفوق لنفسنا..

ابتسم "جان" ثم قال بمرح:

_طول عمرك واطي ومبتفكرش غير في نفسك..

انقطع الحوار بينهما بخروج الممرضة بالطفل الصغير

الذي على صوت بكائه الردهة المطولّة بأكملها،

هرع الشباب اليها سريعاً في سباقٍ حقيقي لحمل

المولود، أما "جان" فاقترّب منها وهو يتساءل باهتمام:

"_سلمى" فين..!

أخبرته بابتسامٍ عمليّة:

_متقلّش بيجهزوها، شوية وهتخرج..

تركهما يتشاجران على حمل الصغير واتجاه للباب

الاخر الخاص بغرفة الجراحة، اتبعه "سليم" ليقف

لجواره وما أنا خرجت الممرضات بالسريـر المتحرك
حتى دفعه سليم بمعاونـة جان الذي أمسك يدها وهو
يردد بلهفـة:

"_سلمى" حبيبتي سامعاني..!

أجابته الممرضة بهدوء:

_لسه مفاقتش شوية وهتفوق..

أطبق على السرير ورأسه قريبة منها يتأملها بخوف،
ولجوا للغرفة المشار إليها، فحمل "جان" الملاءة
بمعاونـة "سليم" ليضعونها بالفراش، ثم جلس لجوارها
يترقب استعادتها للوعي...

ولج "ريان" بالصغير، فطبع قبلاته على جبينه، ثم
وضعه بالسريـر الصغير المجاور للكبير، مر يديه
حلقاـت على خديه الناعم فقال وما زال يتأملـه:

_هتسميه أيـه يا "جان"؟..

أجابه الاخير على الفور وعينيه تتطلع للـفراغ بشـرود:

"_خالد.."

اتسعت بسمته ريان بفرحة، فردد بأعجاب:

_أحلى حاجة عملتها..

تأملته بنظراتٍ هائمة، فمن ذاك الذي يمنح زوجته
الفرصة الكاملة برغبتها بالاقتراب منها، الأغلب من
الازواج وخاصةً بمحيط الشرق يودون التأكد أولاً من
عفة زوجته ومن ثم يمنحها الفرصة مثلما ارادت،
كانت تظن بأنه يخدعها بكلماته ولكن بعد أن مر
هذا الوقت بعد زفافهما باتت تصدقه، تثق به وهذا
على غير عاداتها، شعرت "سما" برغبةٍ جامحة
بداخلها تحثها على لمس وجهه، فلم تحاربها وفعلت ما
شعرت به، أنكملت ملامح "آدم" بانزعاج، ففتح
عينيه ليتفاجئ بها تحتصن خديه وتنظر له بعشقٍ
لم يتمكن من ملامسته بعينيها من قبل، صعقت
حينما رآته قد افاق من نومه فسحبت يدها سريعاً وهي
تتهرب من نظراته المحاصرة، ابتسم "آدم" وهو يشير

لها بحب:

_ الدنيا راضية عليا ولا أيه؟..!

ثم قال ونظراته مازالت عليها:

_ لا أكيد في حاجة غلط...!

رددت على استحياءٍ وعينيها تتهرب منه:

_ مفيش غير أني بحبك وبس..

خفق قلبه بجنون، فدقت ناقوس الخطر مرتين، مرة
بملامساتها وبحديثها الذي أضرم نيران الرغبة بذاك
الصدر، فأقترب منها ليدعوها لأن تصير زوجته قولاً
وفِعْلاً وسعد كثيراً حينما لبّت دعوته بمحبّةٍ
وقناعة، فظهرت له الشق الخفي من عشقها المتيم
إليه، عشق سيد أمريكا المغرور...!

الشمس على وشك السطوع ومازال بغرفته السريّة
يجلس بظلامه المخيف، يتدرب لأطول فترة زمنيّة
على التعايش والتدريب داخل الظلام حتى بات

بصيراً، شعر "رحيم" بحركةٍ خافتةٍ من حوله،
فبحركةٍ سريعةٍ جذب سلاحه ثم جذب الخنجر
الموضوع ليلقيه ببراعةٍ على أزار الضوء فأنفتح
سريعاً، سلط سلاحه تجاه الصوت المسموع، رفعت
يدها وهي تشير له بخوف:

_حاسب!، هتقتلني ولا أيه؟..

أخفض رحيم سلاحه بابتسامته ساحرة، وهو يشير لها
بالاقترب، ابتلعت ريقها الهارب بخوفٍ شديد،
فأقتربت منه بارتباكٍ وهو يشير لها على قدميه،
جلست على ساقه ومازالت نظراتها مركزة على السلاح
الموضوع خلفه، فسألها "رحيم" باستغراب:

_أيه اللي مصحيكي لحد دلوقتي..!

مالت برأسها على صدره وهي تجيبه:

_مش جيلي نوم وأنت مش موجود..

لف ذراعيه الممتزجة بعرقه من فرط المجهود

المبدول:

_بس أنا جانبك..

ثم مرريديه على بطنها المنتفخة وهو يردد

بابتسامته:

_وموجود جواكي..

ابتسمت وهي تمرريدها بتلقائية على يديه:

_مش كفايا انت وجودك جانبي اهم..

ابتسم بثبات ومازالت مجابهته بصرامته:

_لو هتفضل هنا كتير أنا هكون جانبك ومش

هطلع الاوضة غير وانت معايا..

مرريديه على طول ذراعيها وهو يهمس بأنفاسه

الحارقة:

_بعد كل ده ما ينتهي هنسافر باليخت برحلة

طويلة..

ابتسمت وهي تجيبه بحماس:

_ياريت...

حملها بين ذراعيه ثم خرج من جناحه الخاص ،

ليردد وعينه تتأملها بعشق:

_هو انا قولتلك أني بعشقتك..

تعالت ضحكاتها التي افكتك بقلبه، فغمز لها بخبثٍ

وهو يغلق باب جناحه بقدميه:

_يبقى نسيت، ونسيت كلام تاني كثير مهم هحتاج

نتكلم فيه..

وأغلق الباب بقدميه ومن ثم انطفئ الضوء ليصبح

عالمهما يسوده الظلام والقلوب تنير الدرب..

حاولت النوم كثيراً؛ ولكنها لم تتمكن من ذلك،

فصنعت وعاء كبير من حبات الذرة الشهي (فشار) ثم

جلست أمام احد المسلسلات التركية، تفاعلت

"حنين" مع بعض المشاهد المعروضة من امامها

بتسليةٍ حتى أتى المشهد الخيالي المعتاد بكل

مسلسل هندي، فلمعت عينيها بصورةٍ مخيفتة وهو توزع

نظراتها بين التلفاز و"مراد" الغارق بأحلام نومه

العميق، أسرع بلهفة لتجذب المقص ثم اقتربت من
الفراش لتجذب إحدى الوسادات ثم مزقتها بالمقص
ومن ثم اقتربت منه لتصيح بجنون:
_الحق يا "مراد.."

فتح عينيه الزرقاء بضرع وخوف على ما قد أصابها،
فما أن اعتدل بحلسته حتى افرغت الريش القابع
بداخل الوسادة من فوقه، تعالت ضحكاتها بهستريّة
حتى انتهت من فض ما بداخلها، جف حلقها وتراجعت
للخلف بخوف تشكّل حينما رأت لون حدقتيه يتغير
للون الأحمر القاتم الذي يشع بشر عظيم ونيران لن
يطفئها الضرار.!!!!

الفصل الثامن والخمسون،

و التاسع والخمسون

لم تستطيع الفرار منه، فكلما سلكت اتجاه أمن
للنجاة قطعه عليها ليكون سداً منيع، لم تجد حلول
أخرى مقترحة لذا صعدت فوق الفراش وهي تشير له
بضحكتها المرتفعة:

_أعقل يا "مراد.."

وزع نظراته بينها وبين الاتجاهين، ليرى كيف
يحاصرها من جديد، صرخت بخوفٍ حينما رآته صعد
ليقف جوارها هو الأخرى، أشارت له بأصبعها وجسدها
يتراجع للخلف:

_مش أنت دائماً بتقول عليا مجنونة وأنا بعترف بده..
كادت بأن تتجاوزه، فلف معصمه حولها ليجبرها على
التراجع، حتى باتت ذراعيه معتقلاً لها، رفعت عينيها
تجاهه فوجدته يتأملها بنظراتٍ قاتمة، بلعت ريقها

بصعوبةٍ وهي تخبره بأنفاسٍ مسلوبةٍ:

_بشوف حركة الريش دي في كل المسلسلات

التركي والهندي فقولت أجربها، أيه أجمت..!

قرب وجهه منها وهو يهمس بغيظ:

_أنا حاسس أن ربنا رزقني بطفلتين..!

لوت فمها بتهكمٍ وهي تجيبه بحزنٍ مصطنع:

_أنت ليه أخذ كل حياتك بشكل جادي كده ولما

بعمل شوية بهجةٍ أغيرلك بيهم المود بتتضايق

وتقول عليا مجنونة..

رفع يديه على جبينه الذي يكاد ينفجر من فرط ألم

رأسه الذي يهاجمه كلما رأى تصرفاتها، أحنّت رأسها

في حزنٍ بدى له حقيقي تلك المرة، فخطف نظرة

سريعة، مأكرة لجواره، ثم انحنى بجسدها برشاقةٍ

ليخطف الوسادة الأخرى، مزقها بيديه ليشير لها

بابتسامةٍ مرحة:

_يعني دي اللي هتغير مودك يعني، طيب اهوو..

والقى ما بها عليها فتعالت ضحكاتها وهي تدور
بجسدها بفرحةٍ، وجد ذاته يبتسم لرؤيتها سعيدة،
يعلم بأن بداخل كل امرأة فتاة صغيرة، تتمنى
الخروج كل فترة لدقائق معدودة، تنفس بها عما
بداخلها، الحياة التي اختبرتها "حنين" كانت قاسية
للاغاية، حُرمت من طفولتها فقضتها أما هرباً أو خوفاً
من الموت، البهجة التي تصنعها لذاتها بعالمه تصنعها
لشعورها بالأمان يحاوطها ، فتود تعويض ما خاضته من
تجربة مريرة، انتبهت لنظراته المتعمقة بالتطلع لها،
فكفت عن الحركة، تلاشت ضحكاتها الواسعة
لابتسامة رقيقة، فدنت منه حتى ارتمت على صدره،
احتوائها بتملكٍ وعينية مغلقة كأنه يدفنها
بداخله، رددت بأنفاسٍ أنعشت قلبه العاشق حينما
قالت:

_بأحبك...

شدد من ضمه لها، ليخبرها بابتسامته رسمت على

محياء:

_وانا بعشق جنانك..

ابتعدت عنه وهي تطالعه بنظراتٍ مهتمة، فقاطعهما
طرق باب الغرفة، لتدلف من بعدها "عفاف" مسؤولة
القصر، لتخبرهما بابتسامته عذباء:

_الفطار جاهز..

أوماً برأسه وهو يخبرها بوجوم:

_روحي انتِ واحنا شوية ونازلين..

غادرت الجناح فجذبت "حنين" حجابها لترتديه ثم
لحقت به ليهبط كلاً منهما للأسفل..

وأخيراً بعد تعب خاضته لساعاتٍ طويلة، فتحت
عينها وعادت لتسترد وعيها، طوفت نظرات "سلمى"
المكان من حولها لتجد ذاتها بغرفتها، ومن ثم تعلقت
بالسرير الصغير الذي اشتrote مع زوجها من قبل
لاستقبال مولودها الاول، اشرق وجهها بابتسامته منيرة

وهى تستمع لصوت بكائه الهزيل، ضغطت على
شفتيها بقوة من شدة الألم الذي هاجم منتصف بطنها
أثر الجراحة، تأوهت بصوت مسموع حينما حاولت
الوقوف على قدميها، عبث "جان" بعينه بانزعاج،
فاستيقظ من نومته المقلقة، ليجدها تحاول النهوض
عن الفراش، أسرع إليها وهو يردد بفرحة:
"سلمى" أنتي فوقتي...!

استندت على الكومود المجاور لها بتعب شديد
فأسرع إليها ليقربها إليه، ثم لف ذراعيه حول
خصرها ليحمل ثقل جسدها على صدره، فقال بعتاب:
_أيه اللي قومك من السرير وليه مصحتنيش..
أشارت بيدها تجاه فراش الصغير وهي تردد بصوتٍ
متقطع:

_كنت عايزة أشوفه..

حملها بحذر ثم أعادها لفراشها، وهو يخبرها بضيق:
_أنتِ تعبانة يا حبيبتي كنتِ قوليلي وأنا أجهولك

لحد عندك..

داثر جسدها بالغطاء الوثير ثم أسرع للفراش ليحمل
صغيره بابتسامته حنونة، ثم قربه اليها ليضعه بين
يدها، النظرة الاولى تعد بمثابة توقف الزمان من
حولك، كل شيء يعلق بالذهن بتلك اللحظة،
كالكاميرا تلتقط كل التفاصيل ثم تعاد لطرحها
فيما بعد حينما تعود لاستذكارك ما حدث بذاك
اليوم المميز، تعلقت عينيها بصغيرها، ذاك الذي
حملته ببطنها لتسعة أشهر، كانت تتوق لرؤياه،
لرؤية ان كان يشبهها أم يشبه من عشقته حد
الموت، رفعت وجهها لمن يقف مقابلها وهي تردد
بابتسامته عابثة:

_مش باين شكل مين فينا ليه..!

جلس لجوارها وهو يمرر يديه على خصرها:

_لسه صغير يا حبيبتي، وبعدين هيطلع لمين، لو طلع
شبه أمه هيبقى واد محظوظ..

رفعت حاجبها باستنكار وهي تسأله:

_ليه؟!

رفع بيديه ذقنها ليغمز لها باشتياق:

_هيورث كل الجمال ده ومش هيبقى محظوظ..

لوت فمها بحزن وهي تشير له باصابعها:

_بس انا عايزاه شكلك أنت يا "جان.."

ابتسم وهو يتأملها تارة ويخطف نظرة سريعة لابنه

الذي ما زال لا يستوعب قدومه بعد، ثم قال بهدوءٍ

وعينه تتعمق بالتطلع بها:

_المعادلة صعبة وللأسف ملهاش حلول، أنتِ علشان

بتحبيني عايزة الولد شكلي وأنا علشان بموت فيك

عايزه شكلك..

أغلقت عينيها باستسلامٍ واستندت برأسها على صدره،

كادت بأن تغضو لولا طرقات الباب الخافتة التي

جعلتها تبتعد بخجل، سمح "جان" للطارق بالدخول،

فولج "ريان" بصحبة زوجته "سارة" التي اقتربت منها

سريعاً لتطمئن عليها بعدما علمت بما حدث معها
بالأمس، جلست جوارها قائلة بقلق ملحوظ:
_الحمد لله ان ربنا قومك بألف سلامة، انا لما ريان
قالي دلوقتي استغربت لأني كنت معاكى عند
الدكتورة لما حددتلك اليوم..!
أجابتها "سلمى" بتعب:
_وانا نفسي استغربت والله يا "سارة"، كنت فاكراه
وجع عادي..
ربت بيدها على قدميها الممددة:
_المهم أن ربنا قومك بالسلامة انتي والبيبي..
أومات برأسها وهي تردد ببسمت رضا:
_الحمد لله..
نهض "جان" من جوار زوجته ثم اقترب منها ليحمل
الصغير الذى غفى على قدميها ثم اقترب من "سارة"،
ليقدمه لها، حملته باهضة وهي تردد بفرحة:
_بسم الله ما شاء الله، قمر ربنا يحفظهولك يارب..

تأملها "ريان" باهتمامٍ وخاصة حينما قال:

"_خالد"، جان سماه "خالد.."

أدمعت عينيها وإن كانت بسمتها الواسعة سيطرت
على شعورها الطاغي، فلاحت منها نظرة ممتنة لجان
الذي ابتسم لها، تساقطت دموعها رغماً عنها حينما
تذكرت أخيها، فقال "جان" بمزاحٍ عليه يخفف عدة
الاجواء:

_يلا اتجدعني وهاتيله بنوتة، ويا بخت من وفق راسين
في الحلال..

انزعجت تعابير وجه "ريان" الذي أجابه بحدة:
_راسين مين الي بتتكلم عنهم دول، أنا بنتي مش
هتتجوز حد الا بمزاجي ده لو قررت انها تتجوز أصلاً..
تعالى بكاء الرضيع رغم غفوته بين ذراع سارة،
فتعالت الضحكات فيما بينهما، فاستطردت "سلمى"
بضيقٍ مصطنع:

_كده تزعل الولد يا "ريان.."

أضافت "سارة" من بين ضحكاتها:

_متزعلش يا حبيبي لو ربنا رزقني ببنوتة مش
هتكون لحد غيرك..

هدأ الصغير بسكون عجيب، فقال "ريان" بسخرية:
_هتطلع مدورها زي ابوك ولا أيه...!!

تعالى الضحكات فيما بينهما، فحمله ريان ليطبع
قبلته على رأس الصغير ثم وضع مبلغ من المال
جواره...

بقصر "طلعت زيدان.."

ارتفع رنين هاتفه لينذره بمكالمة هامة تطرق
شاشة هاتفه، فرفعه "رحيم" ليجيب وهو يتجه
للأسفل مستخدماً الدرج، استمع بحرص للمتصل ثم
قال برسمية باحتة:
_خليك جنب مراتك..

رد عليه الطرف الآخر، فانصت اليه ليعيد حديثه

بلهجة حادة:

"_حازم" انت سمعت انا قولتلك أیه! ، خليك جنبها

ولما تفوق ابقى أرجع القصر..

وقبل ان يغلق هاتفه قال بلهجة اقل حدة:

_مبارك ما جالك تتربى في عزك يارب، وابقى سلم

على "ريحانة" وقولها حمد لله على السلامة..

وأغلق الهاتف دون أي اطالة بالحديث، انتبه لرحيم

لصوت قادم من خلفه، فاستدار ليجد اخيه وزوجته

يتشاجران كالعادة، دنا منه "مراد" وهو يشير له

بانزعاج:

_الناس كلها يببقى صباحها بالورد والخير وأنا

بجرعة نكد وجنان..

ابتسم "رحيم" وهو يجيبه بحذر بانتقاء الكلمات

المناسبة حتى لا تغضب منه "حنين":

_اديك قولتها جرعة يعني تعود..!

راقب المسافة بينهما ثم استدار ل اخيه ليجيبه

بابتسامته مأكرة:

_مهو المصيبة انه بقى تعود..

ابتسم "رحيم" فهبط بمحاذاته وهو يبلغه بعملية:
_كل ست بتختلف عن الثانية بطباعها بس النهاية
واحدة يا شريك أنا هنطبع على طباعهم الغريبة
دي..

تعالت ضحكات "مراد"، فقال بعدم تصديق:
_لا ده احنا بقينا خبرة بقى وأنا مش أخذ بالي..!
رفع حاجبيه باستنكار ونظراته القاتمة بدت
كرؤية واضحة بغضبه الثائر، انتبهوا سوياً
لصوت "نجلاء" التي أشارت على المائدة:
_الاكل قرب يبرد..!

جلس "مراد" على يسار مقعد "طلعت" الذي يترأس
المائدة المطولت، وعلى يمينه جلس "رحيم"، لحقت
حنين" بزوجها، حتى "شجن" فجلست جوار معشوقها
الذي ود لو ترك الطعام ليظل يتأملها لأخر دقيقة

بحياته، وضعت "نجلاء" أمامهما العسل الأبيض والخبز،
والجبين، وضعت "حنين" كوب الحليب أمام "شجن"
لتشير لها بحزم بان تتناوله، رددت "شجن" بعصبية:
_محبهوش الله..!

أجابتها "حنين" بنفس ذات اللهجة:

_لازم تشربه علشان البيبي..!

انتبهوا جميعاً لما يحدث حولهم، وخاصة حينما
تفادت شجن المشاجرة التي ستطول بينها وبين حنين
فتناولته رغماً عنها حتى تتفادى صدام الرأس، غمز
"مراد" بعينه لرحيم الذي ابتسم بمكر، فحنين
تعاونته بالاعتناء بزوجته دون أي مجهود منه، انضمت
لهما "نجلاء" فجلست جوار أشجان تحاورها، أما "طلعت
زيدان" فكان شارداً والابتسام لا تفارق وجهه،
نظراته تتوزع بين أفراد عائلته بفرحة تكاد تمتد
بعرض الكون بأكمله، فبالنهاية تحققت أماله ولم
شمل أسرته المشتت وحصل على حب حياته بعد

عناء، على الرغم من أن الصمت يسود الأجواء بحضور
الجوكر والاسطورة المهيبة إلا أن جلوسهم على نفس
ذات الطاولة سعادة بحد ذاتها..

غابت الشمس ثم عادت لتبدد أربعة ليالي على قصور
عائلة "زيدان" استعد بهما العمال بنشاطٍ لتعليق
الزينة باستقبال زفاف "مروان" و"فارس"، حتى الشباب
كانوا يتشركون العمل ولأول مرة بتزيين القصور
الخمس، وبالطبع تحسنت حالة "إياد" فحتى أن ظل
هو يلزم فراشه ولكن تحسنه كان ملحوظ،
فتمكن من الجلوس على مقعد متحرك، قاده "ريان"
بذاته لغرفة "مروان"، طرق الباب ثم ولج للداخل،
تألأت الدموع بعين "ريان" حينما رأى أخيه الصغير
يتألق بحلى العريس المتألق، بالأمس كان الصغير
الذي يحتاج لنصائحه وارشاداته واليوم هو عريس
يتزوج بمن أختارها قلبه، وقف "مروان" قبالتهم

يتطلع لهما باهتمامٍ وهو يراقب ردود الافعال على
اطلالته، دفع المقعد المتحرك ليصبح "إياد" في
مقابله، فأجلى أحباله الصوتية:

_الف مبروك يا "مروان"، ربنا يتملك على خير
يارب..

انحنى "مروان" ليحتضنه بحب وهو يردد بسعادة:
_الله يبارك فيك يا اياد..

ثم وقف مقابل "ريان" الذي يتأمل به بنظرةٍ مطوّلةٍ
صامتة، جذبه "ريان" لأحضانه بقوة، فقال بصوتٍ
بدى له بالبكاء:

_الف مبروك يا حبيبي..

رد عليه بفرحة:

_الله يبارك فيك...

ابتعد عنه وهو يحاول ان يتمالك ذاته الا تسقط
دمعاته وهو يرى ابنه الذي تولى امره طوال تلك
السنوات عريس، ثم أشار له ليهبط معه بهدوء ليتجه

لمنزل العروس..

بقصر "سليم زيدان" حيث تتم تجهيز العرائس، انتهت
كلاً منهن من وضع اللمسات الاخيرة، فوقض أمام
المرأة بالفستان الأبيض، ولج للداخل مصور مقاطع
الفيديو التذكارية الخاصة بالزفاف، ليلتقط عدد
من الصور قبل أن يصل الأزواج للداخل..
بالخارج..

تأفف بغضب وهو يقف جواره ليهمس بملل:
_عارف انا الفقرة الرزلة دي نتزل لحد ما العروسة
تحن وتلف وتورينا وشها بعد ما خلصت لبس الفستان..
راقب "فارس" الطريق جيداً ليتأكد من عدم مراقبة
أحداً له ثم انحنى على آذن "مروان" ليردد بضيق:
_معلىش يوم وهيعدي..

ثم أعدل جرفاته وهو يقدم له باقة الزهور البيضاء
ليغمز له ببسمة خبيثة:

_كدا أحسن...

ابتسم "مروان" رغباً عنه وهو يتطلع للباقة الورد
ليشير له بنفاذ صبر:

_ورد ورد المهم النتيجة اللي في الآخر...

إعتدل كلاً منهما بوقفته حينما أشار لهم "سليم"
بالإقتراب ليصطحب كلاً منهم عروسه، أشار لفارس
أولاً فتابعته الكاميرا لتسجيل تلك اللقطة الهامة،
ولج للجناح المخصص لزينتها، فطوف المكان
بنظراته المتفحصة ليجدها تقف جانباً مولية ظهرها
إليه، بدى طولها غريب بعض الشيء ولكنه علل
بأرتدائها حذاء عالي، وقف من خلفها وهو يراقبها
ببسمته الفتاكة، يود الإقتراب لرؤية وجهها،
ولكنها كانت تتمايل يساراً ويميناً لتجعله حائراً،
وضع يديه حول خصرها ليجبرها على الاستدارة
لتكون بمقابله ليجد طرحة الفستان الطويلة
منسدلة على وجهها لتخفيه عنها، وقبل أن يرفعها

طلب منه مصور لقطات الزفاف أن يطبع قبلة على
جبينها، رسمت بسمته العشق على وجهه وهو يطبع
قبلة على جبينها وفجأة برقت عينيه حينما ظل
"آدم" من خلف طرحة العروس وهو يتصنع الخجل
قائلاً بمشاكسة:

_مبرووك عليك انا يا أبو الفوارس..

تهجمت معالمة لغضبٍ لا مثيل له، فكاد بأن يلكزه
بقوةٍ ولكن صوت الضحكات القادمة من خلفه
استرعت انتباهه، استدّار على مهلٍ ليجدها تقف أمامه
بفستانها الابيض الملائكي، غامت الفرحة قلبه قبل
ان ترسم على شفثيه وهو يرى محبوبته الطفولة تزف
اليه عروس، اليوم سيحصد ثمار صبره الذي طال
لسنواتٍ طويلة، زينتها القليلة وعدم مبالغتها بوضع
مساحيق التجميل جعلها رقيقة للغاية، اقترب منها
كالمشدوه الذي ينجذب لشيئاً دون أي ارادة منه،
فوقف مقابلها وهو يردد بانفاسٍ لاهثة، كمن ركض

لآلآف الاميال:

_تخيلتك كثير بالافستان الابيض بس

متوقعتكيش بالجمال ده..!

تعلقت عينيها به وكأنها كانت تنتظرها، تترقب
اللحظة التي تقف بها مقابله عروس تزف اليه، منحته
ابتسامته عذباء أججت لهيب الرغبة بداخله، فود لو
تمكن من خطفها بعيداً عن هذا الليل الصاخب، عله
يحظى ببضعة لحظات منفردة معها...

وقف مقابلها لدقائق مطولت، أصابعه تسري بها رجفة
غريبة، يخشى أن يصاب قلبه بماسٍ كهربى حينما
يرأها، فربما يحبسها بداخل الغرفة حتى لا يراها
أحداً سواه، هو يعلم كونه متهور ومن المؤكد أن
تسوء الامور بينهما ان ارتكب أي فعل أحمق، تمالك
"مروان" ذاته واستعاد كامل ثباته ليرفع الوشاح عن
وجهها، ما كان ينقصه سوى تلك النظرة التي

خطفت أنفاسه فأصبح كمن ركض لألف ميل، يراها
تتأمله بشغفٍ مثلاً يتأملها فحقق قلبه بعنفٍ، وكأنه
يوسوس له بالاقتراب منها ليروي ظمأ قلبه القحل،
رفع "مروان" يديه ليلامس خديها الأحمر من فرط
الحرارة المنبعثة من وجهها ليردد بعشق:
_أحلى عروسة شافتها عيوني..

خفق قلب "يارا" بشراسته، وكأنه يروق له كلماته،
انتبه للمصور الذي ينحني ليلتقط لهما عدد من
الصور التذكارية، فانتصب بوقفته ليحتضن يدها
ثم اتبع "فارس" وعروسه للأسفل..

بالخارج..

ولأول مرة أعدت طاولة ضخمة بمنتصف الحديقة
المزينة لاستقبال المعازيم، خاصة بعائلة "زيدان"
بعد ان اختار موقعها الجوكر بذاته، بكل مناسبة
كانوا يجلسون بشكل منفرد لكل ثنائي واليوم

سيجتمعون سوياً على طاولة واحدة تضم أفرار العائلة
بأكملهم، تعالت الزغاريد والموسيقى حينما ظهر
العرائس من أمامهما، وخاصة حينما جلسوا باماكنهم
على المنصة، تعالت أصوات الموسيقى ليتابعها أصوات
الطبول وقرع البيانو الهادئ..

وصل "يامن" للحفل، فبحث عن زوجته بشوق، الى ان
رأها تجلس جوار "سارة" و"ريم"، فما أن اقترب منهم
حتى أفسحت له "ريم" المكان بالجلوس لجوارها عن
عمد، عل العلاقة بينهما تعود لمجارها الطبيعي،
ابتسم يامن وهو يمنحها كلمات تتغزل بجمالها حينما
قال:

_ايه القمر ده كله، هو النهاردة فرحنا احنا ولا أيه..!
رددت "فاطمة" باستياء وهي تلکزه:
_"يامن"، الله..

تعالت ضحكاته الرجولية وهو يهمس:
_قمر وبتحلي كل يوم عن اللي قبله، يمكن لانك

بعيدة عني..!

انخطف لونها حينما أمسك بيدها بين يديه وعينيه
تتفرس بملامحها، نعم كان لطيف معها حينما سمح
لها بالبقاء بمنزل عائلتها رغم انه لم يمر على
زواجهما سوى بضعة أسابيع، تعلم بأنه خطأ ولكنها
أيضاً منحته السماح، لا شك بأن تقربه منها
ومكالماته الشبه يومية تروق لها، ولكنها تعلم بأنه
يتمنى عودتها، العودة التي تعد لها بمثابة باب مغلق
لوجع قد دفنته، ولكنه سيعود ليقترح عالمها من
جديد رغماً عنها، ستعود صفحات الماضي بطرح
تلك اللحظات القاسية لتتردد نفس الكلمات التي
حطمتها كأنثى، نعم قد اتخذت قرار من قبل
بموضوعها الحساس وكانت تنتظر الوقت الأنسب
للحديث ولكن تركته لحين عودتها اليه، وربما قد
حان ذاك الوقت..

تناولت "نغم" من كعك الشوكولا من أمامها بشهية مفتوحة، ثم التقطت قطعة لتقربها من فم "شجن"، التقطتها "شجن" منها بابتسامة هادئة تخفي بها ذاك الوجع الغريب الذي يضرب أسفل معدتها، شعرت وكأن الجنين يركلها بكل ما يملكه من قوة، ولكنها حاولت أن تقنع ذاتها بأن تلك الأمور عادية وبالأخص بالشهور الأخيرة من الحمل، فقد اعتادت على أمور مختلفة متعلقة بالحمل، بدى التوتر جلي على نغم التي تنظر للهاتف بين الحين والآخر، وكأنها تترقب شيئاً ما يردد بذهنها، فما أن دق هاتفها حتى التقطته ونهضت سريعاً بشكل ملحوظ وابتعدت عن الطاولة بل الحفلة باكملها حتى تستطيع سماع المتصل بانصاتٍ، قلق "يوسف" دفعه بأن يلحق بها ليرى ماذا هناك، فأتجه خلفها للحديقة الخارجية، ليستمع اليها تردد بدموع:

_مش معقول، أنت بتتكلم بجد...!

قالتها بدهشة كبيرة، ومن ثم جلست على المقعد
القريب منها وكأنه كان نجاة لها من السقوط أرضاً،
أسرع إليها "يوسف" ليلتقط الهاتف الملقى أرضاً،
فوضعه على الطاولة، ثم انحنى مقابلها ليسألها بقلق
حينما رأى دموعها تغمر وجهها:

_مالك يا حبيبتي، في إيه، ومين اللي كنتي
بتكلميه ده..!

من أرادت رؤياه بتلك اللحظة وجدته أمامها يسألها ما
بها، وكان اليوم هو تميمة حظها، تطلعت ليديه
التي تحتضن يدها بصمت طال بتأمله، فقال بضيق من
صمتها رغم أنها تعلم بأن دموعها من نقاط ضعفه:
_ردى عليا يا نغم مين اللي كنتي بتكلميه وقالك
إيه زعلك كده؟..!

تحرك لسانها ناطقاً بأروع الكلمات ودموعها تلاحقها
دون توقف:

"_يوسف"، أنا حامل..!

جحظت عينيه في ذهول، وانفجرت شفتيه،
فاسترسلت حديثها وهي تزيح تلك الدمعات العالقة
بأهدابها:

_أنا كنت شاكرة، علشان كده روحت النهاردة
وحللت والدكتور كان بيباغني بنتجة التحليل..
نهض عن الأرض ثم جذبها لتقف جواره، فابتلع ريقه
وهو يعيد سؤالها بتوتر:
_يعني أنتي حامل بجد؟..

هزت رأسها عدة مرات، فاحتضنها بابتسامة واسعة
تهلل بحمد:
_الحمد لله يارب كنت متأكد أنك مش هتستكثر
عليها الفرحة دي..

شدت من احتضانه وهي تردد بفرحة:
_الحمد لله..

ابتعد عنها وهو يشير لها بعد تفكير محبط:
_طيب يلا نمشي من هنا اكيد انتي تعبانة ولازم

ترتاحي علشان انتي حامل، مش عايزك تشيلي اي
حاجه، انا هعمل كل حاجه من هنا ورايح، لازم
ترتاحي وبس وتأكلي أكل صحي وتبطلي شرب
القهوة على غير ريق مفهوم..!

رفعت يدها على وجهه وهي تجبره على العودة قائلة
بابتسامته عذباء:

"_يوسف"، انا حامل مش تعبانة..!
قبل يدها التي تحتضن وجهه وهو يردد بدمعة شقت
طريقها:

_مش قادر أستوعب أو اصدق..
ثم قربها اليه ليجلس على الاركة المجاورة لها،
لتمدد هي بأحضانها..

على أنغام الموسيقى الهادئة تمايلت "حنين" بين
ذراعيه بثبات، نظرات العشق تستحوذ على قلبها،
حتى "مراد" بدى وكأنه لم يرى أحداً جواره غيرها،

حتى "يامن" جذب "فاطمة" للمنصة فاستندت برأسها
على كتفيه وتحركت معه مثلما قاد حركاتها، أما
"سليم" فكان يتحرك ببطء خشية من أن يلامس
حذاءه فستانها الأزرق الطويل، وخشية أن تفقد
واعيها أثر دوارها الفوضوي، فتمسكت به وسلمته
كامل الثقة للتحرك بها....

كانت الاجواء رومانسية للغاية بالرغم من انسحاب
العرائس الا ان الشباب أحيوا السهرة برقصهم المرح
وخاصة "ريان" و"آدم" و"جان" فكانوا متميزين
بأدائهما الرقص الشعبي، حتى وان لم يشارك البعض
بالرقص فأنفردوا بزوجاتهم برقص هادئ على
الموسيقى الهادئة "ك سليم" و"يامن..."

أما "رحيم" فما أن استلم رسالته من الحارس الخاص به،
حتى اقترب من "شجن" فانحنى على الطاولة من أمامها
ليخبرها بثباته الغامض:

_وعدتك ان بعد كل ده ما يخلص هنطلع رحلت

باليخت..

ابتسمت بفرحةٍ، فالابتعاد عن ذاك العالم بصحبته
لعالمه البعيد أصبح ادمان لها، عشقت البحر الذي
كانت تخشاه لاجله، عاونها على النهوض ومن ثم
صعدوا للسيارة وكعاداته يحملها بين ذراعيه
ليستكمل هو باقي الخطوات الفاصلة بينهما وبين
اليخت، لا يعلم بأن تلك الرحلة العجيبة ستشهد
على مولد من سيأتي ذاك العالم ليكون نسخة
مطابقة لأبيه الاسطورة..

بين انشودة القمر المضيء، تجرد القلب من كل خجل
اختبره يوماً ما، اليوم هو الحاسم لقصة حب عهدت
من الطفولة للبلوغ، وقفت "منتر" مقابله بعدما أدت
صلاتها من خلفه، وقفت تتطلع له بابتسامة رقيقة،
كانت تعلم بان ذاك اليوم الذي ستصبح به زوجته
سيأتي لا محالة ولكنها كانت بحاجة للصبر،

وجدته يقترب منها خطوة، فأقتربت هي منه خطوة
أخرى حتى وقف قبالتها يوزع نظراته بين عينيها
وشفتيها تارة أخرى، فقالت بابتسامة مازالت مرسومة
على وجهها:

_كده اتدبسنا رسمي في عش الزوجية اللي اكيد
هيكون فيه النكد أكثر من الفرح..

لف "فارس" معصمه حول يدها وهو يجيبها بعشق:
_وأنا راضي بالنكد وبكل حاجة مدام هتكوني
جانبني وفي حضني..

تسللت تلك الحمرة الغريبة لوجهها، فاعقت شفتيها
بارتباك، كادت بأن تفقد ذاك الثبات الذي حصلت
عليه بدافع قوة الحب ولكنه لم يسمح لها بذلك،
سحبها تدريجياً لدوافع الحب العتيق، حتى سكن
عالمها وسكنت هي عالمه، فأتحدى ليصبح عالم
واحد يجمعهما قلب وقالباً..

جلس على الأرجوحة الخارجية لشرفة جناحه
الكبير، فأسرعت "حنين" لتتمدد حتى أصبحت
رأسها على قدميه، ربت بيديه على كتفها فتمسكت
بأصابعه برجفة خفيفة شعربها، فخلع جاكيت
بذلته السوداء ثم لفه عليها فاحتواها وكأنه هو من
يحتضن جسدها، ابتسمت "حنين"، فهمست بشروء
واضح:

_ليه ظهرت في حياتي بالتوقيت ده يا "مراد...!"
رفع حاجبيه بدهشة من سؤالها الغير منطقي بذاك
الوقت بالتحديد، فقال بصوته الرخيم:
_هما حضروا ولا ايه؟!

استندت بجذعها لتجلس جواره بشكل مستقيم،
حتى يرى تعابير وجهها الجادس فيعلم بأنها تتحدث
جدياً، لتسترسل بعدها بتوضيح عما تشعر به
بالتحديد:

_تفكر ايه اللي كان ممكن يحصلي لو أنت

مكنتش في حياتي..

ورفعت شفتيها وهي تكمل ما تقدمه من اقتراحات:

_أكيد واحد من ولاد أعمامي كانوا هيقتلونني ولو
فشلوا في ده فأكيد برضه انتقامات وتصفيّة حسابات
أبويا كنت هكون أنا ضحيتها، يعني في كلتا
الحالتين ميتة وآ..

بترت كلماتها حينما وضع يديه أمام شفتيها، ليعنفها
بغضب:

_قولتلك ألف مرة متتكلميش عن الموت تاني يا
"حنين.!"

ابتسمت رغم الدموع المحاطة لهاالتها، فرددت بصوتٍ
متقطع من أثر البكاء:

_على فكرة أنا بحبك أكثر من نفسي، أنت عارف
ده؟..

بأصابعه ازاح دموعها وهو يخبره بعشق يكفيها عمر
فوق عمرها:

_عارف ومتأكد كمان أنك عارفت أنا بحبك أد
أيه..!

وقربها اليه ليحتضنها، فأغلقت عينيها على صدره
لتستمع دقات قلبه التي تتسارع كلما اقتربت هي
منه، دقائق اتخذتها كمهلة لتغوص ببحور نومها
العميق لجواره، فحملها كعادته لفراسها بعد ان خلع
حذائها كالطفلة الصغيرة التي تنام بعد حضورها
لمناسبة عائلية ابدت بها طاقتها بأكملها، طبع
قبلت عميقة على جبينها ليحتويها بداخل اضلاعه
قبل ان يغلق عينيه هو الآخر..

*****.

رغم ادائهما للصلاة الا انها طلبت الانفراد بذاتها
بالغرفة لدقائق ظنها هكذا، ولكن مرأ أكثر من
ساعة ولم تخرج، طرق " مروان " باب الغرفة وهو يردد
بقلق:

"_يارا"، أنت كويست؟..!

أتاه صوتها المتحشرج:

_أيوه، أنا محتاجة بس أقعد مع نفسي شوية..

جز على أسنانه بغيظٍ وهو يخبرها بلهجةٍ بدت

لطيفة:

_براحتك يا حبيبتى..

طال انتظاره لساعةٍ أخرى، ففتح الباب ليتحدث

بعصبيةٍ بالغة:

_لا كده كتير بقالي ٣ ساعات مستني بره وكل ما

أخبط تقوليلى آآآ...

بترت كلماته حينما رآها تقف أمامه بقميصٍ طويل

من الستان الأبيض، يبرز مفااتها، بلع ريقه مراراً

وكانه لم يعد يتمكن من التقاط انفاسه، حاولت

اخفاء ذراعيها كثيراً، فاحنت رأسها في حرج عظيم،

اقترب منها "مروان" قائلاً بانبهار:

_ايه الجمال ده..

لامس يديه خصلات شعرها البني الطويل، فأغلقت

عينيه بتوتر، فما أن شعرت باقترابه حتى ارتدت هي
للخلف بارتباك، حاصرها بين ذراعيه وهو يسألها
بجدية:

_بتحبيني يا "يارا"؟..

بدت نظراتها مرتبكة للغاية، فأومأت برأسها
بارتباك، رفض اعترافها الصامت فقال:

_عايز أسامعها منك..

اجابته على استحياء:

_بحبك..

قطع الكلام فيما بينهما لينغلق الستار، أراد أن
يذكرها بالحب الذي سيكون بمثابة تذكرة
للمرور لذاك العالم الذي سيشهد على التحام روحيين
لعشاقٍ ابادهم مرارة الحب حتى ارتوى بعسله
بالنهاية..

ودع "يامن"، "جان" قبل ان يصعد لسيارته، فلوح له

بذراعيه وهو يخبره بابتسامته واسعة:

_أشوفك بعد بكرة بالسبوع يا أبو "خالد.."

ابتسم "جان" وهو يلوح له هو الآخر، فأشار لفاطمة

التي تقف لجواره لتدخل للمنزل:

_يلا ندخل..

شعرت بتردد خطاها وذاك الوداع يمزقها، تراجعت

للخلف ويامن يراقب حركاتها بلهفة وتمني، رددت

بصوت مسموع:

_أنا هروح بيتي مع جوزي..

صدمته كانت من النوع الضريد، فترك سيارته

وصعد ليكون مقابلاها، فقال بعدم تصديق:

_بجد يا فاطمة، هتروحي معايا..!

أومات برأسها عدة مرات، فاحتضنها يامن بفرحة وهو

يهمس بسعادة:

_حبيبتي، هينور بيك يا عمري..

خجلت من احتضانه لها أمام أخيها، فاندفع جان

تجاهه ليدفعه بعيداً عنها وهو يضيف بمرح:
_طيب اعملنا حساب يا متر، ايه ما صدقت تقولك
هروح يا جدع، أتقل شوية..
دفعه يامن للخلف هو الآخر ثم امسك بيدها وهو
يهول بها للسيارة وهو يخبره بصوت مرتفع:
_الحب مفهوش تقل يا ابو نسب، أشوفك السنة الجاية
مش هجي السبوع بتاع ابنك متعملش حسابنا..
تعالى ضحكاته الرجولية وهو يجيبه:
_واطي من يومك يالا مفيش جديد..
غادر بسيارته سريعاً وهو يشير له بمرح، فراقب "جان"
ابتعاد السيارة عن القصر بابتسامة مشرقة، فكان
يتعذب لاجل شقيقته، بداخله يتمنى لها نصيب من
السعادة وها قد حظت به..

بالطبع لم يكن من السهل عليها العودة لذاك
المنزل الذي اهدرت به كرامتها، ولكنها حاولت

الغزو عن ذاك الخطأ الجسيم، فتح "يامن" أضواء
غرفتهما الحالكة الظلام وكأنها سحبت نورها
برحيلها، فاغلق الباب وأسرع ليقف مقابلها وهو يردد
بفرحة:

_مش مصدق نفسي، أخيراً أخذت سماح!!
بدت مرتبكة للغاية، فنقلت له برودة يدها ما
تحاربه، أبعد "يامن" ذراعيه عنها وهو يجاهد برسم
تلك البسمة الثابتة، فقال بتردد:
_متخافيش يا فاطمة أنا مش هعمل حاجة انتي مش
حباها، رجوعك هنا معايا عندي بالدنيا كلها..
نظرت له بحزن وهو تحاول مجاهدة تلك الذكريات
القائمة، فقالت بارتباك:

_خلينا نغير الاوضة دي انا مش حباها..
حاولت خديها بيديه وهو يجيبها بفرحة:
_بس كده انتي تؤمري بكره الصبح هيكون
عندك تشكيلة أختاري الاوضة اللي تعجبك

وهتكون عندك.

ابتسمت برضا لاقتراحه السريع وترحيبه بالفكرة
التي ظنتها ستكون غير مستحبة وخاصة بأنها
مازالت حديثة، تعلم بان تغير الغرفة او المنزل
بأكمله لن يغير ما حدث ولكنها ستجاهد لتلك
الرحلة النفسية التي قد تحظى بها لخوض حياة مع
من أحبته من جديد، بدت مرتبكة وهي تتأمل في
محاولاتِ بائسة للحديث عما بداخلها فقال:
_مالك يا فاطمة، عايزة تقولي أيه ومتردة...!
عبثت بطرف فستانها، فأخفضت نظراتها عنه لتتشجع
بقول:

_أنا اتفقت مع دكتورة زميلتي عملي العملية علشان
أقدر أكمل حياتي معاك بشكل طبيعي..
انزعج من اقتراحها في وقتٍ كذلك، فشعر بأنها
مازالت تفكر بما يود محيه من ذاكرتها، فقال بعد
مدة من الصمت:

_بلاش نتكلم بالموضوع ده الوقتي..

واغلق الضوء ثم جذبها قائلاً:

_تعالى ننزل ننام بمكتبي لحد ما نغير الاوضه..

وبالفعل هبطوا سوياً ليفتح مكتبه القابع بالاسفل،

فتفاجئت بوجود فراش صغير، جلس على المقعد

المقابل للفراش ليشير لها بابتسامة هادئة:

_ارتاحي يا فاطمة أنا هنا هنا..

تطلعت لمقعده الغير مريح لتخبره بتردد:

_ليه تنام هنا ما في سرير..!

يبدو أن الحياة قد اقبلت بذراعيها عليه اليوم، تمدد

جوارها وهو يشعر برجفة جسدها، ما حدث بالماضي

يعود بالسوط القاسي الذي يجلدّها، على الرغم من

انها تدير ظهرها اليه الا انه كان يشعر بها كلما

انتفض جسدها، جذبها يامن اليه ليحتضنها بقوة وهو

يردد بدموع طافت به:

_أنا أسف على كل حاجة يا "فاطمة"، بجد أسف..

التفتت اليه لتبادله ذاك الحزن الذي احتاجت اليه
اكثر منه، لتشعر أخيراً بأن براعم الحب عادت
لتظلل على وحدتها البائسة، غفلت على صدره بعد
وقت قصته باغلاق عينيها حتى تمكنت من النوم
اخيراً فوضع الغطاء فوق جسدها ليقتضي ليله بتأمله
بعدم تصديق من عودتها وغفلتها بين احضانه..!!!!

ضربات مؤخزة أخذت تضرب معدتها دون توقف، في
كل مرة كانت تزداد حدة وألماً، شعرت "شجن"
بتسلل شيئاً لازق من أسفلها، ففتحت عينيها بفزع
حينما شعرت بأنها على مشارف الولادة، فصرخت
بكل ما امتلأته من قوة وهي تردد:

"رحيم...!"

الفصل الستون والأخير....

تلك الضربات المتتالية التي أصابت رحمها جعلتها
تتلوى ألماً، فلم يعد بمقدورها التحمل، انطلقت
صرخاتها المتألّمة وندائها المتكرر بأسمه يصدح
بالتابق الأسفل من اليخت، فسمعه "رحيم" الذي
استغل غفلتها بين أحضانه ليتسلل فجراً للأعلى حتى
يراقب غرفة القيادة ومسارات اليخت من أمامه
ليتأكد بأن الأمور على ما يرام، هرع للأسفل بفرع
حينما استمع لصوت صراخها المتكرر وكأن سوء قد
أصابه قبل أن يصيبها، فتح الباب الجانبي لغرفتهما،
ليدنو من الفراش وهو يتساءل بخوف:
_في أيه؟!

حاوطت بطنها بيدها وهي تجيبه ببكاءٍ حارق:
_مش قادرة، هموت من الوجع..

وأطلقت صرخة مداويرة وهي تستطرد بوجع:

_أنا بولد...!

شئت عقله فلم يعد يستعب ما يستمع اليه، فردد
كلماتها على لسانه مجدداً ببطءٍ ليحاول فهمها:

_بتولدي...!!

بكت بانهايار كما أصبح الألم أشد قوة عن ذي قبل،
فتشبثت بذراعيه وهي تصرخ دون توقف، حاوط
خصرها بيديه وهو يخبرها:

_أهدي يا حبيبتي، متخافيش أنا هتصرف..

ضغطت بيدها على بطنها وهي تجيبه ببكاء:

_هتتصرف ازاي وأحنا في عرض البحر..!

شعر بالضجر من قراره الاحمق بتلك الرحلة الخاصة
التي اختارها بذاك الوقت وخاصة بأنها بالشهر
الأخير من حملها، رفع "رحيم" يديه على وجهها
بحنان، وهو يجبرها على التطلع له، ليردد كلماته
ببطءٍ وثقة:

_مش هسمح أنك يجراك حاجة لا أنت ولا اللي في

بطنك..

ثم شدد من ضغطه على يدها..

_ارتاحي انا شوية وراجعلك..

هزت رأسها باستسلامٍ، ثم عادت لتتمدد بمساعدته
على الفراش، اما هو فصعد لسطح اليخت ليبحث عن
هاتفه، فما أن وجدته حتى طلب رقم اخيه، ترقب أن
يجيبه بصبرٍ كاد بأن ينفذ فما ان أتاه صوته الناعس
حتى قال بلهجةٍ سريعة:

"_مراد" فوق واسمعني، "شجن" بتولد وأحنا على
اليخت، هبعلك الموقع حاول توصل باقصى سرعة
بالطيارة..

كانت كلماته مبهمّة وخاصةً بايقاظه بذاك
الوقت، فتح عينيه على مصرعهما حينما استمع الشق
الاخير من حديثه عن ولادة زوجته، فترك "مراد"
فراشه ثم سحب قميصه الأبيض الموضوع على

المقعد المجاور له ليخرج بخطواتٍ حذرة للخارج،
حتى لا تستيقظ قصيرته ذات اللسان السليط على أثر
صوته، فما ان خرج للشرفة حتى قال بتفهم:
_متقلقش، أبعت انت الموقع وأنا دقايق وهكون
عندك...

وقبل ان يغلق الهاتف، أردف:
_حاول تهدأ يا "رحيم"، انا مش هتأخر عليك..
وأغلق الهاتف ليهرول سريعاً لخزانته، جذب أول
جاكيت التقطته يديه، ثم هرول سريعاً للأسفل،
ليأمر حارسه الخاص بأن يجهز طائرته الخاصة في
التو والحال..

ما أن أنهى مكالمته مع أخيه حتى هبط سريعاً إليها،
فوجد حالتها قد ازدادت سوء، كانت تعض بأسنانها
على الملاعة البيضاء من جوارها، تكبت تلك
الصرخات القاتلة، ولأول مرة يشعر "رحيم

زيدان "بالعجز، لا يعلم ماذا يفترض به أن يفعل بتلك اللحظة، أن يراها تتألم وتبكي بذات الوقت هو أمراً قاتل بالنسبة اليه، للحظة لعن ذاته بأنه من تسبب بذاك الوجع اللعين التي تجابهه وإن كان يموت شوقاً لرؤية ذاك الجنين الذي حمل ثمار عشقهما، فرض عليه أن يعود لصلابته وثباته المعتاد وخاصة بذاك الموقف، ليتمكن من مساعدتها، أقترب "رحيم" منها، فرفع رأسها بين ذراعيه ليمسح عرقها النابض على جبينها، اعاد تلك الخصلة المتمردة من شعرها وهو يردد بألمٍ يضاهي ذاك الألم الذي تحاربه:

_خليكي قوية واتحملي، كلها دقائق وهنخرج من هنا أوعدك..

كورت يدها التي أبيضت من فرط ضغطها القوي، صوتها كبت، ليتحرر بصراخٍ مصحوب بتأوهات:
_آه..آآنا... مش هالحق المستشفى، أنا بولد...!!

فهم من كلماتها الاخيرة بأنها تشعر بأقتراب تشریف
ابنه لتلك الحياة، لم يكن أمامه أختيارات لينقي ما
يناسبه، رمشت بعينيها عدة مرات وهي تجاهد ذاك
الاعضاء الذي يكاد يبتلعها بجوفه أكثر من مرة،
فأظمها بيديه برفق على خديها، قائلاً بخوف:
_خليكي معايا ، أنا هحاول أساعدك وأنتِ كمان
لازم تساعديني....

دقائق متعثرة، قضتها بمجابهة ذاك الألم العصيب،
ليختم بصرخةٍ مزلزلة، أتبعها صوت المولود، الحفيد
الأول لطلعت زيدان، والابن الوحيد لـ"رحيم زيدان"،
أغلقت "شجن" عينيها باستسلامٍ لفقدان الوعي،
والمشهد الذي ظلت تتمناه رآته قبل أن تنغلق
عينيها، حينما رآته يحمل مولدهما الأول بين ذراعيه..
أرتعشت أصابعه وهو يحمله بين يديه، فكان يخشى
أن يطبق أصابعه حول جسده الصغير فتتحطم عظامه
الهاشنة، نظرات مطولتٍ تعلقت به لأكثر من عشر

دقائق، مازال لا يستوعب بأنه شرف الحياة بقدمه،
اتخذ وقتاً كبير حتى أستعاد واعي، فلفه بأحد
أغطية الفراش الموضوعت لجواره، ثم وضعه بالفراش
ليعود سريعاً لمعشوقته، أنقبض قلبه رعباً حينما رآها
فاقدة للوعي، حملها ل صدره وهو يهزها بفرع:
"شجن"، حبيبتي فوقي..!

تجمدت تعابير وجهه الصارم، ليعاود ندائها من
جديد:

"شجن...!"

لا يكفيها ذلك الألم الذي عصف بها منذ الساعات
الاولى من حفل زفاف "مروان" و"فارس"، لا بل كانت
هناك حرباً أخرى لتتمكن من استرداد وعيها
لتطمئه عليها، بصعوبةٍ بالغةٍ تمكنت من فتح
أجفانها الثقيلة، لتهمس بابتسامٍ شبه شاحبة:
_جبت بنت ولا ولد..!

ابتسم بفرحةٍ، فطبع قبلة عميقة على جبينها، ومن

ثم مرر يديه على طول شعرها المفروض من خلفها
ليجيبها على مهل ليحصل على اهتمامها كاملاً لما
سيخبرها به:

"_زين"، جبتي "زين.."

ابتسمت لقبوله الأسم الذي اختارته له ثم غضت
مجدداً بين ذراعيه، ضمها لصدره بقوة، قتلك
اللحظات مرت عليه كالعهد، قلبه كاد بأن يتوقف
اكتر من مرة كمن يجري عملية خطيرة بالقلب
ليصارع الحياة، يعلم بأن الطب تقدم كثيراً فانتشرت
بالفترة الاخيرة الولادة القيصرية عن طريق التدخل
الجراحي، فكان يظن بأن زوجته ستكون منهن،
ولكنه تفاجأ بولادتها الغريبة وبذاك المكان،
والصادم أيضاً بأنه من عاونها على الولادة بدلاً من
وجود الطبيبة، اطمئن قلبه حينما أطمئن عليها، لذا
نهض لبحث لها عما ترتديه وخاصة بأن "مراد" قد
اوشك بالوصول إليه، جذب "رحيم" جلاباب أسود من

الستان موضوع بخزانتها ثم ألبسها ليعود بعد ذلك
بالحجاب الذي لفه بأحكام على شعرها، فما أن أنتبه
لصوت الطائرة التي تحلق فوق اليخت حتى حمل
الصغير بحرص، ليصعد به للأعلى...

هبط "مراد" للأسفل، ثم استخدم الدرج الصغير
الجانبى، ليصل للطابق السفلي، ليجد "رحيم" يقترب
منه وبدى أنه يحمل بين يديه الرضيع، وضعه "رحيم"
بين يد الجوكر الذي تساءل باستغراب فور رؤيته:
_أيه ده، هي ولدت..!

أشار له برأسه وهو يشير له باهتمام:
_غطي وشه كويس الجو هوا، وأنا هجيب "شجن..
وكاد بالهبوط للأسفل مجدداً ولكنه عاد ليضيف:
_"مراد"، اطلب حد من الحرس يجيب الدكتورة
القصر..

ابتسم وهو يوزع نظراته بين أخيه والصغير، فأجابه

مازحاً:

_واضح أنك اكتسبت خبرة جنب الاسلحة

والذخيرة وبقيت دكتور نسا وتوليد..!

ابتسم الاخير ليرد عليه بسخرية:

_أحنا جاهزين لأي مهمة صعبة..!

تعالى ضحكاتهم الرجولية، ليشير له "مراد"

بتحذير بعدما تفحص غيمات السماء المنطفئة:

_هات "أشجان" بسرعة، لان شكلها هتمطر..

هبط للأسفل سريعاً، فأنحنى ليحملها بين يديه، ثم

صعد بها لمتن الطائرة ليتحرك "مراد" عائداً للقصر

بعدما أمر بأحضار الطبيبة على الفور..

حينما تحاوطك الخطايا فتهاجمك لتجردك من

كل ذرة خير امتلكتها يوماً، يصبح الخير مبتور من

قلبك قبل ان يبتز منك، وربما كل فترة تعاني من

هواجس الخوف من لقاء الله عز وجل وأنت مدنس

بالمعاصي، ولكن تلك اللحظة قد لا تستمر طويلاً
إن حاربك الشيطان فيجعلك تتعمد تجاهل هذا
الخطر المزعج، أما من صرح الله بتوبته يحاربه حتى
آخر أنفاسه، كحالها لم يهبها الله فرصة لحياة أخرى
فحسب، بل من عليها برجل قلبه من ذهب، وعاد
ليمنحها هدية ثمينة أخرى بأن رزقها منه بطفلة
جميلة، وزعت "ريحانة" نظراتها بين "حازم" الذي
يتمدد لجوارها وبين طفلتها التي ولدت بوقت غير
متوقع من شهرها السابع، ضمتها لصدرها ودموع
الفرحة تنسدل في صمت، ليترك لسانها ناطقاً
بسعادة:

_الف حمد وشكر ليك يارب..

وصلت الطائرة لقصور عائلة "زيدان"، فبحث "مراد"
عن مساحة واسعة آمنة للهبوط، ليهبط بها بحرافية
حتى لامست عجالاتها الأرض الصلبة، انفتح بابها

ليتدل الدرج المتنقل للأسفل، فهبط "رحيم" حاملاً
"أشجان" بين يديه، ليتجه لجناحه سريعاً تاركاً مهمة
الصغير للجوكر الذي حمّله ثم صعد به ليتجه
لجناحه حتى يوقظ حنين لتدبر أمر الصغير لحين
أن تسترد "شجن" عافيتها..

شعرت بالبرودة تنخر عظامها فعلمت بأنها تغفل بعيداً
عن أحضانه، تحركت "حنين" بجسدها للجانب
الأخر من الفراش بعينين مغلقتين، بحثت عنه لتنام
بين ذراعيه، فتحت عينيها حينما شعرت بالخواء من
جوارها، فرددت بدهشة:
" _مراد...!"

انحنى بجسدها تجاه المصباح القريب من الفراش،
أشعلته لتجوب بعينيها الغرفة بأكملها، فشملت
حمام الغرفة بنظرة متفحصة فما أن وجدته فارغ
حتى تملكها الخوف، هو من فعل بها ذلك، لغيابه

المفاجأ عنها، جعلها تختبر الخوف القاتل كلما غاب
عنها، ارتدت رובהا القطني لتناديه بخضوت:
" _مراد...!"

تدفقت الدموع من عينيها بعدما خيل لها بأنه تركها
كعادته، فجلست على الأريكة باهمال وهي تحدث
ذاتها قائلةً ببكاء:

_ليه مصمم تجرحني المرة دي كمان وأكون
لوحدي من غيرك...!!

انسدت دموعها دون توقف، فتكورت على ذاتها
بانكسار..

ولج لداخل الجناح، فوضع الصغير بغرفة ابنته، ثم
ولج لغرفتهما المجاورة، صدم حينما وجدها تحتضن
ذاتها وتبكي بانهيار، اقترب منها بخطوات متهدجة،
فوضع يديه على قدميها، قائلاً بدهشة:

" _حنين...!"

رفعت وجهها الموضوع بين يديها، فرأته يقف أمامها،

ازاحت دمعاتها العالقة باهدابها وهي تردد بفرحة
وعدم تصديق:

"_مراد...!"

ثم نهضت لتتعلق به بدموع لحقت صوتها المتقطع:
_كنت فاكرة انك سبتني وسافرت ثاني..
قربها اليه بحزن من حالة الذعر التي زرعها بداخلها،
فضمها هامساً بدفء اجتاحتها:
_أنا وعدتك أنني عمري ما هبعد عنك ثاني يا
حنين..

رفعت رأسها لتتعمق بالتطلع لعينية الزرقاء، فرمت
شفتيها بتذمر:

_أنت اللي عملت فيا كده على فكرة وبعدين أنت
كنت فين بالوقت ده..!

تغاضى عن الجزء الاخير من سؤالها وأجاب عن ما
قالتة بالأول:

_كان غصب عني لكن دلوقتي مستحيل هرجع أبعد

عنك تاني صدقيني..

بجدية باحتة قالت:

_بجد يا "مراد" توعدني؟..

مرريديه على طول ذراعيها بحركات دائرية:

_اديتك وعد مرة وأنا كلمتي سيف.

تلك النظرات المهلكة جعلت بسمتها تنضج

بالحياة، ثوانٍ فدقائق ومازال كلاهما غارقاً،

أفاقتة "حنين" من بساط أحلامها الوردية على صوت

بكاء طفل صغير، يأتي من الخارج بجناحها، ضيقت

عينها في ذهولٍ جلي، فتركته وخرجت من الغرفة،

قائلة بذهول:

_أيه الصوت ده..!

تفحصت الردهة المطولّة الفاصلة بين غرفتها

وغرفة ابنتها، فلم تعثر على شيء، كادت بالعودة

لمراد ولكن صوت البكاء مازال مسموع، فتحت باب

غرفة ابنتها وهي تردد بتعجب:

_ده مش صوت "مرين...!!!"

شهقت في صدمتي حينما وجدت طفل رضيع بفراش
ابنتها الصغير الذي لم يعد يليق بها، فصار الفراش
الاكبر حجما يناسبها، تصنمت محلها بتلك
المسافة الفاصلة بينها وبينه، قطع شرودها حينما
رأت مراد يحمله بين ذراعيه، كاد فمها أن يصل
للأرض من فرط ما رآته برمت عينيها، انطلقت
الشرارات تبعاً من نيران عينيها، فقالت باندفاع:
__مين ده!! ، انت اتجوزت عليا يا مراد، أنا كنت
حاسة انك لما كنت بتختفي كنت مدورها مع
واحدة شمال ومن عمالك الاسود هتلاقيها ماتت وهي
بتولد المحروس وأنت جاي تترجاني علشان أربيلكم
الواد بس ده على جثتي يعني أنت مش جايبني هنا
مربية ليك ولعيالك..!

فرك بيديه جبينه وهو يجاهد للثبات الذي فقده
منذ ان ولجت تلك المجنونة لحياته، تعصبت للغاية

من صمته الغير مقبول بالمرة، فصرخت به بحدة:

_ساكت ليه ما تنطق، ابن مين ده..!

التقط نفس عميق ثم زفره على مهل، ليخرج عن طور

صمته أخيراً:

_هو ابني فعلاً بس مع فرق بسيط ان أسم رحيم اللي

هيتكتب بعد اسمه..

مررت الكلمات على أصابعها بالتدريج لتفهم ذاك

اللفز الغريب المطروح من أمامها فما أن وعت لمقصده

حتى قالت بدهشة:

_ابن "رحيم"!، هي "أشجان" ولدت أمته، وازاي مش

تقولي؟..!

منحها نظرة قاتمة قبل أن يرد عليها بسخط:

_هو أنت مديّة فرصة لحد أنه يتكلم..!

وتركها وتوجه للمغادرة، وقبل ان ينعطف لغرفته

استدار ليسترسل بنبرة شرسة:

_دماغك المتركة شمال دي لو الأريل متعدلش

هجيبة أرضي..

وتركها وغادر من أمامها، تلقائياً لفت يدها حول رأسها
بخوف، فرددت بتهكم:
_متوحش..!

وكفت عن همساتها الجانبية لتقترب من الصغير،
بابتسامة حنونة، اتجهت لخزانة لتتقي ما قد يليق
به، ومن ثم أعدت له الحليب الدافئ المناسب لسنه
الصغير، ثم اقتربت منه لتحمله بعدما جهزت المياه
الدافئة والقليل من الشامبو، ارتسمت ابتسامة ناعمة
على وجهها حينما حملته بين ذراعيها لأول مرة،
فشعرت بشيء غريب بداخل رحمها، وكأن صغيرتها
قد تسعى للترحيب بنصفها الآخر الذي سبقها، إشارة
غريبة غير ملحوظة تجاهلتها "حنين" وأخذت تنظف
الصغير لتطعمه ومن ثم أبدلت ثيابها لتتجه لغرفة
"أشجان.."

نصف ساعة استغرقتها باتمام مهامها المتكاملة مع الصغير، ثم حملته وتوجهت لجناح "رحيم زيدان" بترددٍ وخاصةً بأن الوقت مبكراً للغاية؛ ولكن قلقها عليها دفعها للمضي قدماً، طرقت الباب مرة ثم وقفت تنتظر الرد، لتجد "رحيم" من أمامها، تطلعت له "حنين" بخجلٍ شديد، فقالت بتوتر:

_أنا أسفرتُ اني بقلقكم بوقت زي ده بس حقيقي مش هقدر أنام من غير ما اطمئن على "أشجان".."

عاتبها بزعلٍ بدى بلهجته الحازمة:

_أنتِ تيجي في اي وقت يا حنين ومن غير أي مقدمات، وبعدين احنا منمناش اصلاً الدكتورة كانت جوه ولسه ماشية..

ثم فتح الباب على مصرعيه ليشير له بالولوج، فما ان دخلت حتى وجدت "مراد" يلحقها فولج هو الآخر للاطمئنان على زوجة أخيه، حاملاً ابنته الصغيرة بين يديه بعد ان أفاقت على صوت بكاء "زين"..

بخطواتٍ سريعةٍ اتجهت لغرفة نومهما، فدنّت من
الفرّاش لتنتبه الأخرى للقادم، فرددت بابتسامَةٍ
شاحبة:

"_حنين..!"

وضعت حنين الطفل جوارها على الفرّاش الكبير ثم
انحنّت لتكون مقابلاً، فقالت بدموع تتلأأ بعينيها:
_الف حمد لله على سلامتك يا حبيبتي، ومبارك ما
جالك ما شاء الله زي القمر..

ابتسمت وهي ترد عليها بحبٍ صادق:

_الله يسلمك يا حنونة..

ثم خطفت نظرة سريعة لابنها لتضيف بتعب:

_استلمتي مهمته بدري اوي، تعبناكي معانا..

قالت بعتاب:

_بقي كده، لا يا ستي مفيش تعب ولا حاجة أنا

زعلت بس لاني كنت عايزة اكون جانبك بالوقت

ده، ده انا اتفاجئت من مراد بولادتك..

كبتت ضحكة كادت بأن تنفلت منها لتصطحب

معه وجع، قائلته بمرح:

_ولا أنا كنت أعرف وحياتك انا اتفاجئت لقيت

نفسي بولد وكنا في اليخت..

لطمت صدرها تلقائياً وهي تضيف:

_يا خبر طيب وعمليتي أيه..!

ضحكت "اشجان" بصوت مسموع لتتأوه بعدها بألم،

فقالت بعد سيطرة تامة بذاتها:

_لا موضوع كبير هكيهولك بعدين..

قطع الحديث المطول بينهما "مراد" الذي طرق

بأصابعه عدة مرات، لينتبهوا لقدومه، فولج حينما

منحته "شجن" اذن الدخول، جلس "مراد" على أقرب

مقعد بعيد عنهما ليضع ابنته الصغيرة "مرين" على

قدميه، قائلاً بابتسامته مشرقة:

_حمد لله على سلامتك يا "أشجان"..

ردت عليه بمحبة وعينيها تتطلعان للصغيرة بحنان:

_الله يسلمك..

ثم استطردت بعتاب:

_أيه اللي مصحكي بالوقت ده يا ميري..!
أجابها "مراد" وهو يعيد خصلات شعر الصغيرة عن
عينها، فتلک الفتاة لم ترث عين أبيها الزرقاء
فحسب بل وشعره الطويل والغامض بالامر بأن
وشخصيتها المجهولت، شبيهة أبيها كما يزعمون:
_صحت علشان تتظمن عليكى هي كمان.
ابتسمت "شجن" وهي تخبره بحب:
_دي روح قلبي والله..

ثم أشارت بيدها لحنين، فأقتربت من زوجها لتحمل
الصغيرة عنه، ثم توجهت لشجن التي طبعت قبلت
عميقة على خديها الأحمر الشبيه بحبات الكرز
الشهي، ولج "رحيم" هو الآخر، فانحنى بجسده تجاه
الفراش ليحمل الصغير بين يديه، ثم جلس جوار
أخيه يتأمل به بسعادة واضحة، مرر "مراد" أصابعه على

وجهه وهو يغازله قائلاً بمرح:

_شرفت قصر آل "زيدان" يا عمهم، يلا بقا أكبر
علشان أخدك ادربك كده وأخليك أسد في
نفسك..

ضحك "رحيم" بصوته كله، فهمس لآخيه بمكر:
_تفتكر هيستحملنا ولا هيبقى خرع..

مشط الجوكر بعينيه المكان من حوله، فوجد
أشجان تتحدث مع زوجته، فقال بخبت:
_الواد ده مش هياخد في ايدنا غلوة، فالمفروض اننا
نتقل عليه ونفهمه كل حاجة واحدة واحدة..
زم شفتيه بعدم رضا:

_لا مش عايزه خرع بقولك..

وضح له بانزعاج:

_مهو هيتعلم بس واحدة واحدة عليه الواد لسه ابن
يوم..!

سحب نظراته لابنه الصغير فقال بعد تفكير عميق..:

_على رأيك أما يكبر شوية هيبقى لينا كلام

تاني..

فتذكر حمل "حنين"، فأخبره بابتسامته شيطانية:

_مش يمكن حنين تجباك ولد وندربهم الاتنين مع

بعض..!

رد عليه بابتسامته واسعة تكاد تصل للأذن:

_لا "حنين" هتجيب بنت ان شاء الله وده من رحمة ربنا

بيهم لانه عارف اني مكنتش هرحمه مش بعيد

ادخله الجيش ١٠ سنين..

وضعت "حنين" ابنتها أرضاً، فاستخدمت يدها وقدميها

لتتحرك حتى وصلت لابيها، فتحرك لسانها ناطقاً

بطفولية:

_أبا... ب...

انتبه كلاً منهما اليها، فناول "رحيم" ابنه لمراد ثم

حملها بين يديه، ليطبّع عدد من القبلات المتفرقة

على وجهها، هامساً بخبث:

_لا یا روجی مترعلیش، فکک من ابوکي أنا الی
هعلمک کل حاجتہ بنفسي وهنشوف أبوکي رده
ایہ..!

عبث "مراد" وهو يتذكر وجود الاب الآخر لبناته فأن
كان سيتحكم بذاته عن تعليم فنون القتال عنهن
فيوجد الأخطر منه، تمنی لو يتمكن من زرع هذه
الفنون بهن ولكنه لن يحتمل رؤية احداً من بناته
تخدش او تتعرض للأذى في سبيل التدريب الشاق،
وكان القدر وصم لكل طفل المدرب الخاص به،
فالجوكر يحمل ابن رحيم والاسطورة يحمل بنته،
فعلم الآن من سيكون المدرب الخاص لكلاً منهما..
انتبهوا سوياً لصوت "حنين" حينما قالت:

_طيب یا حبيبتي انا هسيبك ترتاحي وبكره
هجيالك اطمئن عليكی ان شاء الله..

أمسكت "شجن" ليدها، ثم قالت برجاء:

_لا متسبنیش یا "حنين" انا محتاجالك..

وزعت حنين نظراتها الخجلة بين زوجها ورحيم، الذي
نهض ليزح عنها هذا الحرج حينما قال:

_خليكي معاها وأنا هبات في أي اوضة بره الجناح..
نهض "مراد" هو الآخر، فوضع الصغير بسريه الصغير،
ثم حمل ابنته ليشير له بجديته:
_أوضة ايه اللي هتنام فيها، أنت هتنام معايا بجناحي
ومن غير كلمة زيادة..

لحق به وهو يردد ببسمته مشاكسة:
_المرادي مش اجبار، هنام في اوضة واحدة وجنب
بعض بالاختيار..

تعالت ضحكات "مراد" الرجولية، وهو يهمس له
بغمزة:

_متقلقش هتنام بالجانب اللي يريحك...

تباغت الشمس بردائها الذهبي، وخاصة بذاك اليوم
المميز، فغطت العالم بأشعتها المشرقة، لتتسلط على

اعمدة القصور الخمس..

بداخل قصر "ريان عمران" وبالأخص بغرفة "إياد"،
دفعت المقعد بيدها حتى السور الخارجي، فتحمل
على ذراعيها الممدود حتى نهض ليعبئ رثتيه بالهواء
الليل، وضعت "سارة" أطباق الطعام الشهي على
الطاولة المستديرة، فعاونتها "صباح" بود، حتى "يارا"
أنت بالمشروبات لتسكبها بالأكواب الستة
المتفرقة، هبط "ريان" متعجلاً للذهاب لعمله، فخطف
قبلته سريعة على يد زوجته وهو يخبرها بصوته
المنخفض:

_تسلم أيدك يا روعي..

التفتت يساراً ويميناً بخجل، ثم قالت بابتسامة عشق:

_الف هنا على قلبك يا حبيبي..

اقترب ريان من أخيه ليعاونه على الجلوس، فأسنده من
كتفيه اليمين، فأنضم لهم "مروان" هو الآخر
ليعاونه على الجلوس، جلست الفتيات جوار أزواجهن،

ليتناولن كلاً منهما الطعام بجو من المرح والغزل
وثالثهما العشق الذي بدد القلوب..

عاونت "حنين" "أشجان" على أن تبدل للصغير ثيابه
لاعتبارها أكثر خبرة منها، فتركها تبدل ثيابها
هي الأخرى بمفردها وخاصة بأن ولادتها مختلفة عن
الجراحة فهي قادرة على الوقوف والخطى بمفردها،
ولجت "نجلاء" للغرفة بصحبة "ريم" و"نغم"، باحثة
عنها وهي تردد بقلق:

صحيح اللي سمعته من البنات ده! ، شجن ولدت
امبارح وأنا كنت فين..!

اجابتها "حنين" قائلة بمرح:

كنا كلنا بنحلم احلام وردية يا نوجة، وبعدين
الحاجات دي مفهاس زعل، يعني الولية كانت بتولد
تقول للواد استنى لما اعرف العيلة اني بولد..!
تعالت ضحكات "ريم"، فدنّت من شجن لتحتضنها

وهي تتحدث لزوجتها أبيها:

_عشان تعرفي أنا بنحبك اد أيه، أول ما حنين بلغتنا

جنالك وش الصبح اهو..

حملت "نجلاء" الصغير من "نغم" التي تقدمه لها،

لتجيب ريم بابتسامته واسعة:

_انت روح قلبي دائماً يا ريمته..

احتضنت "نغم" اشجان وهي تهنئها بمولودها الاول،

فدعت لها الاخرى بأن تسر برؤية جنينها بمشيئة

الله، أستاذن "طلعت زيدان" بالدخول بلهفة لرؤية

حفيده، فقال وعينيه تبحثان عنه:

_حمد لله على سلامتكم يا بنتي..

اجابته باحترام وقد غطت بحجابها خصلات شعرها:

_الله يسلمك يا عمي، أفضّل..

اقتربت منه "نجلاء" بالصغير، فوضعتة بين لائحة

يديه وهي تردد بفرحة:

_سمي..

ردد بانصياح والدموع تتلأأ بعينه لرؤياه:
_بسم الله الرحمن الرحيم، ما شاء الله تبارك
الرحمن قمر...

سألتها "ريم" بفضول:
_هتسميه أيه يا "أشجان"؟..
ردت عليها باسمه المختار:
"-زين...!!"

قال "طلعت" وهو يطبع قبالاته على جبين الصغير:
"-زين رحيم زيدان.."
مسحت "نجلاء" دمعاتها سريعاً، وهي تراقب فرحته
بسعادة أدمعت عينيها، تود رؤيته يبتسم هكذا لآخر
عمرها...

جذبت "حنين"، "نغم" و"ريم" للخارج وهي تردد جملة
واحدة كل دقيقة:

_عايزاكم في مهمة قوميت، ماليش غيركم

خليكم عارفين ده..

زفرت "نغم" بضيق، فقالت وهي تتبعها:

_ماشين وراكى من ساعتها وكل ما بنسالك بتقولى
مهمّة قوميت، ما تفهمينا يا بنتي سحلنا وراكى ليه..!
أطبقت يدها حول معصمها واليد الأخرى حول معصم
"ريم"، فولجت للجناح الخاص بها، ثم أغلقت الباب
سريعاً لتشير لهما ببسمت مرتبكة:

_ولا حاجة، القصة وما فيها أنا حضرنا الفطار
وبنستنى "رحيم" و"مراد" ينزلوا يفطروا ومحدث
نزل..

أجابتها "ريم" باستغراب:

_طيب وفيها أيه ما تستنوهم ينزلوا زي كل يوم..
أخرجت "حنين" المفتاح العالق بالباب الأسود الضخم
الخاص بالجناح ثم قالت وهي تقف على عتبة:
_ما احنا بنعمل كده، بس الموضوع وما فيه انهم
نايمين في اوضتي وأنا عايزة ادخل أغير هدومي ولو

مراد اللي نايم لوحده كنت دخلت عادي لكن ده
مش هينفع فدي مهمة مين بقا؟..
واستطردت كلماتها بعدما خرجت من الجناح لتغلق
الباب عليهن سريعاً، ثم اغلقته بالمفتاح لترفع صوتها
من الخارج قائلة:
_مهتمكم يا اختي انتي وهي على الأقل أنتوا أخوات
لكن أنا هدخلهم بصفتي أیه؟!
ابتلعوا ريقهم بخوفٍ شديد، فقالت "نعم" بغضب:
_ "حنين" أفتحي الباب متهزريش.
أجابتها من الخارج:
_مبهررش والله ادخلوا صحوا أخواتك علشان
يفطروا، مش هتخرجوا من هنا غير كلكم
فاهمين!..
زفرت "نعم" بضيق:
_مجنون وأد كلامها..
ردت "ريم" بخوفٍ وعينيها تتنقل على باب الغرف من

أمامها:

_وبعدين هنعمل ايه، ده انا حتى نسيت شنطتي في
أوضة "أشجان"، كنت ممكن أرن على "سليم" يجي
يخرجنا..

مصصت شفتيها بسخريّة:

_يادي "سليم" اللي محياره معاكي ومحتارة تعملي بيه
أيه..!

ثم أشارت بيدها وهي تستطرد حديثها:

_ويعدين فيها ايه لما نصحيهم، هما على فكرة
اتغيروا..

واجلت حبالها الصوتية بقوة مصطنعة:

_توكلنا على الله، بينا.

لحقت بها فتركتها تستكشف الغرف حتى وجدت
المنشودة، فولجت من خلفها للداخل، ازدردت ريقها
الجاف بصعوبةٍ حينما وجدت كلاً منهما مستلقي
على ظهره بحركةٍ متشابهةٍ، فأشارت لها "نعم"

بالاقتراب من "مراد"، فأومأت برأسها، لتتجه للاتجاه
الآخر من الفراش، أما "نغم" فوقفت جوار "رحيم"،
رفعت أصابعها للأعلى لتشير لريم بالعد التنازلي الذي
سينتهي بالعدد الثالث وبالفعل، أخذت تعد على
أصابعها حتى العدد ثلاث فقامت كلاً منهن بنخر
أصابعهما بكتفيهما العارية، فتح كلاً منهما عينيه،
النوم مستيقظ لأي حركة خاصة اكتسبوها
بالاجبار من سمات عملهم، انكمشت ملامح "مراد" وهو
يردد بنوم:

"_ريم...!"

أسرعت بالحديث بجسد يرتجف خوفاً:
_أنا ماليش دعوة والله، "حنين" اللي قافلت علينا
الباب وقالت لازم نصحيكم..
ابتسم وهو يتأمل حالة الذعر المسيطرة عليها،
فنهض ليقترب منها وهو يردد بمرح:
_طيب اهدي اهدي، هو انا بقولك مين اتسبب في

موت خالتك...!!!

جلس "رحيم" على الفراش باستقامته، فالتقط قميصه
الملقي لجواره، ارتداه وهو يتطلع لنغم الثابتة من
أمامه وكأنها لم تفعل شيئاً، فقالت بثبات:
_الفطار جاهز..

نهض عن الفراش ليقرب منها، فلف يديه حول
كتفها وهو يخبرها بابتسامته:

_وأنا ميت من الجوع، يلا..

اتبعته للخارج فسألها باهتمام:

"يوسف" فين، مجاش معاكي؟!

أجابته بابتسامته مشرقة:

_لسه مكلمني من شوية وقال بيحضر مفاجأة لشجن
بمناسبة البيبي..

ثم أضافت:

_الف مليون مبروك يتربى في عزك يا حبيبي..

احتضنها رحيم بحب وهو يجيبها:

_عقبال ما تقومي بالسلامة ان شاء الله..

خرجت ريم بصحبة "مراد" هي الاخرى، فقالت

بانزعاج:

_تفتكر حنين هتفتح الباب ولا هتعمل فينا ايه

تاني..!

اتسعت بسمته وهو يشير لها بسخرية:

_الباب مكنش مقفول أصلاً، هي عملت كده علشان

الابتسامه على وشوشنا دي.

ثم قال بمكر:

_مش انتي اتبسطتي وأنتي بتصحيني..!

انفجرت ضاحكة فشاركها الابتسامه ليأحق بهما

للاسفل، لينصموا جميعاً على طاولة الطعام، بجو من

البهجة والسعادة وخاصة بعد أن انضم اليهم

"يوسف.."

جلست بالغرفة تنتظر صديقتها بالوصول للمشفى،

كان "يامن" لجوارها، يديه تحتضن يدها، شعر
بارتجافها بين يديه، فانحنى على مقعدها قائلاً
بضيق:

"فاطمة" مفيش داعي لوجودنا هنا، صدقيني
الموضوع مش فارق معايا..

أجابته بابتسامته رسمتها لتمنحه الراحة:

_بس أنا اللي هي فرق معايا...

احتضنها وهو يربت على ظهرها بحنان، ليهمس لها
بعشق جوار اذنيها:

_أنا هكون جانبك مش هسيبك..!

تمسكت بقميصه من الخلف وكأنه تخبره بالا
يتركها، دقائق مبسطة ووصلت صديقتها الطيبية،
لتخبرها بأنها على أتم الاستعداد، ابدلت ثيابها
لتتجه للغرفة ويديه مازالت ملتصقة بيدها، كان
لجوارها منذ بداية الجراحة لنهايتها، كان يقف
جوار رأسها، يشتمها بحديثه المرح وكلماته

المعسولة، لم يكن يحبذ ان يخضع حبهما لمثل هذا
الاختبار ولكنه يمتلك اليقين بأنها معصلة وستمر
مثلا مر الكثير من العوائق..

انتهت الجراحة وبالفعل تم فض الغشاء المطاطي
بنجاح، لتنتقل بعدها لغرفة عادية، فما أن انتهت
المرضة من تغطيتها حتى ولجت الطبيبة، لتخبرها
بضحكة رقيقة:

_حمد لله على سلامتک يا دكتورة فاطمة..

أجابتها بتعبٍ بدى بصوتها:

_الله يسلمک يا "دنیا"، بشکرک على واقفتک
جانبي..

عابتها بمحبة:

_متقوليش كده ده احنا عشرة عمر، بس انتي اللي

اختارتي تدخلي قسم اطفال وتبعيني..

ابتسمت وهي تجيبها:

_ما انتي عارفاني بموت في الاطفال..

القت على مسمعها اقتراح افتراضي، فقالت بمزح:
_ طيب اتجد عني أنت بس وهاتيلنا حتة عيل..
انتقلت نظرات "فاطمة" ليامن الذي طالعها ببسمته
مكر، فاصطبغ وجهها بحمرة الخجل، سحبت عينيها
لباب الغرفة حينما فتح لتجد أخيها من أمام عينيها،
دنا منها "جان" وهو يضع باقة الزهور البيضاء على
الكومود من جوارها، ليتساءل باهتمام:
_ الجميل أخباره ايه؟..
بصوت هزيل اجابته:
_ الحمد لله بخير يا حبيبي..
جلس على المقعد القريب منها، فتساءلت بلهفة:
_ طمني على سلامي بقت كويسة، وخالد عامل ايه؟..
رد عليها بصوته الرخيم:
_ بخير الحمد لله، شيدي انتي بس حيلك واخرجي..
قالت باستياء:
_ كان نفسي والله احضر سبوعه بس كله خير..

ابتسم وهو يخبرها ما حدث من قرارات حاسمة:
_ لا هتحضري، لأن "طلعت زيدان" أمر بنفسه ان حفلة
استقبال "خالد" هتكون مع زين ابن "رحيم..
رفعت حاجبها بتعجب:
_ هي اشجان ولدت..
اوماً برأسه قائلاً:
_ امبارح..

قطعت الممرضة جلستهما حينما اقتربت من المحلول
الموضوع بوريدها، فنهض "جان" ليشير ليامن
بالانسحاب معلاً:
_ ما تيجي ننزل نشرب قهوة ونسبها ترتاح شوية..
أشار له هو الآخر:
_ ياريت، تعال..
وهبط كلا منهما للأسفل..

يوم يليه الاخر دون أي جديد الا من أقصوصت العشق

التي نبضت بقلب "علي" تجاه "فاطمة"، رغم انه يعلم
بالمشاكل التي سيواجهها مع والدته الا انه سيعافر
لاجل ذاك، طوال الفترة الماضية لم تجدي حالة
فطيمة" أي تحسن، ورغم ذلك مازال يصمم على
معالجتها والخوض في ماضيها لمعرفة ما واجهتها
ليجعلها هكذا، لذا اخبر "يارا" برغبته بمعالجتها
فوافقت على امل أن يحقق هو ما فشلت القيام هي به،
فأقنعت "مراد" بأن سفرها مع علي هو الصائب لحالتها
النفسية، فسمح له بذلك وأخبره بأنه سيكون على
تواصل دائم به لمعرفة تطورات حالتها بنفسه، وإن
اضطر الامر سيسافر اليهما كل فترة للاطمئنان
عليها، لذا سافرت "فطيمة" مع "علي" لانجلترا، بلد
العشاق التي ستشهد أقصوصة عشق فريدة من
نوعها... (نوفيلاً صرخات أنثى «فطيمة»).....

بتلك الايام الماضية تحسنت صحة "إياد" كثيراً

حتى صار يخطو بذاته دون الاعتماد على أحداً، حتى
"فاطمة" استردت جزء كبير من عافيتها ولملمه ذاك
البعد الجسدي بينها وبين زوجها شتات الماضي،
فكانت فرصة كبيرة للتقرب من بعضهما البعض،
لذا عاد قلبها ليتقبله من جديد، عاد ليخفق رغبة
بالتقرب منه، فما أن سمح بذلك حتى تقاربا، مزقوا
صفحة الماضي المفعج ولم يبق سوى سطور العشق
الفارغة التي مالاها الشوق والحنين، سمحت له
بالاقتراب ومنحته الفرصة، فعوضها عما فقدته من
شغف اللقاء والقرب منه، جعلها تذوب بين أحضانها،
تردد حبها علني مثلما يردده هو، حتى صار عالهما
واحد...

حركت الطيبة الجهاز على بطنها برفق، فرأى
"مراد" بوضوح ما تحمله باحشائها، ابتسم بفرحة وهو
يتابع ويستمع لصوت نبضات القلب فشعر بأنه اتصل

بقلبه، كالوريد، ضغط بأصابعه على يد "حنين"
المتشبثة به، ليقبّلها وهو يردد بعشق:
_بأحبك...

بادلته الابتسامت بسمت ترسمها بالكد وعينيها
مليئة بالآف الكلمات، رآها مراد بوضوح فأراد
الخروج من هنا سريعاً ليعلم ما تود قوله، انتهت
الطبيبة من اخبارهما بالارشادات اللازمة وضرورة
تناولها الفيتامينات وغيرها من أكالات صحية مفيدة
لها وللجنين، فخرجوا سوياً لينجرف "مراد" بالسيارة
بمكان هادئ أمام النيل، فاستدار بجسده تجاهها، ثم
التقط يدها ليمرر أصابعه بحلقات دائرية قشعر
جسدها لأجلها، فقال بصوته الرخيم:
_مالك، مش حاسس أنك مبسوطر ليه؟..
لازمت الصمت، فخمن هو سبب خوفها فرفع يديه
ذقنها وهو يناديها:

"_حنين"، بطلي تفكري في أني هبعد عنك

والكلام ده، أنا جانبك ومعاكى لحد آخر نفس
خارج منى..

ابتسمت وهي تتطلع له مطولاً، فمازحها قائلاً:

_حفظتي ملامحى ولا لسه؟!

قالت باسمته:

_حفظتها من زمان بس ده ميمنعش احفظها تانى

عشان اللي فى بطني تيجي شكلك زي "مرين.."

قال بابتسامته حالمته وعينيها تجوب بطنها المنتفخة

بعض الشيء:

"_مارال"، هنسميها كده..

ضيق عينيها بذهول:

_اسم غريب. معناه أيه؟!..

أجابها بعجرفة:

_يعني الغزال، اسم جديد ومش منتشر وصاحبة

الاسم بتتمتع بشخصية طيبة القلب وقوية، سريعة

البديهة وذكية، بتحب الحياة الحرة بعيداً عن

القيود..

أعجبت كثيراً بمعناه، فقالت:

_ كل مرة بتختار اسم مميز عن اللي قبله..

احتضنها ثم استرخى بمقعد السيارة للخلف، فاغلق
عينيه تأثراً بالهواء النقي الذي يلحح وجهه، بارتباكٍ
نادته وكان وقت الافصح عما يجول بخاطرهما قد

حان فقالت:

"_مراد.."

أجابها بنعاس:

_أممم..

قالت بتوترٍ ملحوظ:

_أنت مش زعلان اني هجباك بنت لتاني مرة..!
فتح عينيه على مصراعيه بصدمته من قولها لذلك،
فابعدها عنه وهو يتطلع لها بحدةٍ اتبعته بلهجته
الحازمة:

_أيه اللي بتقوليه ده يا "حنين"، أنا بجد مصدوم اني

بسمع الكلام ده منك...!!

قالت بارتباكٍ وهي تنظر لذراعيه الموضوعتة حول
كتفياها:

_أنا فرحانةٍ اني هخلف منك لتاني مرة ومش فارقت
معايا بنت ولا ولد، بس أنا خايضة تكون انت زعلان
يا" مراد."

أجابها بغضب:

_بلاش هبل، أزعل ايه، أنا طائر من الفرحة ان
هيجيلنا بنت، أنا فعلاً بعشق البنات ومؤمن أنهم لما
يتربوا كويس بيبقوا أفضل من الولاد مية مرة،
البنت ربنا بيخلقها وجواها حنان وحنية تكفي عالم
بأكمله، ربنا انعم علينا بنعمتين ازاي ازعل...!
ابتسمت بفرحةٍ وراحةٍ، فلقت يدها حول عنقه
لتحتضنه بقوةٍ، رغم عصبيته الشديدة مما قالتة الا
انه لف يديه حولها ليبادلها الاحتضان، ومن ثم
تطورت الامور بينهما ليغابى سوياً بلحظاتٍ سريعةٍ

اقتباسا بها رحيق الغرام المزروع بغصون متشابكة..

انقضت تلك المدة المحددة واتي اليوم المنشود،
اقيمت حفلة استقبال لابن "رحيم زيدان" و"جان
زيدان" بترتيبات من أرقى ما يكون، امتلأ القصر
باكملة ببلايين ملونة باللونين اللبني والأبيض،
وقفت الفتيات تعلقها بفرحة والآخرات يناولن
أزواجهن الزينة، تعالت الموسيقى الخاصة بالاطفال
الموليد بالقصر بأكملة، لتنتطلق الكاميرات
بالتقاط الصور المميزة لعائلة "زيدان" باكملة،
سلطت الكاميرات باكملة على الدرج المتوسط
قصر "طلعت زيدان"، حيث هبطت "صباح" أولاً حاملة
ابنها جان الصغير مرتدياً زي أبيض مثل باقي الاطفال
بعد اتفاق صريح من الفتيات، ومن ثم هبطت "حنين"
بفراشتها الصغيرة "مرين" التي ترتدي فستان أبيض
كعروس تزف بليلة زفافها، ومن بعدهما هبطت

"سلمى" بابنها "خالد"، لتلحق بها "شجن" بابنها "زين"

ذاك الطفل الغامض ذو المصير المجهول..

هبطوا جميعاً ليشير لهما المصور بالالتفاف حول

الاطفال بعدما وضعوهم على الطاولة بالغربال

المزركش، انضم "رحيم" لمعشوقته ليطوفها

بذراعيه ومن ثم التف حول الطاولة العملاقة، ومن

خلفه "مراد" الذي يحمل صغيرته بين يديه وباليه

الآخرى يحتضن حنين التي اشعلت شمعة كبيرة

واخذت تلهو كالطفلة الصغيرة وهي تصرخ بمرح:

_حقاتك برجالاتك يارب يعيش يارب يعيش..

تعالى ضحكات مراد وهو يراقبها بدون جدوى،

فابتسم "رحيم" وهو يلتقط ابنه ليحمله بين ذراعيه

ومن ثم قربه من محبوبته قائلاً بمكر:

_عقبال ما نخويه ولا رأيك ايه؟!

حدجته بنظرة ناريت، فتعالى ضحكاته الرجولية

باستمتاع لرؤية غضبها، احتضنت "شجن" أخيها

قائلة بتذمر:

_جاي متاخر ليه يا يوسف..

اجابها وهو يخرج السلسال الجلدي الذي يحمل اسم

المولود ليضعه حول رقبته:

_الطريق كان زحمة وواقف بس ولا يهمني في الآخر

جينا..

تعاليت الضحكات بينهما، فسلمت عليها نغم ثم

انضمت ليوسف، فاقترب منهما "فارس" و"مروان"

لينولهم مروان شمعة، ثم اشعلها فارس بالقداحت

مشيراً لهما بمرح:

_اللي يدخل من الباب ده يولع شمعة ويلف لفتين، يلا

يا حلوة منك ليه..

اشار لهما يوسف:

_كده، ماشي يا عيل منك له..

لحق يوسف بمراد ورحيم، فراقب مروان الباب، ليشير

لرفيقه:

_المتر شرف أهو..

اشار بيديه بحماس:

_فرجت اوي..

اقترب منهما "يامن"، فناولوه الشموع هو وفاطمة، ومن
ثم دفعوهم على الطاولة، كانت الضحكات مسيطرة
على العائلة باكملها مما يفعلوه مروان وفارس من
مشاكسات منحت للأجواء رونقاً، ابتعد "فارس" ليجد
جان يقف بالخارج يتبادل المباركات والتهنئة من
اصدقائه فجذبه للداخل بقوة، ثم دفعه على قارس
قائلاً بسخرية:

_لقيت ده بره، ولعله وخليه يدور..

تحرك فكيه ناطقاً بعصبية:

_يولع لمين ده انتوا ليلتكم سودة..

اتى "ريان" من خلفه ليلتقط شمعه من اخيه وهو

يوجه حديثه لجان المتعصب بابتسامته واسعة:

_ولع ولف وفكها يابو العريس ده الليلة هنهيص مش

كده ولا ايه يا شباب..

تعالت الصيحات فيما بينهما فأتى آدم من خلفه

ليلتقط الشمعة هو الآخر، قائلاً بسخرية:

_فنولع ونلف ونغني كمان ويارب يا ربنا يكبر

ويبقى ادنا ويجي يعيش وسطنا وسط الحبايب..

تعالت ضحكات جان، فقال وهو يراقب آدم الذي

التقط يد سما ليدور بهما من خلفهم:

_عوض عليا عوض الصابرين يارب..

_جان مش هتلف معايا ولا ايه!!

كلمات متذمرة قالتها "سلمى" فتبددت بسمته،

ليغمز له ريان بمرح وبكلماته المعتادة فيما بينهما:

_البس عشان خارجين..

امسك يدها وهو يجيبها بابتسامته واسعة:

_نلف منافش ليه..

أتت سارة هي الأخرى وهي تخبر مروان بتذمر:

_هو الشمع ليكم انتوا بس ولا ايه..!

منحها مروان شمعة وهو يجيبها بمشاكسة:
_حد يقدر على زعلكم، خدوا كل الشموع المهم
انكم تصرفشوا لنتدشدش أحنا..
أشار له يامن بغمزة ساخرة:
_كده فهمت الكار..

صعق فارس حينما وجد سليم يقف من امامهم، فوضع
القداحة من يديه على الطاولة، ثم تطلع له فوجده
يتطلع لما يحمله مروان، فاسرع اليه لينتشل منه
الشموع ثم وضعها جوار القداحة وهو يضيف بخوف
مصطنع:

_احنا كبار على الحاجات دي متعصبش نفسك يابو
نسب..

فاسرع تجاه منة ليحملها بين ذراعيه ويدور بها حول
الطاولة فكاد ان يسقط بها مراراً وسط ضحكات
الشباب والفتيات، ابتسم "سليم" وهو يلتقط الشموع
والقداحة بغرور، ليتجه لريم الغاضبة ثم قدم لها ما

بحوزته قائلاً بتعجرف:

_شوفتي السيطرة جبلك كل اللي معاها..
تبدل حزنها لسعادة فاشعلتهما ثم اخذت تدندن مع
الاغاني فالتفوا جميعاً من حول الطاولة بفرحة
غمرت القلوب قبل ان تمس الوجوه..
اعلى الدرج وقف "طلعت زيدان" يوزع نظراته بين
الوجوه، ابنائه وابناء أخواته بفرحة، عاش عمراً
ليختبر تلك السعادة التي غمرت الجميع بوحدتهم،
ولجواره "نجلاء" التي تربت على كتفيه كالحصن
القوي، قبل يدها وضمها لصدره ليقفوا بالاعلى
يرقبون حماس الشباب وفرحتهم المتبادلة بين
الوجوه بأكملها، ليته تمكن من اصلاح ما اتلفه
أبيه، وان كان متاخراً ولكنه بالنهاية تمكن من
ذلك.....

تمكن من زرع الوحدة بين ال عائلة "زيدان..!"

تمت بحمد الله

٢٠٢١/١١/٩ هـ

«الخاتمة..»

المشهد الختامي...

الأيام تمر والعمر لا يتوقف محله، بل يتبعها
كالظل، خمسة عشر عاماً مرت عليهم بطوفان من
العشق، كلما مرت الايام بينهما كبر وتعمق حتى
أصبح متين للغاية، فالعلاقات تتمثل باكثر من نوع
والعلاقة التي جمعت الجوكر بزوجته والاسطورة
بزوجته عشق خالد، يبقى حتى الرmq الاخير،
الاحترام والمحبة لا تكفي لعيش حياة نبيلة بين
أي زوجين، بل الحب... العشق النابع من الوجدان،
فحينما ستواجه تلك العلاقة اختباراً عصيب لن
تكفي المحبة للخروج منه سالماً، بل ان كان ولد
بين الطرفين حياً صادقاً ستتبخر العواقب وستزول
للأبد خشية من رابط متين مثل ذلك، خمسة عشر
عاماً كانت بمثابة عقد من العهود التي تحقق بعضها

والاخرى في طريقها...

عودة لذلك اليوم الذي قرر فيه الصديق الوفي دعوة
الجوكر والاسطورة لقضاء يوم مميز بعيداً عن ضجة
المدينة، لذا استعدت العائلة لقضاء يوم العطلة
بمدينة الاسكندرية، استقل كلاً من "مراد"
و"رحيم" السيارات ليتوجه سوياً بصحبة زوجاتهم
وابنائهم للمكان المنشود، وبعد ساعات مطوالة
وصلوا أخيراً للموقع المنشود، هبط "رحيم" من
سيارته ليفتح بابها لتلقه "شجن" بابتسامتها
الرقيقة، تمسكت بيديه وهي تتجه للجهة المقابلة..
فتح باب السيارة المجاور لمقعد "رحيم" ليهبط هذا
الولد البالغ من العمر الخامسة عشر من عمره، عينيه
الزيتونية تنقل صورة مطابقة لآبيه، ثباته الغريب
وهدوئه رغم صغر سنه كان مستريب للبعض، انضم
لآبيه وهو يبادل له تلك النظرات المتعصبة، الجسد
ساكن ولكن نظرات أعيناهما كانت تنص على

حرباً متبادلة بين كلاً منهما، ابتسمت "شجن" وراحت
تلطف الاجواء قائلة بمرح:

_ خلاص يا "زين" بالنهاية جينا والموضوع خلص، أنا
مش عارفة أنت ليه مش مبسوط بالسفر والخروج عايز
تقعد بالقصر ليل نهار..!

أجابها ذاك الطفل ونظرات تحديه تخترق ابيه:
_ أنا مش بحب أن بابا يفرض عليا حاجة أنا مش
عايزها، أنا مكنتش حابب أخرج في ال week end
كنت عايز أتدرب علشان البطولة..!
حدجه "رحيم" بنظرة مغتاظرة، فاشاح بنظراته عنه
ليتطلع لشجن بنظرة ذات مغزى انهاها بكلمات
مختصرة:

_ أنا متمالك اعصابي لآخر لحظة..
وضعت يدها بمنتصف خصرها وهي تجيبه
باستنكار:

_ زعلان ليه مهو طالعلك..!

أفرغ الهواء الثقيل القابع داخل رئتيه وهو يردد
بصوت خافت:

_مهو المصيبة انه شبيهي..

انقطعت الهمسات بينهما حينما اوقف "مراد" سيارته
بمحاذاة سيارة "رحيم"، فهبط ليفتح الباب الخلفي
لبناته وزوجته، هبطت "حنين" لتنضم سريعاً
لرفيقتها فقالت بابتسامة مشاكسة:

_وحشتيني الشوية دول..

تعالت ضحكاتها وهي تجيبها بمكر:

_أمال مين اللي كانت صدعاني على الواتساب من
ساعتها امي..!

اجابتها ساخرة:

_الله يرحمها هتقلقيها من مكانها لسه سببها في
حالتها..

اشارت لها "شجن" لتتنحى جانباً حتى تمر "مرين"،
فوقفت جوارها، لفت "أشجان" يدها حول كتفها وهي

تخبرها بابتسامته صافية:

_مالك يا حبيبتي زعلانه ليه كده..

أجابتها "مرين" بملل:

_أكيد حضرتك عارفت ان انا وزين عندنا بطولته

والمفروض نستغل الوقت ده بالتدريب..

زفرت "حنين" بتعصب:

_يادي ام التدريب يا بنتي ارحميني وعيشي سنك

بقا، انتي بنت يا ماما مش شاب، الله يسامح اللي

كانوا السبب في فساد عقولكم ده انا بقيت اخاف

أكلهم حد فيكم لاخد روسيته ولا لكمية حائرة

طايرة..

قالت شجن بضجر من الاسطوانة المتكررة شبه

يومية:

_ما خلاص يا حنين مش حوار هو..

ردت عليها باستياء:

_بحاول افهمها انها بنت مش قادرة تفهمني، على طول

بلاقيها مع زين بتدرب على ايه معرفش ما أختها أهي
ملاهش بكل القرف ده ومركزة بمذكرتها أكثر..
أجابتها "مرين" بهدوء:

"مارال" عايزة تبقى دكتورة فليها الحرية تختار وانا
كمان ليا الحرية في الاختيار ومش قادرة اشوف
نفسي غير ظابط شرطة ثم أن بنتك اللي فرحانة
بيها دي لولا تعليمي الملاكمة وفنون القتال
مكنتش قدرت ادافع عنها بالمدرسة ومتقوليش لاني
الكبيرة لا ده بفضل تدريب أنكل "رحيم" اللي مش
عجباكي..

ابتسم "مراد" وهو يستمع للحوار المتبادل بين زوجته
وابنته العنيدة الشبيهة له، فقال بحزم:
_ احنا مش جاين نحل مشاكلنا هنا، جاين ننسب
ونغير جو...

وأشار لهما بهبوط ذاك الدرج فهبطوا جميعاً، وظلت
تلك الفتاة تتربصهم باهتمام حتى ابتعدوا عن مرمى

بصرها ، فأسرعت بخطواتها المتعثرة حتى وصلت لمن
يتعمد التباطؤ بخطاه حتى تتمكن من الوصول اليه،
نادته "مارال" بانفاسٍ لاهثة:
"-زين.."

تصنع انشغاله بارتداء حقيبة الكتف السوداء،
فخطت لجواره وهي تخبره بصوتها المتقطع:
_انت مش بترد عليا ليه من امبارح، ودلوقتي مش بترد
عليا برضه..

قال وعينيه الثاقبة مساطرة على الطريق من امامه
وكأنه لا يراها:

_ومش هرد..

قالت بحيرة:

_طيب ليه..!

وقف محله ليستدير بجسده تجاهها، قائلاً بغضب:

_ابقي اسألني نفسك أو أقولك لما تفضي بعد ما

تخلصي ال Home work بتاع الاستاذ "خالد" تبقي

تفكري..

لمعت الدموع بعينيها فقالت بحزن:

_انت زعلان مني علشان بكتبله وجباته..

حدجها بنظرة قاتمة وهو يستكمل طريقه قائلاً

بغضب مكبوت:

_هزعل ليه انتي خايضة عليه علشان كده

بتساعديه..

قالت ببكاء حارق:

_لا مش خايضة عليه انا خايضة منه..

عند تلك الكلمة الاخيرة توقف عن المضي قدماً،

ووقف في قبالتها، فاستطردت بدموع غزيرة:

_لو مكتبتلوش الواجب قالي انه هيضربني..

غلت الدماء بعروقه فاندفع قائلاً بشراسته:

_هو قالك كده، بس اما نرجع وربنا لشقه نصين...

ثم تطلع لها ليخبرها بغضب:

_وانتي مقولتليش كده ليه، وتخافي منه بتاع آيه ده،

بيستغلک وأنتي قابله بده..

فرکت أصابعها بخوفٍ وهي تردد بيأس:

_هعمل ايه بس..!

أجابها بصرامتٍ:

_متعمليش أنا اللي هعمل، مش فائدة فيكي هتفضلي

طيبة وهبلت والكل بيستغلک..

انسدت دمعاتها لوصفه السييء لها، تعلم بأنه يحبها

ولكنه حينما يغضب يصبح مندفعاً للغاية، تركته

"مارال" ولحقت بالجميع، فجز على اسنانه بغضبٍ مما

تفوه به، اتابعها على امل أن يلحق بها ولكنها كانت

قد تخطو لجوار ابوها..

اعتدل ذاك الغرب بوقفته حينما اقتربوا منه،

فرفع يديه بيصافح "رحيم" ليحيه بابتسامة ساحرة:

_الاسطورة، وحشنا يا عمهم..

صافحه رحيم وهو يجيبه ببسمة زادت من رجولته:

_وأنت كمان ليك وحشة يا وحش..

ابتسم "عدي" على أثر كلماته الاخيرة، فبادل
السلام الحار مع الجوكر قائلاً بمزح:
_رجعت لهيبتك برضه بعد الهيروين..
تعالى ضحكاته حينما تذكر ذاك الحادث الاليم
الذي كان عدي احد أسباب نجاته من قبل، فقال
بغموض:

_طول عمرنا هيبتنا سابقنا..
ابتسم وهو يشير اليهم بالولوج للداخل، فوجدوا
طاولة ضخمة اعدّها الخدم خصيصاً لاستقبالهم،
ولجوارهم شواية ضخمة توضع فوقها اللحوم، جلسوا
جميعاً على الطاولة، فعلى صوت "عدي" منادياً:
_"رحمة.."

خرجت على صوته المنادي، فأشار لها باهتمام:
_دول يا ستي "رحيم" و"مراد" اللي كنت بكلمك
عليهم..

ابتسمت وهي تحيهم وعينيها موضوعة أرضاً باحترام،

فبادلوها تلك الابتسامة العملية، أشار "عدي"
للخلف قائلاً:

_ودول مرتاتهم "شجن" و"حنين.."

اتسعت بسمتها وهي تتعرف عليهم، وان كان طبع
شجن قريب منها الا انها احبت كليهما للغاية،
فجلسنا بعيداً عن طاولة الرجال ليتبادلن الحديث
المرح فيما بينهما، فتعرفنا ببعضهن البعض حتى
الارقام تبادلوهما...

بعيداً عنهما..

خطت بمال بتلك البقعة التي تحدها الحشائش
الخضراء، عينيها تغلق باسترخاء وكأنها تود التمدد
على بساط الرياح المرئي، انتبهت "مرين" لصوت
ضربات حادة تأتي من الجهة المعاكسة اليها،
فاتبعت الصوت، لتجد من أمامها لوحة حديدية
عملاقة ومن مقابلها يقف ذاك الفتى ذو البنية
القوية، يصبو سهامه فتخترق قلب اللوح باجتياز،

راقبته لدقائقٍ متتاليةٍ باهتمامٍ، فكادت بالعودة
لأبيها إلا أنها توقفت محلها حينما سمعته يردد دون
التطلع لها:

_غريب انك سايبَة العَاب البنات وواقضَة تراقبيني..
استدارت "مرين" لتقف مقابله بنظراتٍ قاتمةٍ اتبعها
قولها الساخر:

_هو كل العَاب الاولاد متنفعش البنات ولا أيه؟!..
ابتسم "ياسين" ساخراً من ذاك التحد الجريء،
فناولها القوس والسهام بنظراتٍ مرحبةٍ، التقطته منه
"مرين" بقوةٍ فغرست بيدها سهامين حداً بعضهما
البعض، ثم ركزت عينيها الزرقاء تجاه هدفها،
وبسرعةٍ واضحةٍ اطلقتها لتخترقان قلب اللوح،
ابتسم "ياسين" باعجابٍ، فقال بثباتٍ ونظراتٍ اعجاب
واضحةٍ:

_ابهرتيني، رغم ان شكلك ميبنش انك عندك
خبرة ابدأ..

وضعت السهام بين يديه وهي تجيبه ببسمت سمجة:
_ولا شكلك يبين ده..

وتركته ورحلت من أمام عينيه والاخر يتابعها بشبح
ابتسامت ماكرة تظهر على محياه، فابنت رفيق ابيه
التي يراها كل عام تقرباً تجعله بحيرة من امرها،
فتلك المرة الاولى التي يصطحب بها "مراد" ورحيم
زوجاتهم ولكن الابناء اتوا لذاك المكان أكثر من
مرة، غادرت من أمام عينيه والاخر يلهو بسهامه
وعينه البنية تراقب خطاها التي تبتعد عنه رويداً
رويداً..

وجدها تجلس على الارجوحة والحزن ينطبق على
قسمات وجهها، مستندة برأسها على طرفها، خلع "زين"
حقيبتة ثم وضعها على قدميه بعدما جلس لجوارها،
فأخرج من حقيبتة غزل البنات الذي يحتفظ به
بحقيبتة على الدوام لاجلها، رغم ما تلاقاه من

سخرية صريحة من ابيه وعمه كونه شبيه ابيه
بجلب هذا النوع من الرشوة لمصالحتها كما كان
يفعل ابيه الا انه تحداهم وظل يجلبه اليها في سبيل
رؤية بسمتها، وضعه "زين" على قدميها، ثم استقام
بجلسته، وزعت نظراتها بينه وبين ما تحمله قدميها،
فتحت الكيس لتتناوله بصمتٍ رغم عينيها التي
تلمع بالدموع، مزق صفحة الصمت أخيراً وهو يخبرها
بنبرتها المتعصبة:

_متقلقيش أنا هريه لما نرجع هخليه يقول المرادي
حقي برقبتي..

قالت بطفولية اتبعها خوفاً طفيف:

_بس أنكل رحيه هيرجع يعاقبك تاني..

أتاها رده حاضراً:

_وفيها ايه هتعاقب بس بعد ما اكون سويته على

الجانبين علشان يحرم يستغلك تاني..

ثم قال بعدما التقط انفاسه المنفعل:

_متزعليش مني انا كنت مندفع وانا بتكلم
معاكي، أنا بس مش بحب حد يستغلك ويستغل
طيبتك..

ردت عليه بحزن:

_مش زعلانه انا عارفت اني فعلاً هبلت..
وضع يديه لجوارها كأنه يلامس يدها ، فرغم كونه
فتى لا يتعدى السادسة عشر عاماً الا ان شجن قد
زرعت به العديد من الخصال الطيبة وأهمهم الحفاظ
على مسافة امنة بينه وبين اي فتاة، فقال ببسمة
قليلاً ما تزور وجهه الصارم:
_في فرق بين الهبل والطيبة، وبعدين الطيبة دي هي
اللي مخلياني أحبك..

ابتسمت بخجل واخذت تتناول الحلوى بصمت
والابتسامة لا تفارق محياها..

تعالت ضحكاتهم الرجولية فقال "مراد:"

_المهمات عمرها ما هتخلص ولا الشر والجريمة
هتنتهي..

"عدي" ببسمت واسعت:

_عندك حق، بس طول ما في ظباط كفاء زيكم
طول ما المجرم هيعمل الف حساب وحساب لابعاد
الجريمة اللي بيحضرلها..

وضع رحيم الكأس عن يديه وهو يشير له باعجاب:
_انا معاك يا عدي، فعلا الظابط المخلص لبلده مش
المجرم بس اللي بيعمله حساب الكل...
شتت انتبه "عدي" ما يراه، فصفن بعيداً، انتبهوا لما
يتطلع اليه، ليجدوا ابن "عدي" يقف مقابل ابنة
مراد...

كادت بالرحيل فالحق بها، ليقف قبالتها قائلاً بثبات:
_لسه كلامنا مخلصش..

وقفت قبالته وهي تجيبه بنفس الثبات والنظرات

القائمة:

_بس بالنسبالي انتهى..!

اخرج "ياسين" من جيب بنطاله الاسود ، مسدس أسود
اللون يبدو انه باهظ الشكل ، ولكن نظراته
المتعلقة به ابدت لمرين مدى تعلقه به ، فقال وعينه
مثبتة عليه:

_ده اول هدية أخذها من جدي "ياسين الجارحي" ،
ومن يومها وانا محتفظ بيها لحد ما ادخل كلية
الشرطة واحقق حلمه وحلمي..

ثم تطلع لها قائلاً بابتسامة صافية:

_يعني تقدري تقولي هدية غالية عليا..

ضيق عينيها بعدم فهم ، وخاصة حينما ناولها اياه
قائلاً بغموض:

_خديه هدية مني ليكي..

ثم استطرد بكلمات بطيئة:

_اعتبريه هدية انتصارك بالتحدي الي كان بينا

من شويت..

التقطته منه مرين بارتباك غريب يهاجمها ، فمنحته
نظرة مطولتة قبل ان تبتعد عن مرمي بصره..
كل ذلك وعدي يراقبه بضم يكاد يصل للارض ،
فهزه رحيم بعنف وهو يتساءل باستغراب:
_أيه يا ابني روحت فين؟..

أشار عدي بيديه على ابنه وهو يردد بصدمته وعدم
تصديق:

_الحيوان ده عمره ما ادى لحد حاجة تخصه...!
نقلت النظرات لمراد الذي التهبت عينيه وهو يوزع
نظراته المحتقنة بين ابن "عدي" الذي يراقب ابنته ،
وبين ابن "رحيم" الجالس لجوار ابنته الاخرى...!

سلسلة الجوكرو والاسطورة خلصت بشكل نهائي، ده
مشهد غامض لرواية منفردة هتكون خاصة باربعة
ابطال (ياسين، زين، مريم، مارال)، وان يكن
هيكون في ظهور خاص لشخصيات رحيم زيدان، مراد
زيدان، عدي الجارحي، بقول ثاني الرواية مش
هتكون جزء سادس لسلسلة السلسلة انتهت بشكل
كلي دي رواية منفصلة هتنزل بعد سنة او أكثر
بعد ان اوفي بكل التزاماتي (الدهاشنة ٢، الحارحي ٥،
بشرية ٢، الرجل المقنع، وفي روايات جديدة برضه)...
كده نكون ختمنا السلسلة بفضل الله،
استودعكم الله ونلتقي بعمل جديد ان شاء الله
الدهاشنة ٢ (صراع السلطة والكبرياء) وده طبعا بعد
الاجازة المعتادة بين كل رواية والثانية فان شاء الله
نرجع قريب نستكمل النشر على البيدج مع العمل
الصعيدي القادم